

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر -02-أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ



إسهامات علماء المغرب الأوسط ببلاد المشرق الإسلامي من القرن

7-9هـ/13-15م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث تخصص: التاريخ الوسيط

إعداد الطالب:

مكاتي توهامي

تحت إشراف :

أ.د الحاج عيفة

أعضاءلجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
أ.د بشـار قويـدر	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر -02-	رئيسا
أ.د الحـاج عيـفـة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر-02-	مقررا
أ.د غرداوي نور الدين	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر-02-	عضوا
د خالدي عبد الحميد	أستاذ محاضر أ	جامعة الجزائر-02-	عضوا
د.مـروان بـن شـوش	أستاذ محاضر أ	المدرسة العليا للأساتذة	عضوا
د.سيدي موسي محمد الشريف	أستاذ محاضر أ	جامعة البليدة-02-	عضوا

السنة الجامعية: 1441-1442هـ/2020-2021 م


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى روح أمي الطاهــرة..

إلى روح إبني فارس رحمه اللـه..

إلى أبي الكريم أطال ﷲ في عـمـره

إلى زوجـتي و أبنائي –يوسف –جاد –

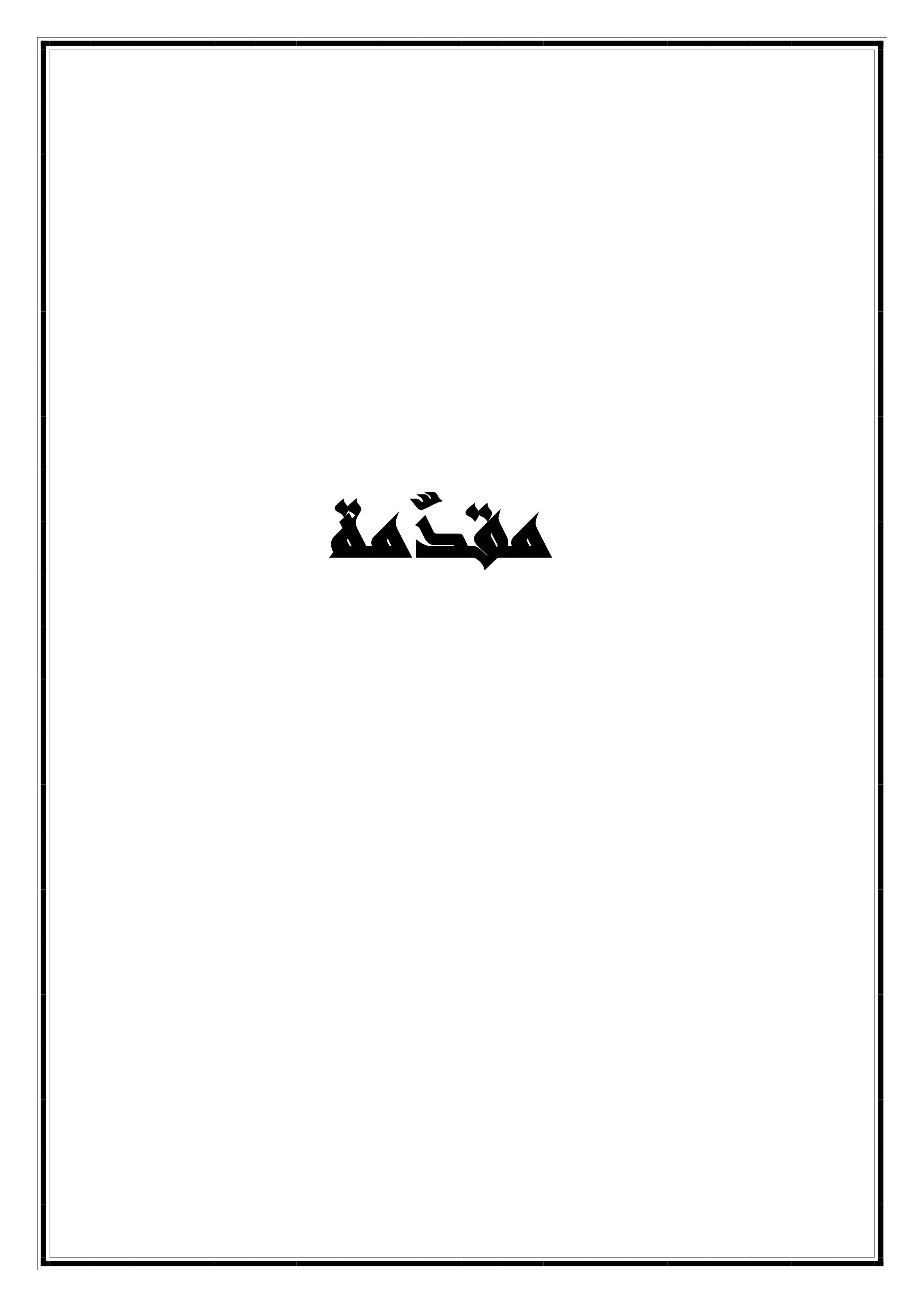
و قرّة عيني فاطـمة الزهـــراء

إلى إخــــوتي و أخـــواتي

شكر و عرفان

أتوجّه بالشكر الجزيل و الامتنان إلى الأستاذ الدكتور , الحاج عيفة الّذي تفضّل بقبول الإشراف على هذه الأطروحة و رعايته بتوجيهاته و إرشاداته الّتي قدّمها لي من مرحلة إختيار البحث إلى أن أصبح واقعا ملموسا

و كلّ التحيّة و الشّكر و التقدير لكل من ساهم في مساعدتي لإتمام هذا البحث.



مقدّمة

مقدمة

يعد التواصل أحد أهمّ الروابط الّتي تكشف عن اللحمة الحضارية الواحدة التي جمعت و لاتزال العالم الإسلامي، فقضايا التواصل العلمي و الحضاري بين المغرب و المشرق الإسلاميين لم تنقطع عبر مختلف العصور التاريخية، فالوحدة الجغرافية و الإقتصادية والإجتماعية و الحضارية الأخرى إضافة إلى عمق الصلات الثقافية و الفكرية الموغلة في أعماق التاريخ، و كذا رحلات الحج و الرحلات التجارية كلّها قنوات شديدة الفاعليّة للتواصل بين المغرب و المشرق الإسلاميين، مما أنتج تراكما معرفيا حقيقيا انتعش بالعطاءات المتبادلة، عطاءات تستمدّ مقوّماتها الروحيّة و الفكريّة من منبع التراث العربي الإسلامي المشترك، الّذي كانت اللغة العربية وعاء حافظا له، و الدّين الاسلامي حبل الوريد الذي يشدّ المغاربة بإخوانهم المشارقة و المشارقة بإخوانهم المغاربة، لذلك جاءت رحلات المغاربة إلى المشرق ذات بعد علميّ و دينيّ باتجاه المراكز المشرقية ذات الإستقطاب الكبير، ومن منظور التّواصل بين المغرب و المشرق الإسلاميين جاء موضوع الدراسة تحت عنوان " **إسهامات علماءالمغرب الأوسط ببلادالمشرق الإسلامي من القرن 7-9هـ**/13-**15م**"

ومن المفيد الإشارة إلى المحاولات التي تناولت الموضوع و هي:

- ✓ دراسة الأستاذ الدكتور الحاج عيفة في مساهمته الموسومة ب" **إسهامات المغاربة و الأندلسيين في مصر و الشام من بداية القرن السادس إلى نهاية القرن التاسع الهجري** 12-15م" و هي تشكّل محورا مهما يؤرخ للمغاربة و الأندلسيين في المشرق الإسلامي، وقد أفادتني الدراسة كثيرا من خلال تناول المصادر التاريخية الأولية و الوقوف على التحليل الذي يلزم المغاربة و خاصّة علماء المغرب الأوسط.
- ✓ دراسة علي أحمد " **الأندلسيون في بلادالشام من نهايةالقرن الخامس حتى نهاية القرن التاسع الهجري** " وهي منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق صدر الكتاب

سنة 2008م، إضافة علمية لرصّ و ربط أواصر العلاقات بين الاندلس و الشام، من خلال المعطي السياسي و الثقافي في تلك الرحلة و الدراسة غطت الفضاء الشامي و المصري، باعتبار الوحدة السياسية و الفكرية بين الطرفين، عهد الدولتين النورية و الصلاحية و بعدها المملوكية، و كذا عوامل الهجرة، أكانت عوامل طاردة تتعلق بالجانب المغربي في عموم مجالاته السياسية و الفكرية خاصة، وحاجة المغاربة للعلوم و الفنون و أداء مناسك الحج وهي عوامل جذب، بالإضافة إلى الاهتمام الأكبر للمغاربة و الأندلسيين الذين وفدوا إلى المشرق الإسلامي و أهمّ إسهاماتهم في الفضاء الحضاري الإسلامي.

- ✓ **دوافع اختيار الموضوع:**

إنّ الدافع للبحث هو الرغبة في معرفة أثر عوامل الطرد و الجذب على حركية المجموعات البشرية، وارتباط ذلك بالعوامل المختلفة بظاهرة وجود أهل المغرب الأوسط بالبلاد المشرقية، وفق المحددات السياسية و الدينية و الثقافية و الإقتصادية.

الرغبة في معرفة و رصد مشاركة وإسهامات أهل المغرب الأوسط في الحياة العامة في المشرق الإسلامي "النخب العلمية" وذلك بتقصّي أوضاعهم ووصف أماكن تواجدهم والمناصبهم

كون الموضوع يدخل ضمن التاريخ المحلي الجزئي و المتعلق بدراسة شريحة هامة من المجتمع متعلقة بعلماء المغرب الأوسط حفزني على معرفة بقدر كبير على معظم العلماء و إسهاماتهم في فترة الدراسة.

محاولة معرفة أثر الإستقرار لدى علماء المغرب الأوسط في الحواضر المشرقية و ما تحقّق لهم من نشاط علمي و معرفي لهم في البلدان المشرقية.

أمّا اختيار الفترة الزمنية المحدّدة من القرن السابع إلى التاسع هجري فتعود إلى كون القرن السابع هجري شهد تغيّرات في الوحدة السياسية للمغرب و المشرق الإسلاميين، بالإضافة إلى أنّ الفترة تمثّل حلقة مهمّة في التاريخ الإسلامي من حيث التواصل الثقافي و الفكري و الإجتماعي و الإقتصادي لمختلف الاثنيات الدينية و المذهبية.

مقدمة

الاشكالية و منهجية الدراسة:

البحث يطرح و يعالج الاشكالية التالية" ما مدي اسهامات علماء المغرب الأوسط بالأمصار المشرقية و مد جسور التواصل العلمي و الفكري بين جناحي العالم الاسلامي " و جاء في شكل مجموعة من التساؤولات وهي :

1. كيف كانت طبيعة العلاقات الفكرية بين المغرب الأوسط و المشرق الإسلامي خاصة الثقافية؟

2. ماهي روافد التواصل الثقافي بين المغرب الأوسط و المشرق الإسلامي؟

3. ما الأثر الذي تركه علماء المغرب الأوسط في الحياة العامة، وما مدى مساهمة رحلات علماء المغرب الأوسط في عملية التواصل؟

4. ما هي إسهامات علماء المغرب الأوسط في الأمصار المشرقية؟

لكلّ هذه التساؤلات حوالنا الإجابة عنها في هذا البحث المتواضع فإتبعت منهجا علميا تاريخيا يقوم على الوصف و التحليل و الإستقراء و توثيق النصوص و مقارنتها وإستخراج المعلومات منها و قد إنتظمت هذه الدراسة **بمقدمة** للبحث إستعرضت فيها طبيعة الموضوع وإشكاليته.

وقد إقتضت طبيعة الموضوع من خلال ما جمعته من مادّة تاريخية تقسيمه إلى خمسة فصول:

الفصل التمهيدي الذي جاء تحت عنوان "**رحلة علماء المغاربة و عوامل إنتقالهم إلى المشرق الإسلامي خلال القرون 7-8-9هـ/13-14-15م**" و تطرّقت فيه إلى:

أولا: تكلّمت فيه عن رحلة المغاربة إلى المشرق الاسلامي .

ثانيا: تناولت فيه عوامل إنتقالهم إلى هذه البلدان من خلال إستعراض عوامل الجذب و الطرد لهؤلاء العلماء من بلدانهم إلى البلدان المشرقية

مقدمة

الفصل الأول جاء بعنوان "**حواضر و مدارس العلم بالمغرب الأوسط و المشرق الإسلامي خلال القرون 7-8-9هـ/13-14-15م**"و قسّمته إلى:

أولا:عن اهتمام الحكّام و السلاطين بالعلم و العلماء سواء بالنسبة للمغرب الأوسط أو المشرق الاسلامي.

ثانيا: تكلمت عن أهم الحواضر العلمية الموجودة بالمغرب الأوسط و المشرق الاسلامي و مدي أهمية هذه الحواضر في إستقطاب طلبة العلم و العلماء .

ثالثا: تكلمت فيه عن مدارس العلم و نشأتها سواء المغرب الأوسط و الذي عرف نشأة المدارس مع العهد الزياني في حين أنّ المدارس بالنسبة للمشرق فكانت متقدّمة بكثير عن المغرب الاسلامي.

الفصل الثاني جاء بعنوان "**العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و المشرق الإسلامي خلال القرون 7-8-9هـ/13-14-15م ,وقسم إلى :**

أولا: العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و المشرق الإسلامي

أ - تناولت فيه العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الحجاز و المكانة العلمية لمكة المكرمة و المدينة المنورة و دور علماء المغرب الأوسط المجاورين للحرم المكي و المدني وفضلهم في إنتعاش الحياة الثقافية بالحجاز

ب- فتكلمت فيه عن العلاقات الثقافية مع مصر و دور العامل الجغرافي في توطيد العلاقات بين المغرب الأوسط و بلاد مصر و المكانة العلمية لمصر و القاهرةكإشعاع ثقافي

ج- تحدثت عن العلاقات الثقافية مع بلاد الشام و المكانة العلمية للشام و دمشق و بيت المقدس بإعتباره ثالث الحرمين ومدي أهميته في نفوس المسلمين.

ثانيا: إستعرضت فيه جرد و إحصاء لعلماء المغرب الأوسط الراحلين إلى المشرق الإسلامي خلال القرون 7-8-9هـ/13-14-15م

مقدمة

ثالثا: هو عملية تحليلية لوجود علماء المغرب الأوسط إنطلاقا من المناطق الجغرافية سواء بالنسبة للمغرب الأوسط أو المشرق الإسلامي، ثم توزيعاتهم حسب الحواضر العلمية المشرقية ثم تحليل لتوزيعهم حسب التخصصات .

الفصل الثالث جاء بعنوان "إسهامات علماء المغرب الأوسط في الحياة العامة في البلاد المشرقية خلال القرون 7-8-9هـ/13-14-15م"و تطرقت فيه :

أولا :تناولت فيه إسهامات علماء المغرب الأوسط في الميدان السياسي و الإداري

ثانيا:إسهاماتهم في المجال العسكري و مشاركتهم إخوانهم في الحملات الصليبية من أجل تحرير بيت المقدس.

ثالثا :تناولت فيه مدي إسهامات علماء المغرب الأوسط في الميدان الإقتصادي و المتمثل في الجانب الصناعي و الزراعي

رابعا : فتحدثت فيه عن إسهامات متصوّفة المغرب الأوسط و الأثار الّتي خلّفها كل عالم متصوف في المشرق الاسلامي.

الفصل الرابع جاء بعنوان "إسهامات علماء المغرب الأوسط في الحياة العلمية و الفكرية خلال القرون 7-8-9/13-14-15م"و تطرّقت فيه إلى :

أولا :تناولت إسهامات علماء المغرب الأوسط في العلوم النقلية من قراءات و حديث وفقه و أهم ما خلّفه كل عالم في البلاد المشرقية.

ثانيا : تناولت فيه إسهامات علماء المغرب الأوسط في الدراسات الأدبية و اللغوية و أبرز علماء المغرب الأوسط في النحو و الشعر و أثارهم الجليلة.

ثالثا: تكلمت فيه عن إسهاماتهم في العلوم العقلية من طب و صيدلة و علوم أخرى أثبت فيها علماء المغرب الأوسط وجودهم في المشرق الإسلامي .

و أخيرا خاتمة : إستعرضت فيها أهم النتائج المتوصل إليها من خلال الإسهامات الجليلة لعلماء المغرب الأوسط خلال فترة الدراسة و التي كانت حافلة بالعطاء ممّا أسهم في الدفع بالحركة العلمية و الفكرية في العالم الإسلامي.

قراءة في أهم مصادر الدراسة: إعتمدنا خلال مراحل البحث على جملة من المصادر التي إختلفت في مضمونها و أهميتها، و سنقسمها إلى ثلاثة أنواع:

✓ كتب التراجم و الطبقات

وهي المصادر الأكثر إستعمالا في هذا البحث – قرابة 41% من جملة المصادر بحيث شكّلت قاعدة و منطلق للعمل، و نظرا لأننا أمام أسماء أعلام كان لابد من جرد و تفحص هذا النوع لإستخراج أكثر ما يمكن من الأسماء المعنية و من أهمها نذكر :

- **الضوء اللامع " لشمس الدين السخاوي** ت (902هـ-1497م)"الذي يعتبر أوسع مصدر للتراجم إستدرك فيه على إ بن حجر ما فاته من المئة الثامنة و أفادني كثيرا في التعريف بتراجم علماء المغرب الأوسط خاصة علماء القرن التاسع هجري و يذكر فيه العلماء و القضاة و الرواة و الأدباء سواء كانوا بالشام أو الحجاز أو اليمن أو مصر و قد رتبه على حروف المعجم و هو يكتسي أهمية كبيرة.
- **كتاب العقد الثمين في تاريخ البلد الامين "للأبي الطيب تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي (ت 832هـ-1429م)**"يعد أحد المصادر الهامة و الغنية بالمعلومات عن نزلاء بلاد الحجاز من المغاربة و الأندلسيين ، و الكتاب يؤرخ بصورة خاصة لمدينة مكة المكرمة وكانت الاستفادة منه في الفصل الثاني خاصة ما تعلق بالمجاورين من المغاربة وأهل

مقدمة

المغرب الأوسط هذا ما يعكس الأهمية الدينية للأماكن المقدسة و لاسيما مكة المكرمة.

- **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية "للغبريني أبي العباس أحمد بن أحمد (ت 714هـ-1314م)** " و تضمن تراجم لأعلام من المغرب الأوسط ، و الوفدين من الأندلس و إستفدنا منه في الفصل الأول لأن مضمونه يقدم قيمة علمية حول حاضرة بجاية و حياتها العلمية و الثقافية ، و أفادني في الفصل الثالث خاصة ما تعلق بظاهرة التصوف و عن الحركة العلمية عموما من خلال أعلام العلم الذين حلوا بالمشرق الاسلامي و تسليط الضوء على رحلاتهم.
- **كتاب البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان "لأبي عبد الله محمد المليتي التلمساني المعروف بابن مريم كان حيا (سنة 1025هـ-1611م)"** وهوعبارة عن تراجم لعلماء تلمسان و المغرب الأوسط و بعض المشارقة بنوع من التفصيل الذي ذكر فيه شيوخ المترجم له و تلاميذه و رحلاته العلمية و مؤلفاته
- **كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج "لأبي العباس أحمد المعروف ببابا التنبكتي(ت 1032هـ-ذ**هامش الديباج المذهب في معرفة أعيان **المذهب "لبرهان الدين بن علي بن محمد بن فرحون** (ت 799هـ-1397م)و الذي خصص لتراجم علماء المالكية بدءا بالإمام مالك حتي عصر المؤلف

✓ **كتب التاريخ العام**

هذا الصنف من المصادر هام من خلال إهتمامه بتاريخ الدول و بالظرفيات السياسية و بحثه في التاريخ الإنساني العام و مثل بعضها موسوعات ملمة و من خصائصها أنها ترتب الخبر حسب القرون ، وإحتوت كتب التاريخ على معطيات علمية و معرفية متنوعة مكنتني من الإستفادة منها و توظيفها في كل ما يفيد موضوع الأطروحة منها:

مقدمة

- **كتاب تاريخ الاسلام و وفيات المشاهير و الأعلام " لشمس الدين الذهبي (ت 74هـ-1339م)** "الذي إنطلق فيه من السنة الاولي للهجرة حتي سنة 700هـ-1300م و قسمه حسب الأحداث الزمنية و قد سمي في المصادر بالتاريخ الكبير
- **كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب " شهاب الدين النويري (ت 733هـ-1332م)** و هو عبارة عن دائرة معارف كبيرة و يعتبر من أهم المصادر في العصر الوسيط
- **كتاب المقدمة " لعبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ- 1405م)** و هو من المصادر الاساسية لدراسة تاريخ بلاد المغرب و الذي أفادنا من خلال ما ذكره إبن خلدون من إشارات لمختلف العلوم الإسلامية من حيث نشأتها و تعريفها و إسهامات العلماء المغاربة فيها

✓ **كتب الرحلات و الجغرافيا**

يمثل هذا الصنف من المصادر أهمية كبيرة لهذا البحث ، حيث أعتبر مؤلفوها شهود عيان لما يرونه عن الأوضاع الإجتماعية و الإقتصادية و الثقافية و الظروف التي حفت بالسفر و الصعوبات الطبيعية التي إعترضتهم ،و لقد روي بعض المرتحلين المغاربة أسفارهم و دونوها في كتب فوقف عندها الكثيرون و نقلوا منها ما حملتهم من زاد معرفي تاريخي و أدبي و علمي ومن الملاحظ أن هذه الكتب مصادر مغربية بحثه و أهمها:

- **كتاب تذكرة بالأخبار عن اتفاقيات الأسفار " لأبي الحسن إبن جبير (ت614هـ-1217م)** وقد كان إبن جبير شاهدا على أحداث سياسية وإجتماعية و ثقافية ،بعد أن نزل الإسكندرية ووصفها،ثم عرج على القاهرة, فدخل الصعيد ، ثم مدينة عيذاب للتوجه نحو الحجاز ، عايش إبن جبير العصرين الأيوبي و المملوكي .

✓ **قراءة في أهم المراجع**

مقدمة

إعتمدنا في إعداد هذه الأطروحة على مجموعة هامة من المراجع أفادتنا بالكثير من المعلومات و أهمها:

- **كتاب "تعريف الخلف برجال السلف لأبي القاسم الحفناوي** "الذي جاء في جزأين ترجم فيه مؤلفه لعدد كبير من علماء المغرب الأوسط مع ذكر أثارهم و مؤلفاتهم و جاء الكتاب غنيا خلفه هؤلاء العلماء من أقوال و منظومات شعرية و كذا مؤلفاتهم العلمية ، وقد أفادنا بشكل كبير في التعريف بعلماء المغرب الأوسط ممن ترجم لهم في هذه الدراسة.

بالإضافة إلى مجموعة هامة من الأطروحات , الرسائل الجامعية و بعض المراجع باللغة الأجنبية، و مجموعة هامة من المقالات ذات الصلة بالموضوع و المنشورة في عدد من المجالات الوطنية و الدولية و التي أمدت الدراسة بالكثير من الفائدة و الأهمية.

✓ **الصعوبات**

- بقدر ما كان الإطار الزماني للدراسة يشمل مجالا واسعا حدد بثلاثة قرون كاملة و هو فضاء يدفع إلى إستغلال المادة العلمية فقد إعترضتني عقبات في إنجاز العمل و يتعلق الامر بالمصادر التي هي في الأغلب مصادر تراجم و سير يصعب الوصول إليها بحسب تأليفها بطرق مختلفة.
- صعوبة إستخراج بيانات الأعلام لعلماء المغرب الأوسط من بعض المصادر التي لم تفرد للعالم ترجمة مستقلة ، و قلة الإهتمام بالحياة الشخصية لبعض العلماء فقد شحت المصادر بتفاصيل عن حياتهم و عصرهم و خاصة بذكر المحطات الهامة في مسيرة الأعلام مثل تواريخ الوفاة و الميلاد.
- عدم إستفاء الدراسة الاحصائية لكل علماء المغرب الأوسط و لكن ذكر أهم العلماء ذوي الأهمية في الحركة الفكرية.

الفصل التمهيدي

رحلة المغاربة و عوامل إنتقالهم إلى بلاد المشرق الإسلامي

للمغاربة علاقة وطيدة ببلاد المشرق عموما لأسباب دينية و تاريخية ، فهي تحتوى على أهم المقدسات الاسلامية و في مقدمتها بيت الله الحرام الذي تشد إليه الرحال لأداء الركن الخامس من أركان الاسلام و هو الحج لقوله تعالي "....... **و لله عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا** . "(1) او كان ذلك لطلب العلم او المجاورة بمكة و المدينة و من الاماكن المقدسة التي كان لها مكانة خاصة لدي المغاربة بيت المقدس، أما من الناحية التاريخية فيه مدينتي دمشق و بغداد أهم عاصمتين لأكبر خلافتين إسلاميتين ،لذلك كانت وجهة المغاربة في كثير من الأحيان نحو هذه المناطق ،لأغراض تعبدية أو علمية أو من أجل التجارة أو السياسة، وكانت رحلات المغاربة أحيانا تنتهي بالإستقرار هناك .

وبالنسبة للمغاربة فإن مرحلة اكتساب النضج العلمي تبقى رهينة الانتقال إلى المشرق للأخذ عن علمائه والاحتكاك بهم، فهذان العالمان الأندلسيان يدعى الأول أبو عبد الله محمد بن جابر الهواري 2والثاني يدعى أحمد بن يوسف الرعيني الغرناطي عاش في القرن الثامن للهجرة، كانا قد ترافقا في رحلتهما إلى الحرمين ولم يفترقا ولقبا بالأعمى والبصير, ورغم كثرة الزوار، فإن الذين دونوا رحلاتهم كانوا قليلين حيث نذكر أبا البقاء خالد بن عيسى البلوي الذي رحل إلى الحج سنة 736 هـ-1335م ودون ذلك في كتاب سماه "تاج المفرق في تحلية علماء المشرق اعتبرت رحلة أدبية، تاريخية وعلمية وقف عندها الكثيرون ونقلوا منها(3)

(1)سورة ال عمران، الآية 37.

2 هو ابو عبد الله شمس الدين ابن جابر بن أحمدالأندلسى المالكي ولد 668-1298م/780هـ-1378م شاعر و عالم باللغة العربية ،أعمى صاحبه الى الديار المصرية ،بن يوسف الغرناطي الرعيني ، فكان يؤلف و ينظم و الرعيني يكتب له، من مؤلفاته شرح الفية ابن معط ،العين في مدح سيد الكونين، محمد ابن عثمان الذهبي ، سير إعلام النبلاء، ج7،ط3، تحقيق:مجموعة من المحقيقين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، 1405هـ-1985م، ص77.

(3)التنبكتي أحمد بابا، نيل الانتهاج بتطريز الديباج، ج1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989، ص174.

والقلصادي أبو الحسن علي بن محمد المولود ببسطة الأندلسية، كان قد دون رحلته في كتاب سماه "تمهيد الطالب[1]أما إبن خلدون الحضرمي المتوفى بمصر سنة 808هـ-1405م دون هو الاخر رحلته إلى المشرق في كتاب سماه " التعريف بابن خلدون و رحلته غربا وشرقا و كذلك ابن سعيد المغربي صاحب " المشرق في حلي المشرق ".

أولا: رحلة المغاربة إلى المشرق الإسلامي مفهومها و أنواعها

أ –الرحلة لغة :

إن الرحلة كفعل أساسه الحركة، يمثلها التنقل و قد خلق الله الانسان مطبوعا على الحركة و التنقل، فلا غرابة أن تأخذ الرحلة حيزا كبيرا في حياة الانسان و فكره، وثقافته فقد إرتبطت الرحلة عند العرب في القديم ، بأعز ما يملكون و اعني بذلك اللإبل و الخيل، التي كانت تلعب دورا كبيرا في حياتهم.

هذا يعني أن الرحلة حاضرة معهم الأمر الذي يؤكده المعني اللغوي للكلمة في لغة العرب مثلما نقف عليه في اشهر معاجمهم، لسان العرب عندما يقول صاحبه في باب " الحاء " مادة " ر ح ل " :"رحل ،الرحل: مركب البعير و الناقة وجمعه رحال،أما الرحالة "بالضم و الكسرة "فهي أكبر من السرج، وتفشي بالجلود و تكون للخيل و النجائب من الإبل و إرتحلت البعير إذا ركبته، و نعني بالرحلة عامة السفر و هي مخالطة للناس و الأقوام .

---

[1]أبو الأجفان محتد الهادي، "رحلات الأندلسيين إلى الحرمين"، قرون من التقلبات والعطاءات، ط1،ج2، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض،1990،ص 409

و هنا تبرز قيمة الرحلات في الإطلاع على المناطق المجهولة و رصد بعض جوانب حياة الناس و وصف الطرق التي سلكوها و تسجيل المسافات التي قطعوها و المعالم التي شهدوها بالإضافة إلى الصعوبات التي واجهتهم و المحطات التي نزلوا بها. [1]

و رحل البعير يرحله رحلا، فهو مرحول و رحيل، و إرتحاله جعل عليه الرحل، و رحله رحلة شد عليه أداته، و في الحديث الشريف أن النبي عليه الصلاة و السلم سجد فركبه الحسن فأبطأ سجوده فلما فرغ سئل عنه فقال: "إن إبني إرتحلني فكرهت أن أعجله "[2]

هكذا يتجلى بوضوح أن إشتقاقات مادة رحل مرتبطة أساسا بالحركة و التنقل و قد جاء في مقاييس اللغة لإبن فارس في مادة " رحل " يدل على مضي السفر و معناها القوة على السير[3]،وجاء في قاموس المحيط للفيروز ابادي: الرحل مركب البعير كالرحول جمع إرحل والرحالة ككتابة: السرج أو من جلود-هكذا-لا خشب فيها يتخذ للركض الشديد[4]،وقد جاء في لسان العرب: الترحال و الإرتحال بمعني الاشخاص يقال رحل الرجل إذا سار، و رجل رحول وقوم رحل أي يرتحلون كثيرا[5].

ب- إصطلاحا

تعددت مفاهيم الرحلة في الاصطلاح، إلا أنها تصب كلها في قالب واحد، فقد عرفها الامام الغزالي " بأنها نوع مخالطة مع زيادة تعب و مشقة"[6] جاعلا الرحلة عبارة عن

(1)عواطف محمد يوسف نواب ،كتب الرحلات في المغرب الاقصي مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين 11و 12هـ، رسالة دكتوراه ،جامعة ام القري ،1998م-1999م، ص98

محمد بن مكرم بن علي الانصاري ابن منظور، لسان العرب ، تحقيق: عبد الله علي الكبير و احمد محمد حسب الله، مج3، دار (2)المعارف ، القاهرة ،1986م ، ص1608,

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة ، ج2، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، ص 498

(4)بجر الدين الفيروزي ابادي الشيرازي، القاموس المحيط، ج3، نسخة مصورة من المطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية سنة1301هـ، ص371

(5)ابن منظور، المصدر السابق، ص1611

(6)أبو حامد أحمد بن محمد الغزالي ، احياء علوم الدين، ج2،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م، ص273

إحتكاك بالأخر بعد الجهد و التعب الناتجان من الإنتقال على الرغم من أنه لم يذكر ذلك، لأنه لابد أن تكون في الرحلة انتقال وحركة حتي تكون هناك مخالطة، أما بطرس البستاني يعرفها بأنها " إنتقال واحد أو جماعة من مكان إلى مكان أخر، لمقاصد مختلفة و أسباب متعددة"[1]

لأن الرحلة لا تكون من دون غرض معين، و إنما يكون لها دائما دافعا، سواء كان ذلك الدافع ذاتيا يرتبط بالرحلة فقط، أو دافعا عاما متعلق بشؤن الامة كلها، في حين يعرفها صلاح الدين الشامي بقوله: "إن الرحلة تظل إنجازا أو فعلا أو مباشرة ما يعنيه، أو يقضيه أمر اختراق حاجز المسافة، أوإسقاط الفاصل الحاجز بين المكان الذي تبدأ منه و المكان الذي تنتهي منه[2] .

من خلال تحديدنا مفهوم الرحلة في اللغة و الإصطلاح تبين لنا أن المفهومين لا يبتعدان كثيرا فهما يشتركان في معني واحد و هو الحركة و هذه الحركة يحقق منها الانسان فوائد عدة، فالشخص الذي يقوم بالرحلات ليس هو الشخص الذي يبقي في مكانه و لا يتحرك، و لقد أشار المسعودي إلى ذلك بقوله : " ليس من لزم جهة وطنه و قنع بما نمي إليه من الأخبار عن إقليمه كمن قسم عمره على قطع الاقطار، ووزع أيامه بين تقاذف الأسفار و إستخراج كل دقيق من معدنه، و إنارة كل نفيس من مكنه"[3]، و تبقي الرحلة أعم و أشمل من السفر ، لأن السفر تقطع مسافات معينة، أما الرحلة فتكون إنتقال من مكان الى أخر تقطع فيه مسافات كبيرة بمعني أن الرحلة " تعني الإنتقال من مكان إلى مكان لتحقيق هدف معين ،ماديا كان ذلك الهدف أو معنويا، أما الحركة خلال الرحلة بقطع المسافات فهي السفر و جمعه أسفار[4].

---

(1) بطرس البستاني، دائرة المعارف، مج8، مطبعة المعارف ، بيروت ، 1984م، ص564

(2) صلاح الدين الشامي، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي و الدراسة الميدانية، منشاة المعارف، الاسكندرية ، 1989م،ص 11

(3) ابو الحسن علي بن الحسين المسعودي ، مروج الذهب و معادن الجوهر، ج1 ، تقديم محمد السويدي ،موفم للنشر ، (د. ط), الجزائر، 1989م ،ص3

(4) عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي،الرحلة في الإسلام:أنواعها و أدابها، ط1 ،مكتبة الدار العربية للكتاب،القاهرة، 1992م،ص5

ثانيا : أنواع الرحلات

لقد أبدع المغاربة في كتابة رحلاتهم إلى البلاد المشرقية وصفا و تسجيلا، فعرفوا أنواع كثيرة حاول الدارسون تصنيفها و حصرها لكنهم اختلفوا في تصنيفاتهم لها فعين صلاح الدين الشامي ستة أنواع للرحلة، ثلاثة منها ظهرت قبل الاسلام و هي: رحلة التجارة، ورحلة السفارة و ثلاثة أخري ظهرت بعد الاسلام وهي: رحلة الحج و رحلة العلم، و رحلة التجوال و الطواف[1] ويقول صلاح الشامي: " إن الرحلة إعتبارا من القرن السادس الهجري – الثاني عشر ميلادي- انطلقت على أوسع مدى، و تجاوزت ديار المسلمين، على أمل أن تحقق أهداف متنوعة، إقتصادية و هي تعمل لحساب التجارة و دينية و هي تعمل لحساب الحج، و إدارية و هي تعمل لحساب العلاقات بين الدول الاسلامية و مجتمع الدول الخارجي و هي تعمل لحساب العلم و طلب المعرفة [2] .

أما محمد الفاسي فيعدد أنواع الرحلات إلى خمسة عشر نوعا، و هي الرحلات الحجازية والسياحية، والرسمية و الدراسية،والاثرية و الإستكشافية ، والزيارة و السياسية و العلمية ،والمقامية و البلدانية و الخيالية، الفهرسية و العامة و السفارية، و يمكن ادراج الكثير من هذه الأنواع تحت عنوان واحد شامل كالرحلات الحجازية الرسمية التي تضم السفارية والسياسية و يمكن التركيز على أكثر الأنواع شيوعا ,كالرحلات العلمية و الدينية و التجارية و الرسمية [3]

2-1: الرحلات الدينية

يعد الحج الدافع الأساسي لدى المغاربة للقيام بالرحلات لأنهم كانوا أبعد الناس عن الحجاز من جهة الغرب فكان شوقهم لأداء الفرائض و زيارة قبر الرسول صلي الله عليه و سلم أعظم من

---

(1)صلاح الدين الشامي، المرجع السابق، ص112

(2)المرجع نفسه، ص 114

(3)محمد بن عثمان المكناسي، " مقدمة "الاكسير في فكاك الاسير، تحقيق: محمد الفاسي، المركز الجامعي للبحث العلمي ،الرباط ، المغرب، 1965م، ص159

غيرهم وكانوا يتحملون المشاق في السفر في سبيل ذلك و سميت بالرحلات الحجازية أو الحجية، فقد كان الحج أهم العوامل التي دفعت بالمسلمين من كل فج عميق و على كل ضامر إلى الرحلة و الإنتقال.

فالحج كان و لايزال رحلة يتشوق الى أدائها كافة الناس و ليس علماؤهم أو فقهاؤهم فقط، ويعد الحج ملتقي المواهب من الرحالين والذي حرك أقلامهم لوصف و سرد الكثير من الأخبار التي سمعوها في طريقهم ، و وصف مشاهداتهم بعد عودتهم ، لينتفع بها سائر المسلمين، و تساعدهم على أداء مناسكهم و من ثم زخرت كتابتهم و كتبهم بأحوال الناس ومعاشهم وأمورهم، و أسس إقتصادياتهم و ينابيع ثروتهم و رخائهم [(1)].

فابن بطوطة مثلا يذكر في رحلته السبب الذي دفعه إلى الخروج من وطنه إلى المشرق قائلا: "كان خروجي من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب عام خمسة وعشرين و سبعمائة، حجا إلى بيت الله الحرام و زيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام "[(2)] .

أما النوع الثاني فهي الرحلات الزيارية و الصوفية، و يكتسي طابعا دينيا و روحيا ويتمثل في زيارة العباد، الزهاد و الوعظ، و يعتبر أبو بكر الهواري ت 611هـ-1215م أشهر الرحالين المختصين في المزارات المتبرك بها.

و قد دون تنقلاته بعنوان " الإشارات إلى معرفة الزيارات"[(3)] وهو دليل لزيارة المقامات المشيدة في البلدان الاسلامية، ولا يخلو كتابه من إفادات جغرافية و تاريخية عن الأقاليم التي مر بها، أما المغاربة فلهم مشاركة في مجال السياحة الدينية و التربية الروحية في مختلف البلدان العربية و الإسلامية ، ومنهم من خلف و ترك لطلبته طريقته الصوفية.

[(1)] إبراهيم عبد الرحمن العدوي، إبن بطوطة في العالم الاسلامي، دار المعارف، (د .ت) مصر، 1965م، ص8

[(2)] إبن بطوطة محمد بن عبد الله، رحلة ابن بطوطة، ج1، تقديم: محمد السويدي، موفم للنشر ،الجزائر ،1989م، ص7

[(3)] الحسن الشاهدي، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، ج1، دار عكاظ للطباعة و النشر، المغرب، 1990م، ص39

2-2 الرحلات العلمية

تعود نشأة الرحلة في طلب العلم إلى بداية إنتشار الاسلام ،فمنذ عهد مبكر إرتحل المغاربة إلى المشرق لأهداف علمية [1]، وملاقاة العلماء و الفقهاء و محاورتهم و الإستفادة منهم بل إن هناك من العلوم الاسلامية ما يرتبط بالرحلة إرتباطا عضويا لإنفصام له، مثل الجغرافيا ولذلك نجد الجغرافيين المسلمين من الرحالة[2]، فالرغبة في طلب العلم و محبته فوق كونها حافزة على طلبه،فإنها تكاد تكون شرطا في تحصيله و التحقيق فيه ، ولعل أبرز رحلة لطلب العلم في القرن الثاني الهجري ما نسب إلى الربيع بن سليمان إلى شيخه الإمام محمد بن إدريس الشافعي المتوفي سنة 204هـ ومما رواه عنه قوله: " أقبلت أطوف العراق و أرض فارس و بلاد العجم و ألقي الرجال، حتي كتبت و أنا إبن إحدي و عشرين سنة "[3].

ومن رحلات الغرب الاسلامي ما إتسمت بالطابع التوثيقي العلمي، يمكن أن نلاحظ هذا في رحلات إبن رشيد ، العبدري و التيجيبي و البلوي و إبن خلدون, و القلصادي .. [4].

هذا وقد نوه ابن خلدون في مقدمته الشهيرة إذا قال : " و الرحلة لابد منها في طلب العلم ، و لإكتساب الفوائد و الكمال بلقاء المشايخ و مباشرة الرجال[5] فالهدف من الرحلة هو التزود بالعلم و مقابلة الشيوخ من العلماء، ولقد كانت الرحلات في العصور الاسلامية معيارا للحكم على مستوي العلماء.

---

[1] إسماعيل زردومي،فن الرحلة في الأدب المغربي القديم، رسالة دكتوراه، اشراف الدكتور عبد الله الغشي،جامعة باتنة، 2005-2006م،ص 6

[2] حسين نصار، أدب الرحلة، ط1، دار نوبا للطباعة و الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان ، القاهرة ، 1991م ، ص 32

[3] محمد ابن ادريس الشافعي، رحلة الشافعي، نشره، محي الدين الخطيب، المطبعة السلفية ، القاهرة ،1350هـ - 1929م،ص18

[4] الحسن الشاهدي، المرجع السابق، ج1، ص 80

[5] عبد الرحمن ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون، ، تحقيق:عبدالله محمد درويش،دار البلخي، دمشق ، 2004م ، ص 226

2 –3 الرحلات التجارية

كانت التجارة منذ القديم أمرا يقتضي القيام بالرحلة و السفر سعيا لطلب الرزق وتأمين سبل الحياة و الكسب،ثم إن الموقع الإستراتيجي للبلاد العربية ،و كونها مركزا لإلتقاء الطرق التجارية بين القارات، شجع على ممارسة الترحال [(1)]

أما المغاربة فقد قاموا برحلات من أجل التجارة , وهم أولئك الرحالة الذين جابوا البحار و المحيطات، وسافروا عبر المغاور و الشعاب ينقلون بضائعهم من بلد إلى أخر، وقد يقضون في متاجرتهم سنين عدة، و كانت التجارة في موسم الحج ضرورة من ضروريات الحاج و المسافر ،إذا لابد من الحصول على موارد مالية لتغطية نفقات الرحلة [(2)]و عندما ينتقلون إلى أوطانهم عائدين، يأخذون في سرد الحكايات و الأحاديث في أسلوب شيق عما صادفوه أو شاهدوه عن البحر و أهواله وعن جزره و قاطنيها و طبائعهم وعادتهم، كما أن إزدهار الحضارة الاسلامية، و سيادة المسلمين في البر و البحر ، شجع على الأسفار و الرحلات[(3)]

2–4 الرحلات السياحية

لقد سعي بعض الرحالة الي البحث عن الحرية و الاجتياز المكاني، حيث المهم هو السفر إلى المكان الذي يرتحل إليه، فالدافع القابع و راء هذه الرحلة هو التمتع بالحياة و الوصول إلى مواطن الجمال في كل مكان، و الرغبة في اكتشاف ما لم تره العين، فيقوم الرحالة بالسفر بمحض إرادته [(4)]، لذا جاءت بعض الرحلات لإرتياد الأماكن و وجوب الأفاق و

---

(1) نوال عبد الرحمان الشوابكة ، أدب الرحلات الاندلسية و المغربية حتي نهاية القرن التاسع الهجري، ط1 ، دار المامون للنشر و التوزيع ، عمان، 2001م ، ص46

(2) نوال عبد الرحمان الشوابكة، المرجع السابق، ص47

(3) زكي محمد حسين، الرحالة المسلمون في العصور الوسطي، دار الرائد العربي، بيروت، 1981م، ص 6

(4) حسين نصار، المرجع السابق،ص5

الترويح عن النفس، وقد إمتدت الرحلة لتتجاوز مضمون الحج و المهام الرسمية ليجول الرحالة في البلاد التي طالتها يد الإسلام و شاع فيها الأمن و الإستقرار في أكثر أنحائها، يريد أن يرى و يعرف أشياء كثيرة، لذا قد تجتمع عدة أسباب لرحلة واحدة ما، كما عند إبن بطوطة الذي زار أصقاعا عديدة بدافع الرغبة ، و حب الإطلاع على الحضارات بثقافاتها المتنوعة، وقد قضي من عمره شطرا كبيرا في الترحال و السفر فكانت رحلته حجازية سياحية في مضامينها.

2-5 الرحلات الادارية (الرسمية)

تسمي الرحلة السفارية و هي رحلة رسمية يقوم بها الرحالة بطلب الحاكم لقضاء حاجة قد تتعلق بشأن البلاد، كما قد تخص الحاكم نفسه بل إن هذا النوع من الرحلات قد يكون بهدف التجسس والإستطلاع كرحلة سلام الترجمان عام 227هـ-841م و التي كانت بتكليف من الخليفة الواثق بالله, قصد معرفة حقيقة سد الصين الكبير الذي يقال أن الإسكندر بناه بين العالم القديم وديار يأجوج و مأجوج[1]، فالرحلة الإدارية فرضتها ظروف البلاد إذا إقتضت ضرورة الحاكم و الإدارة، وتقدير الثروات وحجم الضرائب أن يكلف الحاكم بعض الأشخاص بالقيام برحلات تفقدية لجمع البيانات و الحقائق، و تقديم التقارير و سواء أطلق على النشاط صفة الجغرافية الادارية أو كتابة تواريخ الاقاليم فقد لعبت الرحلات دورا هاما في أدائه[2].

وكان هذا النوع من الرحلات مرتبطا بتنفيذ طلب الحاكم إلا أنها تكسب الرحالة معلومات هائلة، ومن السفارات المثمرة ثقافيا إرسال البيروني إلى بلاد الهند من قبل محمود الغزنوي، وقد أثمرت عن معرفة شاملة و مباشرة بأحوال الهند الثقافية و البشرية و الدينية

---

(1) شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف، ط4، القاهرة، (د .ت) ،ص 9

(2) نوال عبد الرحمان الشوابكة، المرجع السابق ، ص 91

كما ظهرت في كتابه " تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذوله " [(1)]، و إلى جانب البيروني نذكر إبن بطوطة و إبن خلدون و غيرهم كما أن هناك من الرحلات من كانت بدافع ديني أو علمي و لكن الظروف جعلت جزء منها رحلة رسمية، ومنها رحلة إبن خلدون و إبن بطوطة هذا الأخير معروف أن رحلته كانت دينية لغرض الحج و لكن رغبته في السفر جعلته يواصل الرحلة بعد الحج و ليختاره سلطان الهند كسفير له في الصين " بعث الي السلطان خيلا مسرجة وجواري و غلمان و ثيابا و نفقة ... و لما وصلت إلى السلطان زاد في إكرامي على ما كنت أعهده ، و قال لي : إنما بعثت إليك لتتوجه عني رسولا إلى ملك الصين، فإني أعلم حبك للأسفار و الجولان، فجهزني بما أحتاج له..."[(2)] فكانت رحلته في الوهلة الأولي دينية لتشمل فيما بعد عدة جوانب علمية و إدارية .

فالرحلات التي أرسلت لتأدية مهمة رسمية أو سفارة، بين الدول العربية و الدول التي ترتبط معها بعلاقات وثيقة، وهي رحلة خاصة ممولة من قبل السلطة المركزية في الدولة و قد خطط لها مسبقا ولها أهداف معلومة و أغراض محددة منذ البداية، فالرحلات السفارية تتعلق بتبادل السفارات بين الدول الاسلامية أو بينهم و بين الدول الاجنبية، وغالبا ما يسكت الرحالون عن الهدف الأساسي من سفارتهم، و يكتفون بالإشارة إلى الرغبة في استمرار السلام و العلاقات الحسنة مع البلد و عقد الصفقات التجارية، وتحدث كتب التاريخ عن العديد من السفراء و دورهم المتميز في الدفاع عن بلدانهم و تحديد موقفهم من حضارة الأخر، كما فعل السفير عبد الله بن العربي المعافري صحبة ابنه أبي بكر اللذين توجها إلى الخليفة العباسي ببغداد بعد موقعة الزلاقة فخلف رحلته المعروفة " بقانون التأويل "

---

(1) عبد الله ابراهيم، المركزية الاسلامية: صورة الاخر في الخيال الاسلامي خلال القرون الوسطي، ط1، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب، 2001م، ص 92

(2)ابن بطوطة ، المصدر السابق، ص 202

و السفير محمد بن عثمان المكناسي وخلف ثلاث رحلات منها " الاكسير في فكاك الأسير" و " البدر السافر" و الرحلة الثالثة سماها " إحراز المعلي و الرقيب "[1]

ثالثا: عوامل إنتقال المغاربة

العوامل الجاذبة:

أ. العوامل الطبيعية:

يمكن حصر عوامل الجذب والإستقطاب في عوامل سياسية، طبيعية و ثقافية كانت متفاوتة في المشرق من بلد إلى اخر حسب طبيعته الجغرافية وطبيعة سكانه وحسب ظروفه السياسية، سنحاول دراسة هذه العوامل في بلاد الشام ومصر والحجاز إنطلاقا من أواسط القرن السابع للهجرة.

لماذا أصبحت الشام ومصر و الحجاز، مناطق إستقطاب أكثر من غيرها ؟ لقد كان لسقوط بغداد على يد المغول (سنة 656 هـ-1258م)، أثر نفسي سيئى على الوافدين، فكان أن تقلص وجود المغاربة بها و بمدن الحجاز رغم مكانتها الدينية الهامة، لم تستقطب كثيرا من المغاربة نظرا لقساوة طبيعتها الصحراوية التي لا تتماشى مع طبيعة بلاد المغرب وخاصة الأندلس، أما بالنسبة لمصر فإنها تتميز عن الحجاز والعراق بمميزات جعلتها قبلة للمغاربة، فمدينة الإسكندرية تقع على الطريق الرئيسية للحج وهي أكثر أمنا حتى من دمشق التي تبقى مهددة من حين لآخر من قبل المغول فهي بمثابة الميناء ومحط رحال المغاربة ومركز إشعاع المذهب السني.

ولقد لمسنا أهمية هذه المدينة من خلال وصف الرحالة المغاربة لها، فهذا خالد أبو البقاء البلوي يصفها في كتابه "تاج المفرق" بقوله: فكان محاسن*الدنيا فيها مفروشة وصورة*

---

[1] نوال عبد الرحمان الشوابكة ، المرجع السابق ، ص 68

الجنة فيها منقوشة وهل هي إلا ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد يضاف إلى ذلك *أمرا في غاية الأهمية و المتمثل في إحياء الخلافة في مصر في النصف* الثاني من القرن السابع للهجرة فأصبحت مستقر السلطان و الخليفة والحاشية من الحكام ورجال الدولة[1] في بلاد الشام، فقد تميزت هي الأخرى من الناحية الطبيعية والاقتصادية، والثقافية مما جعلها مأوى يلجأ إليه المغاربة ونلمس هذا الشيء أيضا في كتب الرحالة فابن سعيد المغربي شذ عن البلوي وآثر بلاد الشام عن الفسطاط والقاهرة أثناء زيارته لهما سنة 640هـ-1242م فعن الأولي يقول"هوائها رديء ورمد العين فيهاكثير[2]، أما عن دمشق فقد قال: لم أرى مايشبه رونق الأندلس في *مياهها و أشجارها إلا مدينة فاس بالمغرب الأقصى ومدينة دمشق بالشام و في حماة مسحة أندلسية*[3]، أما إبن جبير فإنه يذكر التشابه بين حمص و إشبيلية فيقول عن حمص: وتجد في هذه البلاد عند *إطلالك عليها من بعيد في بسيطها ومنظرها و هيئة موضوعها بعض شبه بمدينة اشبيلية من بلاد* الاندلس[4] .

و يصف ابن خلدون القاهرة عندما دخلها قائلا: رأيت بستان العالم و إيوان الإسلام بحر من الجنة يجبي الثمرات والخيرات ثبجة [5]، هذه الأمثلة تحيلنا على التشابه الذي يجده المغاربة المهاجرون بين بلدانهم الجديدة ومدنهم التي تركوها، ولئن كان هذا الشبه مذكورا في كتبهم فإنه لا يمكن أن يصل إلى حد التطابق، لكن هو الحنين للوطن الأصلي الذي فقدوه جعلهم يبحثون عنه في أماكن أخرى بدت شبيهة به فوضعوها موضع المقارنة إلى حد أنهم جعلوها تتطابق في أذهانهم مع مدنهم الجديدة، وكأنهم بذلك قد أخذوا معهم عند رحيلهم بلدانهم الأصلية وبذلك لا إحساس بالغربة أو الضياع ،

---

[1] البلوي أبو الفدا، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، ج1 ، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، الرباط ,أبوظبي، ص198

[2] ابن سعيد المغربي، المشرق في حلي المشرق ، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1984م، ص35

[3] المصدر نفسه، ص73

[4] ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، دار التراث، بيروت، 1968م ، ص209

[5] عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة،ط1، تحقيق:عبد الله محمد الدرويش،دار البلخي، دمشق،1425هـ-2004م، ص295

إنها حالة نفسية لا يصتها إلا أولئك الذين تركوا الموطن باتجاه آخر مجبرين على ذلك.

ب- العوامل السياسية:

اهتمت السلطة المركزية للمماليك في بلاد الشام ومصر بالمغاربة الو افدين عليها وقدمت لهم العون وذلك راجع إلى العلاقات السياسية الايجابية بين المماليك ودول بلاد المغرب و الأندلس، فقد ذكرت المصادر رحلة السفير قاضي الجماعة بغرناطة أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن الأزرق المتوفي (سنة 896 هـ-1490م) بمصر محاولا جلب الدعم من السلطان قايتباي لنصرة غرناطة[1].

هذا الإهتمام قد سبق إليه الأيوبيون، فالسلطان نور الذين زنكي ت(569 هـ-1174م) كان قد أكرم وفادة المغاربة وقدم لهم عديد التسهيلات وفضلهم على الكثيرين، حيث يذكر إبن جبير أن هذا السلطان كان يرصد ويراقب من يأتي من المغرب أو الأندلس إلى الشام، فيحيطه بعنايته، فيقول في رحلته: "ومن مناقب نور الذين زنكي أنه عين للمغاربة الغرباء الملتزمين زاوية المالكية بالمسجد الجامع أوقافا كثيرة منها طاحونتان و سبعة بساتين و حمام و دكانان بالعطارين[2]، لم تكن مساعداته جماعية بل تعدتها إلى مساعدات فردية مثل التي قدمها لبعض الأسر التي طلبت منه العون[3]، وإستمر الإعتناء بالمغاربة مع صلاح الذين الأيوبي الذي سار على منوال سلفه وكانت له مواقف في ذلك فجدد وأصلح مدارس المالكية بدمشق.

إستمرت هذه السياسة المستقطبة مع المماليك فيذكر إبن بطوطة في أثناء زيارته لدمشق

[1]المقري أحمد بن محمد ، نفح الطيب في غصن الأندلس،ج3، دار العربي، بيروت، (د.ت)، ص 452

[2]ابن الجبير، المصدرالسابق، ص 357

[3]القفطي جمال الدين، انباه الرواة على أنباه النحاه، ج2، تحقيق :محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكرالعربي، القاهرة، و مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، 1982، ص 140 وفيه ذكر للمعونة التي قدمها السلطان الأيوبي نور الدين محمود زنكي إلى الفقيه العلامة أبو محمد المغربي المتوفي بحمص سنة 561هـ

في القرن الثامن للهجرة أنه كان بها ''فاضل من كتاب الملك الناصر يسمى عماد الدين القيصراني من عادته أنه متى سمع أن مغربيا وصل إلى دمشق بحث عنه وإستضافه وأحسن إليه، فإن عرف منه الدين والفضل أمره بملازمته وعلى هذه الطريقة أيضا كاتب السر علاء الدين إبن غانم وجماعة غيره[1].

ومن مقولة هذا الرحالة نستنتج أن وراء ذلك سياسة محكمة من قبل المماليك في إستقطاب المغاربة القادرين على الإفادة والقادرين على إقناع العامة، فهم في حاجة إلى كل من يقيم لهم وزنا ويدعم تواجدهم ويؤطر شرعيتهم أمام الناس، هذه السياسة إستفاد منها المغاربة وكانت عاملا من عوامل جذبهم وإستقطابهم للعيش هناك ، من ناحية أخري يذكر صاحب النجوم الزاهرة أن السلطان الناصر فرج أصر (سنة 814 هـ-1411م) أن يؤخذ من التجار المغاربة العشر بعد أن كان الثلث[2]،فالتجار المغاربة في حاجة إلى التسهيلات و قد ساعدهم على تنمية تجارتهم وتشجيعهم على الإستقرار بالمنطقة، أما بالنسبة للمماليك فان تخفيضاتهم للضرائب عن المغاربة يهدف إلى جلبهم و إبقاء تجارتهم رائجة كي يضمنوا الأرباح ولكي يحافظوا على حركية الإقتصاد المملوكي ، خاصة بعد طرد الصليبين من الشام[3]الشيء الذي أدى إلى تفاقم الاطراف الخارجية المعادية سعيا منها إلى ضرب إقتصاد الدولة وإضعافه[4].

أما بلاد الحجاز فتمثلت العوامل السياسية في عدة تحولات حاسمة ،كان ابرزها تغيير الخريطة السياسية بسقوط الدولة الايوبية سنة 648هـ-1250م و قيام دولة المماليك،

---

[1] ابن بطوطة، المصدر السابق ، ص 106

[2] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة ،ج12 تحقيق: محمد عبد القادر حاتم، دار الكتب العلمية، القاهرة، (د.ت)، ص 128

[3] أحمد المقري، المصدر السابق، ج3، ص450

أحمد علي، الاندلسيون و المغاربة في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس حتي نهاية القرن التاسع الهجري، ط1، دار طلاس،

[4] دمشق، 1989م، ص92

وحاوت التصدي للاخطار التي هددت الوجود الاسلامي، و حاولت التقرب من الدولتين الزيرية و الحمادية بإفريقية والمغرب الأوسط والذي إتخذ شكلا عدائيا ضد سياسة الايوبين من فرض الضرائب والمكوس على كل من يجتاز أرض مصر، ولذلك تراجع عدد القاصدين إلى المشرق سواء للحج أو لطلب العلم أو للتجارة ولاسيما في ظل الضعف والفوضى التي بلغتها دولة بني عبيد في عهد حكم الوزراء، حتى قال الوزير طلائع بن رزيك:"كأني بهؤلاء الجهلاء وهم يقولون ما مات الأول حتى إستخلف هذا ، وما علموا أنني كنت من ساعة أستعرضهم إستعرض الغنم "[1].

ولذلك لاحظ بعض الدارسين عودة قوية للمهاجرين خلال الفترة التي أعقبت سقوط الدولة العبيدية (567هـ- 1171م) [2]، و قيام الدولة الأيوبية بمصر (سنة 570هـ-1174م) من استعادة العباسيين لنفوذهم على بلاد الحرمين الشريفين، و احترام صلاح الدين لهذه السيادة وعدم التدخل أو المساس بالمقدسات الإسلامية، بل أنه إهتم بشؤون مكة المادية والأمنية، فمنع أشراف مكة من أخذ المكوس والضرائب على الحجاج والتجار القادمين إلى الحجاز وتعويضهم عنها بأعطيات عينية ونقدية، وقد وصف إبن جبير في رحلته إهتمام صلاح الدين بأمر الحاج قائلا: " ولولا ما تلافى الله به المسلمين في هذه الجهات بصلاح الدين لكانوا من الظلم فى أمر لا ينادى وليده ولا يلين شديدة ثم يضيف قائلا: " و الذى جعل له صلاح الدين بدلا من مكس الحاج ، ألفا دينار و إثنان و ألف أردب من القمح كما سعي صلاح الدين ومن أتي بعده من المماليك على تأمين السبل ونشر الأمن فى مصر و اليمن ومكة المكرمة لراحة المجاورين[3]

---

[1] المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا، ج3، تحقيق :محمد حلمي و محمد احمد ، لجنة التراث الاسلامي، القاهرة، 1416هـ-1996م ، ص 249

[2] عبد العزيز بن راشد السنيدي، المجاورون في مكة و أثرهم في الحياة العلمية خلال الفترة من 570-660هـ /1174م-1261م ، ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الاسلامية ، 1426هـ-1995م ، ص96

[3] إبن جبير ،المصدر السابق،ص351

كانت هذه العوامل السياسية سببا من أسباب استقطاب المغاربة عامة نحو المشرق الإسلامي.

ج–العوامل الثقافية: (النهضة العلمية بالمشرق)

أدّى سقوط بغداد على يد المغول سنة (656 هـ–1258م) إلى إنهيارها وتراجع دورها كعاصمة ثقافية إسلامية بعد أن أخذت دور الريادة في ذلك على إمتداد قرون, وبدأت الأوضاع تنقلب لصالح مناطق أخرى، أصبحت تضاهي بغداد في كثرة علمائها و إشعاعها العلمي و الثقافي في هذه المناطق كانت مدينتا دمشق والقاهرة قد بدأتا في البروز، والظهور بفضل السياسات المتعاقبة، فقد إتخذ الأيوبيون سياسة تعليمية هادفة أدت إلى إحياء علوم السنة[1] بعد سيطرة المذهب الشيعي بها ،حيث بلغت المدارس في عهد نور الذين زنكي أكثر من خمسين مدرسة وزاوية لمختلف المذاهب الفقهية الأربعة وأعطيت الجرايات للمدرسين بها وأوقفت لها الأوقاف[2]،كما انتشرت الزوايا والخوانق التي وجد فيها المغاربة مجالا فسيحا لممارسة أنشطتهم ولنا مثال للشيخ أبا الحسن الشاذلي شيخ الطائفة الشاذلية بمصر والذي توفي بها سنة(656هـ–1258 م)، و الشيخ أبو العياس المرسي الشاذلي المتوفى بالإسكندرية (سنة686 هـ–1287م)، وعلى منوال الأيوبيين سار المماليك حيث بلغت المدارس والخوانق والزوايا ودور الحديث و المساجد التعليمية في عهدهم ما يقارب الثلاثمائة موقع وهذا بالشام فقط[3]، كما أخذت مصر تتبوأ مركز الصدارة العلمية إلى جانب دمشق حيث كان للإجراء السياسي الذي قام به السلطان المملوكي بيبرس والمتمثل في إحياء الخلافة العباسية بالقاهرة دورا كبيرا في استقطاب المغاربة

---

(1)سعيد عبد الفتاح عاشور ، العصر المماليكي في مصر و الشام، ط2 ، دار النهضة العربية، القاهرة، 1976م، ص130

(2)احمد علي، المرجع السابق، ص102

(3)Elesseef Nikita, un grand prince musulman du syrie au temps des croisades 511-769h /1118-1174, institut française, damas, t3,1967, p757

حيث علا شأن القاهرة ثقافيا وسياسيا و أصبحت محط أنظارهم لقد غدت مركزا لخليفة المسلمين، قال البلوي عن رفاقه لما إلتقى بهم في مدينة تونس بعد عودته من المشرق (سنة 739 هـ-1338 م): "وأقبلوا يتزاحمون يطالبونني بما إجتلبت من فوائد [1]، وكان البلوي قد زار مصر ومدنها وأثنى عليها وما ذكره عن رفاقه و أهمية ما يحمله العائد من المشرق في تلك الفترة من أخبار وعلوم وروايات نظرا للصتيت الذي تكون عن بلدان المشرق خاصة الشام ومصر لدى المغاربة و النهضة العلمية التي بدأت تتبلور هناك.

لقد أصبحت عيون المغاربة منشدة نحو الشام ومصر غدتها تلك الرحلات المغربية تجاهه، فلا شيء أصبح خافيا عن المغاربة المتعطشين الى المعرفة والتعلم، قال إبن خلدون عن أحوال القاهرة و مصر" *نحن لهذا العهد نرى أن العلم والتعليم إنما هو بالقاهرة من بلاد مصر لما أن عمرانها مستبحر و حضارتها مستحكمة منذ آلاف السنين واستحكمت فيها الصنائع وتفننت ومن جملتها تعليم العلم... فارتحل إليها الناس في طلب العلم من العراق والمغرب ونفقت بها أسواق العلوم وزخرت* بحارها[2].

فهذا مغربي يشهد على ذلك العصر وينقل لنا عن أحوال الشام ومصر ويخبرنا عن حالة الرفاهة بهما بسبب عظمة الدخل والازدهار الاقتصادي والحضاري الذي يشهدانه، وهو ما جعل ابن خلدون يحث الكثير من المغاربة أن يشذو الرحال الى هناك، و أصبحت الإسكندرية لدى المغاربة مدينة إرم[3] ، وبدت القاهرة أم المدائن ودار الطمأنينة، .ومن المظاهر الثقافية والروحية لمكة والمدينة هي رغبة البعض في أن تكون أخر حياته بأطهر وأقدس مكان، فإنقطعوا هناك للعبادة ومجاًهدة النفس[4]وطلب العلم في جو من الصفاء

---

[1] البلوي، المصدر السابق، ج2 ، ص94

[2] ابن خلدون ، المقدمة ، المصدر السابق، ص778

[3] المصدر نفسه، ص216

[4] ابن جبير، المصدر السابق، ص80

الروحي، لاسيما وأن مكة كانت ملتقى لعلماء الإسلام، وهناك من جاور من أجل ممارسة وظيفة دينية، ليس طلبا للمال والكسب، وإنما لشرف الوظيفة في مكة والمدينة، لاسيما وأن الحركة العلمية والثقافية كانت نشيطة نتيجة إنشاء العديد من المدارس النظامية، والتي بلغ عددها بمكة خلال القرن السابع الهجري حوالي ثماني مدارس[1]، إستقطبت الكثير من العلماء ، من أشهر ها المدرسة المظفريه التي كان يدرس بها إمام المالكية الشيخ خليل، إضافة إلى المدارس انتشرت الزوايا والأربطة في كثير من المناطق المجاورة لمكة التي آوت المجاورين و المنقطعين للعبادة، منها الزاوية التى بخارج باب ابراهيم، وهى خاصة بالمالكية و فيها دار الامام خليل [2].

ومن الدوافع المذهبية التي قد تكون وراء إنتقال العلماء المغاربة عامة و علماء المغرب الأوسط بالخصوص الى الحجاز إعتبار دار الإمام مالك صاحب المذهب الذي يكنون له الاحترام، و الإتباع الى درجة التعصب.

وقد شجعهم على ذلك وجود مدارس للمذهب المالكي و استقرار كثير من أعلام المغرب و الأندلس المالكية الذين استأنسوا بهم وسكنوا بجوارهم ولعل أشهرهم الإمام خليل يعد من مراجع المذهب بالنسبة لهم، ومنهم أبو الحسن علي بن رزق الله الطنحى جاور مكة سينينا ومات بها ومنهم أبو ايعقوب يوسف من بادية سبتة و الذى صار شيخ رباط ربيع بعد وفاة أبو الحسن .

2-العوامل الطاردة

تختلف هذه العو امل من الأندلس إلى بلاد المغرب إذ كانت أكثر حدة بالأندلس، لما تميزت به من وضع خاص بدأ في التبلور منذ سقوط الخلافة وظهور ملوك الطوائف إنطلاقا من القرن

---

(1) يقول السيوطي: " وكانت مملكته (صلاح الدين) من المغرب إلى تخوم العراق ومعها اليمن والحجاز، ونشر العدل في الرعية وحكم بالقسط بين البرية، حسن المحاضرة في تاريخ مصر و القاهرة، ج2، ط1، تحقيق :محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار إحياء الكتب العربية، عسي البابي و شركاؤه ، مصر ، 1967م ، ص6

2 هو خليل بن اسحاق بن موسي المالكي،أحد علماء الفقه المالكي،قرأ على الراشيدي في اللغة و الاصول، وعلى عبد الله المنوفي في الفقه المالكي،له شرح مختصر ابن الحاجب،سماه التوضيح، وله مختصر خليل،و حاشية الدستوق وغيرها، التنبكتي،نيل الابتهاج،ج2،المصدر السابق،ص352

الخامس للهجرة، سنحاول تقسيم عوامل الطرد حسب المنطقتين في الأندلس من جهة و ببلاد المغرب من جهة أخرى.

أ- في الأندلس

بدأت نكبة الأندلس انطلاقا من القرن الخامس للهجرة، حيث مسها الانقسام السياسي الذي شمل تقريبا المشرق والمغرب، فإضمحلت بها الخلافة وقلل ملوك الطوائف من مكانتها و أخذ النصارى يسلكون سياسة محكمة لإسترجاع شبه الجزيرة، فكانت الفترة الأولى بعنوان"سقوط مدينة طليليه" بيد القشتاليين في منتصف شهر محرم من (سنة 478 هـ-1085 م)، بعد حصار طويل في حين كان أميرها يحي ذي النون الملقب بالمأمون يبنى القصور وينفق فيها الأموال الكثيرة[1]

و بدأت محنة الأندلسيين بتسجل منعرجان فعليان، الأول إنطلاقا من القرن (7هـ-13م) وتحديدا سنة (609هـ-1212م) تاريخ "موقعة العقاب" و التي تسمى في المصادر الاسبانية *LasNavas de Tolosa* بين الموحدين والمسيحين وكان من نتائجها أن بدأت المدن الأندلسية تسقط تباعا بشرق الأندلس وغربه، فإلى حدود سنة(621 هـ-1224م) أحصت المصادر قرابة 25 مدينة كانت قد سقطت بيد النصاري [2]، ثم تلتها قرطبة عاصمة الخلافة (سنة 633هـ-1235 م) و بلنسية (سنة 636 هـ- 1238) ، ولم يجد المدد الذي قدمه أبو زكرياء يحي بن حفص نفعا و أجلي المسلمون من شاطبة (سنة 645هـ – م1247م) ومن اشبيلية(سنة 646 هـ- 1248م).

وكان دور أهل مرسيه (سنة 666 هـ- 1267م)[3]، ثم تجاوزت حركة الطرد مرحلة القرن

---

[1] المقري، المصدر السابق، ج4، ص353.

[2] المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط1، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1949م، ص368

[3] عبد الرحمن ابن خلدون،العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6،دار الكتاب المصري،دار الكتاب البناني، القاهرة، بيروت،1998م، ص613

السابع للهجرة لتصل إلى القرن الثامن متزامنة مع الضغوطات القشتالية على إمارة غرناطة أخر معاقل المسلمين هناك فكانت (سنة 709 هـ- 1310 م) إستولى فيها القشتاليون على جبل طارق[1]، فاشتدت النكبة على مسلمي الأندلس إذ أصبحوا تحت رحمة النصارى الذين أجبروا العديد منهم على التشرد أو مغادرة البلاد وكانت أراضيهم تنزع منهم وتوزع على العائلات المسيحية، وكلما تقدمت ضغوطات القشتاليين من خلال حركة الاسترداد (*La Reconquista)* إزداد تدفق الأندلسيين نحو بلاد المغرب أو بإتجاه المشرق، إذ أن البقاء يعني الخضوع وما يعني ذلك من تدجين، وطفت أصوات تدعوا إلى المغادرة، أصوات المنهزم اليائس[2] ، فهذا الشاعر الأندلسي إبن عسال كان موقفه مرآة يعكس واقع الأندلس فيقول:

يَا أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ حَثُّوا مُطيكُمْ   فَمَا الْمَقَامِ بِهَا إِلَّا مِنَ الْغَلَطِ

لثَّوْب يَنْسِل مِنْ أَطْـتتراف   و أَرَى ثَوْب الْجَزِيرَة منسولا مِنْ الْوَسَطِ

مِن جَاوَر الشَّرَّ لَا يَأْمَنُ بَوَائِقَه   كيْف الْحَيَاةِ مَعَ الْحَيَّاتِ فِي سفط[3]

لقد أصبحت الظروف تدعو إلى الفرار، فلا أمن ولا إستقرار بالأندلس و أصبحت قشتالة تفرض على الباقين من المسلمين ضرائب مجحفة تؤدى للهلاك فلم يكن هناك إلا الإختيار الصعب وهو

---

[1] حسن محمد، المدينة البادية بإفريقية في العهد الحفصي، ج2، دار المكارمة للنشر و التوزيع، تونس، 1999م ، ص574.

[2] عنان محمد عبد الله، نهاية الاندلس وتاريخ العرب المنتصرين،ط2، مطبعة القاهرة، القاهرة، 1958م، ص112

[3] أ.حيمر مليكة،" رثاء ابن العسال بين التفهم و الانكار"،كلية الأدب و اللغات،قسم اللغة العربية و الادب العربي،جامعة 8 ماي 1945م،قالمة، مجلة العلوم الانسانية ،عدد47،جوان،2017م،مجلد ب، ص233-241

التحول إلى النصرانية أو معاناة سجن وتعذيب شديد[1] ، خاصة وأن السبل بالأندلس أصبحت صعبة وقد سدت حيث انحصر التواجد الإسلامي بمدينة غرناطة التي إشتدت الظغوطات تجاهها إنطلاقا من القرن الخامس عشر الميلادي وفرض عليها الحصار الاقتصادي الذي أدى إلى تزايد الأسعار و استفحال الغلاء حتى شرب الناس الدم من مذابح البقر و الغنم و أكلوا الميتة[2].

أمّا المنعرج الثاني والحاسم في تاريخ الأندلس فهو سقوط غرناطة سنة (897 هـ-1492م) وظهور محاكم التفتيش لملاحقة المسلمين، وكان بمثابة نهاية الصراع الأندلسي الإسباني [3]و أصبح الأندلسيون أضيع من الأيتام، ولنا أمثلة على ذلك إذ أن أسرة إبن سيد الناس ممثلة في أبي بكر اليعمري كانت مثالا للإغتراب الأندلسي حيث تحول فرع منها إلى المغرب وانتقل الآخر إلى القاهرة و عائلة ابن الحاج التيجيبي الذي رحل مع عائلته إلى دمشق، و على هذا الأساس كانت محنة الأندلس السياسية سببا في هجرة الأندلسيين من كافة الفئات نحو المشرق أو نحو بلاد المغرب هذه الأخيرة ، كانت دولها تشتكي هي أيضا الوهن و الضعف بعد سقوط دولة الموحدين وعودة الإنقسامات إليها انطلاقا من منتصف القرن السابع الهجري الثالث عشر للميلاد، فكانت سببا في هجر ة البعض من علمائها.

ب- في بلاد المغرب:

على إثر سقوط دولة المرابطين(سنة 541 هـ-1146 م)، ظهرت على أنقاضها دولة الموحدين و إمتد نفوذها على كامل بلاد المغرب و الأندلس، هذا التبدل في الدول حمل معه تبدلا في المذاهب والآراء، فبينما كانت دولة المرابطين سنية مالكية، بدت الحركة الموحدية مزيجا من آراء المعتزلة و الأشعرية الشيعة و السنة، فكان ذلك سببا في ظهور

---

[1]جمال الذين عبد الله بن محمد، "طرد المسلمين من الأندلس: مراحله، آثاره ونتائجه ،ج2، ط1، عن ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، 1996م، ص115

[2] المراكشي ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج3، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ص106.

[3]حسن محمد، المرجع السابق، ص575.

المجموعات المعارضة المتضررة وبرزت عدم قدرتهم على مسايرة التطورات الجديدة وكان من الطبيعي أن يتخذ أصحاب السلطة الجدد، قرارات ردعية لمصادرة الأفكار فأحرق الموحدون كتب الفروع المالكية مثلما أحرق المرابطون كتاب ''الإحياء للغزالي[1] ونظروا إلى المارقين عن أفكارهم نظرة معادية .

وقد ذكر لنا المقري في كتابه "نفح الطيب" مثالا على ذلك حيث يصف أحوال العالم أبو الوليد محمد بن عبد الله بن فيرة القرطبي (ت 551 هـ- 1156م) بقوله: "وخرج في الفتنة بعدما علا ذكره في قرطبة وأقام بالإسكندرية خوفا من بني عبد المؤمن بن علي وكان يقول دائما كأني و الله بمراكبهم قد وصلت إلى الإسكندرية [2]، لقد كان كلام ابن فيرة القرطبي تعبيرا عن معاناته التي شهدها مع الموحدين شأنه شأن الأخرين أيضا، حيث تواصلت الإضطهادات والمصادرات مع الدول الجديدة التي ظهرت بعد الموحدين أدت إلى عودة الإنقسام من جديد إلى بلاد المغرب وما صحبه من ثورات و صراعات بين هذه الدول، وهي الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى، الزبانية بالمغرب الأوسط والمرينية بالمغرب الأقصى، كان دافعا إلى هجرة العلماء من بلاط إلى آخر أو نحو المشرق.

ففي الدولة الحفصية كانت الأوضاع السياسية مضطربة بعد وفاة المستنصر بالله(سنة 675 هـ-1276م) فتولى ابنه من بعده السلطان أبو زكريا يحي الملقب بالواثق لكنه لم يعبأ بشؤون الدولة، فلك ان أن ثار عليه وخلعه (سنة 677 هـ-1278م) ومات في السجن (سنة 679 هـ-1280م) [3] ثم يأتي بعده السلطان أحمد بن مرزوق الملقب بالداعي سنة (680هـ - 1281م)، و الذي زاد الأمور سوءا بسبب سياسته الجائرة فقد و صفته

---

[1] الزركشى محمد بن إبراهيم، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989م، ص8.

[2] أحمد المقري، المصدر السابق، ج2، ص 240

[3] الوزير السراج، الحلل السدسية في الأخبار التونسية، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985 م، ص154

المصادر بصيغ المبالغة إذ "كان قتالا، سفاكا للدماء، خسيسا يظهر قطع المنكر ويأتيه [1]، وكانت مدة حكمه القصيرة في صراع مع أمراء البلاد.

أما الدولة الزيانية فقد ظلّت محلّ صراع بين الحفصيين والمرنيين في محاولة كل منهما ضمها إلى دولته، وكان الطرف المريني أكثر إلحاحا حيث وصل الأمر إلى حدود تهديد المجال الحفصي من قبلهم فكانت محاصرتهم لتلمسان (سنة 727 هـ-1226 م) إلى (سنة 749هـ-1248م) وعودتهم بقيادة السلطان عبد العزيز (سنة 772 هـ-1270م) أدت إلى فرار السلطان الزيانى أبي حمو بن يوسف[2]، رغم أن الدولة المرينية كانت تشهد كذلك عدم الاستقرار، فكان المشهد السياسي للدول الجديدة تعتريه الفوضى والإضطراب، هذا الوضع جعل عديد العلماء يشهدون عدم الاستقرار، فكان تنقلهم من بلاط إلى آخر بحثا عن الأمن على أرواحهم والأمثلة عديدة على ذلك، فالعلامة "شيخ العلوم العقلية أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي التلمساني كان قد فر إلى المغرب الأقصى، نحو بلاط المرينين لأن سلطان تلمسان أبو حمو بن يغمراسن بن زيان كان يكرهه على التصرف في أعماله و ضبط الجباية بحسبانه"[3].

ثم رحل إلى تونس مع الحملة التي قادها السلطان المريني أبو الحسن (748 هـ-1347 م) و العلامة عبد الرحمان ابن خلدون الذي عرف بتنقلاته العديدة بين البلاطات هروبا من المؤامرات التي زجت به في السجن (سنة 758 هـ-1356م) بالمغرب الأقصى[4]، و الأخوان أبو زيد عبد الرحمان و أبي موسى عيسى اللذان فرا من تلمسان إلى

---

(1) المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص155.

(2) مؤنس حسين، تاريخ المغرب وحضارتهالعصر الحديث، ج2، ط1، للنشر والتوزيع، بيروت، 1998م، ص124.

(3) ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقا، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2006م، ص 27

(4) الوزير السراج، المصدر السابق، ج2، ص 67.

تونس بعد مقتل والدهما ومصادرة أملاكه من قبل السلطان[1].

وتبقى الأمثلة عديدة على هؤلاء اللاجئين، ولئن كان قد وفق البعض منهم في خضم الصراعات السياسية بين السلاطين في النجاة فإن البعض الآخر ذهب ضحية الإتهامات الملعقة والمؤامرات و الصراعات الفكرية وهو ما يبعث على التأسف على هؤلاء عندما نقرأ في المصادر طرق موتهم، جاء في كتاب "الوفيات" لابن قنفذ القسنطيني و "تاريخ الدولتين للزركشي أن السلطان الحفصي المستنصر بالله قد أمر في صبيحة يوم الثلاثاء سنة 658 هـ- 1759 م بقتل الفقيه الأديب العالم الحجة أبي عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف "بابن الابار[2]"، بعد أن أوغرت صدره وشايات الحساد، فقتله و أحرق مؤلفاته التي بلغت 45 مؤلفا[3] .

وفي سنة 704 هـ-1304م أمر السلطان الزياني أبو البقاء بقتل الأديب وقاضي الجماعة ببجاية الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد الغبريني فقتل في محبسه بعد أن أشاعت بطانته أنه بصدد الإعداد للإطاحة بالسلطان[4]،و في سنة 776 هـ- 1374م كان مصير لسان الذين ابن الخطيب بفاس الملقب بذى الوزارتين (لجمعه بين الكتابة و الوزارة) حيث وجهت إليه تهمة الزندقة والإلحاد[5]

فاعتقله السلطان أحمد بن إبراهيم و أرسل أمير غرناطة الغني بالله وزيره بن زمرك[6] إلى فاس فكانت مؤامرة قد حبكت بين هؤلاء كان الهدف منها التخلص من هذا العالم الوزير،

---

[1]ابن خلدون، المصدر السابق، ص28

[2]الزركشي، المصدر السابق، ج2، ص73.

[3]القسنطيني ابن قنفد، الوفيات،ط4، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983م ، ص324.

[4]ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص619

[5]ابن قنفد، المصدر السابق، ص 371.

[6]ابن زمزك: هو أبو عبن الله محتد بن يوسف بن احمد الصريحى المعروف بابن زمرك الأندلسي قتل سنة 793هـ-1390م من السلطان الغرناطي الغنى بالله، احمد الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج4، منشورات وزارة الثقافة, الدار البيضاء، 2001م، ص264

إنتهت بإستصدار فتوى بقتله فخنق في السجن وكانت نهايته [1].

ثم إن عبد الرحمن بن خلدون كان قد نجى في العديد من المرات من المؤامرات بفضل حنكته شأنه شأن العلامة أحمد بن مرزوق التلمساني الذي إنتقل بعد سجنه بفاس إلى تونس ومنها إلى مصر حيث ولاه السلطان المملوكي الأشرف مناصب علمية استمر قائما بها إلى حين وفاته(سنة 780 هـ- 1378م).

لكن شقيقه الفقيه أبو زكرياء يحيى بن خلدون كان مصيره مماثلا لجده إذ قتل بإيعاز من السلطان الزياني أبي تاشفين(سنة 780هـ-3781م).[2]

وهكذا كانت حياة العلماء غير أمنة ببلاد المغرب فالدسائس والمؤامرات كانت تمرر بسهولة إلى أصحاب النفوذ من قبل أطراف فاعلة خاصة أولئك الفقهاء المسيطرين على المذهب السني، والذين يرفضون العلوم العقلية فابن خلدون أحد الشهود على ذلك العصر ذكر كيف أن فقهاء المذهب السني كانوا يقاومون مخالفيهم أصحاب العلوم العقلية التي "لم يعد يدرسها إلا عدد قليل من الأفراد تحت رقابتهم "وكان كل مخالف لهم يلقى مصيره بمجرد توجيه تهمة خطيرة إليه.

---

(1)بروكلمان كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1968م، ص336ينظر: ابن قنفد، المصدر السابق ، ص374.

(2)ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق ، ص893 ينظر: بر ونشفيك (روبار)، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 م، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م ، ص369

الفصل الأول

حواضر ومدارس العلم بالمغرب الأوسط والمشرق الإسلامي خلال القرون

7-8-9هـ/13-14-15م

يعدّ المغرب الأوسط من المناطق التي تغذّت بالثقافة الإسلامية منذ عصر الفتوحات، فتأثرت بمختلف التيارات الفكرية التي طبعت المجتمع الاسلامي بطابعها، فنمت في أهله التثبيت بالإسلام و تعاليمه السمحاء و احترام العلم و العلماء و تبجيلهم، وقد عرف ملوك و سلاطين المغرب الأوسط بنصرتهم للعلم و تأييدهم للعلماء، فظهر فيهم العالم و المؤرخ و الشاعر و المتصوف و الأديب و قربوهم إلى مجالسهم كما عملوا على تضخيم سلطانهم و توسيع أمصارهم فأصبح ذلك سببا في عموم المعارف على المدن و القري، رغم ما تعرض له المغرب الأوسط من إضطرابات سياسية و عسكرية إلا أن النشاط الثقافي و الفكري ظل قائما .

أمّا المشرق الإسلامي فقد اهتمّ حكامه و سلاطينه بالمنجزات العلمية فأكثروا من إنشاء المساجد و المدارس و الخوانق و البيمارستانات، التي كانت تؤدي عدة وظائف خاصة التعليم ، وكان لهذه المؤسسات طاقم يسيره وفق عدة شروط معينة و كانت تنفق عليها الأموال بسخاء نظرا لوفرة المداخيل المالية من عائدات التجارة الدولية و تجارة العبور، ذلك ما مكن للطلبة و العلماء الجو الملائم للعلم و الإستفادة من شتي العلوم النقلية و العقلية.

أولا– إهتمام حكام وسلاطين المغرب الأوسط بالحركة العلمية:

شهد المغرب الأوسط خلال الفترة الممتدة من القرن (7هـ-9هـ /13م-15م) نشاطا ثقافيا وحركة علمية كبيرة ميزها بالدرجة الأولى إهتمام الملوك والسلاطين بالعلم والعلماء فكانت مدينة تلمسان عاصمة للزيانيين في المغرب الأوسط ومركزا للإشعاع الثقافي في العالم الإسلامي[1]، فالنزعة العلمية والثقافية التي تميز بها أمراء و سلاطين المغرب الأوسط و على رأسهم سلاطين بني زيان [2]، شأنهم في ذلك شأن أغلب أمراء وملوك

---

[1] محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، 1983م، ص 215.

[2] أنظر الملحق رقم 01، ص 325

الدول الإسلامية المعاصرة لهم مشرقا ومغربا فرغم تنافسهم على السلطة وإنشغالهم بالحروب ومواجهة الفتن الداخلية ، فإنهم لم يعدموا شرف تشجيع العلماء على التدريس والإندماج والتأليف [1]، والمصادر التاريخية حافلة بإسهامات الملوك والسلاطين في تفعيل[2] الحركة الثقافية والعلمية في المغرب الأوسط، فالسلطان يغمراسن بن زيان كان يحرص على مجالسة العلماء والصلحاء ويكثر من زيارتهم وله في أهل العلم رغبة عالية، يبحث عنهم أين ما كانوا ويستقدمهم بما هم أهله [3] .

فقد طلب من العالم أبو اسحاق بن يخلف التنسي القدوم والتدريس بالجامع الأعظم قائلا: "ماجئتك إلا رغبا منك أن تنقل إلى بلادنا وتنشر فيه العلم وعلينا ما نحتاج "وكان يذهب بنفسه لحضور دروسه في الجامع الأعظم مما يوضح إهتمامه بالعلم والعلماء [4]، وكان حريص على إحاطة عرشه بشخصيات لها تجارب و كفاءات عالية في الأمور السياسية[5]، والإدارية ومنهم أبوبكر المرسي الاندلسي(ت 686هـ - 1287هـ)، حيث كانت له مكانة مرموقة في الأدب وقد جعله كاتبا لرسائله التي يوجهها الى السلاطين والملوك[6]، أما السلطان أبو حمو موسي الأول 701هـ-1301م/718هـ-1318م، فقد جعل من تلمسان منارة

---

[1] عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني"دراسة سياسية,عمرانية,اجتماعية,ثقافية"، ج1، موفم للنشر و التوزيع، الجزائر 2002م، ص82

[2] لخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان(633-962هـ/1236- 1554م) ، دكتوراه دوله في التاريخ الاسلامي، جامعة أبوبكر بلقايد ، تلمسان، 2004-2005م ، ص99.

[3] يحي ابن خلدون،بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، ج1، تحقيق:عبدالحميدحاجيات ، إصدارات المكتبةالوطنية ، الجزائر,1400هـ-1980م، ص 126

[4] محمد الطمار، تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة وحضارة الجزائر، المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007، ص 68

[5] لسان الدين بن الخطيب ، الاحاطة في اخبار غرناطة ،ط1، نسخ، يوسف بن الطويل، بيروت دار الكتب العلمية، 2003م، ص 134

[6] محمدتفادي، إسهامات الآبلي في الحياة الفكرية خواصر المغرب ، منشورات وزارة الشؤون الدينية تلمسان ، 2011م، ص 80

العلم يقصدها العلماء و أهل الفكر [1]،كما رحب بالفقهين ابني الإمام أبو زيد و ابو موسي حين وفد من مدينة برشك[2]، و بني لهما مدرسة ناحية المطهر[3]، لقد إجتهد السلطان أبو تاشفين الأول في إسترضاء العلماء و تقريبهم إليه حيث أكرم وفادة العالم أبو موسي عمران (سنة 745هـ-1344م) و ولاه التدريس بالمدرسة الجديدة[4].

ويذكر إبن مرزوق الخطيب عن أبو الحسن الحربي في كتابه المسند بأنه صاحبا لأهل العلم والشيوخ و محبا للأولياء و كان يشاركهم مناقشة المسائل العلمية وكان حريصا على جلب العلماء[5]، بالإضافة إلى تشجيع سلاطين المغرب الأوسط في عهد بني زيان للحركة الثقافية كان بعضهم علماء وأدباء الشيء الذي كان له الأثر الإيجابي على نشاط الحياة الثقافية مثل أبو حمو موسى الثاني (723-791 هـ/ 1322-1389م) الذي كان ملما بالعلم[6]، حيث ألف كتابا أدبيا وسياسيا سماه "واسطة السلوك في سياسة الملوك " بالإضافة إلي بناءه للمدرسة اليعقوبية [7]، التي جلب إليها النخبة من الأساتذة كما خطى العلماء والطلاب بعطف هذا السلطان وتشجيعه لهم فنال الكتاب والشعراء من كرمه

---

[1]يحي ابن خلدون, العبر،المصدر السابق ,ج1، ص139,ينظر: عبد العزيز الفيلالي , المرجع السابق ,ج1 ,ص 321

[2]لخضر العبدلي، المرجع السابق ، ص98

[3]ابن مرزوق الخطيب، المسند الحسن في ماثر و محاسن مولانا ابي الحسن ، تحقيق : ماريا خيسوس بيغيرا ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1981م، ص265

[4]أحمد الونشريسي، المعيار فتاوي افريقيا و الأندلس و المغرب، اخرجه جماعة من الفقهاء ، ج11،دار الغرب الاسلامي، بيروت ، 1981م، ص389

[5]ابن مرزوق الخطيب، المصدر السابق، ص260.

[6] أحمد المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: سعيد أحمد عراب، منشورات صندوق احياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة العربية والامارات العربية، 1409هـ - 1980 م ، ص 243

[7]حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته من قبل القمع إلى الغزو الفرنسي، ج2، ط 1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، 1992، ص 137.

وعطائه[1]، كما ساهم السلطان أبو زيان محمد الثاني (796هـ- 801هـ/1394م-1399م) مساهمة فعالة في الحركة العلمية والأدبية والتي صورها لنا التنسي في كتابه" نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان " قائلا: فأقام سوق المعارف على ساقها وأبدع في تنظيم مجالسها واتساقها فلاحت للعمل في أيامها الشموس ارتاحت فيه نفوس بعد نفوس"[2]، كما شجع على التأليف ونسخ الكتب وحبسها بخزانته التي شيدها بالجامع الأعظم بتلمسان، و شهد عهد السلطان أبو العباس أحمد العاقل (834-866هـ/1431-1462م) محاولات إنفلاتيه و ثورات من قبل منافسه من البيت الزياني ولكن ذلك لم ينسه على تشجيع العلم والعلماء[3]، فكان يشجع ويحضر دروس العلماء و بني مدرسته بزاوية الحسن بن مخلوف أبركان[4].

ثانيا: حواضر العلم بالمغرب الأوسط :

إستعادت الثقافة بالمغرب الأوسط نشاطها فظهرت حواضر مهمة بلغت العشر، في كل من تلمسان و بجاية و وهران وقسنطينة وقلعة بني حماد و بونة وجزائر بني مزغنة، وورجلة وهذا فضلا عن بعض المراكز الأقل أهمية في هذه الفترة مثل أشير، وزواوة[5]، و ما زونة و

---

[1] التنسي، تاريخ ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر و العقبان في شرف بني زيان، تحقيق:محمود بوعياد ، منشورات المكتبة الوطنية ، الجزائر ، 1405هـ-1985م، ص179.

[2] التنسي، المصدرالسابق، ص 210-211

[3] عبد العزيز فيلالي، المرجع ا لسابق، ج2 ، ص 323

[4] خالد بلعربي، **الحياة الثقافية في عصر الشيخ محمد بن يوسف السنوسي**، مجلة عصور العدد 17، مطبعة وهران، 2011م، ص 166، عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2 ، ص324.

[5] سميت بزواوة لكثرة جموعهم، إذ أن معنى زواوة بلغتهم جمع الشيء فهو زاواو، و أزوي تعني جاء ومعه غيره، وهي إشارة إلى اتحادهم وتحالفهم أمام الاخطار، أو هي تصحيف للاسم البربري قواو أو زواوا نسبة لأحد أبناء يحي بن تزميت بن ضريس، ويدعى زواو ومنه أخذت القبيلة تسميتها وهي من البتر، مفتاح خلفات، قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط، ما بين القرنين(6-9هـ/12-15م) دراسة في دورها السياسي والحضاري، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2011م، ص50-51.

بسكرة، و تاهرت...وغيرها، يقول ابن خلدون:"إن كانت الأمصار العظيمة التي كانت معادن العلم قد خربت، مثل :البصرة والكوفة، إلا أن الله قد أدال منها بأمصار أعظم من تلك، وإنتقل العلم منها إلى عراق العجم بخراسان وما وراء النهر من المشرق، ثم إلى القاهرة وما إليها من المغرب،فلم تزل موفورة وسند التعليم كما قائما"[1]، ورغم استمرار الحواضر العلمية الأولي في المغرب الإسلامي "كفاس"، و"بجاية"، و"القيروان"، إضافة إلى المراكز العلمية المشرقية، كدمشق وبغداد، وبصفة خاصة "القاهرة" المملوكية، التي كانت محور إرتكاز سياسي، وملاذا آمنا للكثير من الشخصيات المغربية البارزة، حيث وجدوا في بلاط السلاطين الرعاية و الحظوة على غرار الرحالة ابن جبير (ت 614 هـ-1217م)[2].

أما الحواضر الأم التي حوت أقطاب العلم في المغرب الأوسط، وشهدت أزهى عصورها العلمية و تلألأت كالكواكب العلمية في مختلف أنحاء المغرب الأوسط و هي تلمسان وبجاية، و قد ساعد في نمو وإزدهار الحواضر العلمية إنتشار مراكز علمية ومؤسسات ثقافية مهمة كان لها الدور الكبير في إبقاء المشعل الثقافي متقدا، وأعني بالمراكز العلمية المساجد أولا فقد ظل المسجد دائما على إمتداد التاريخ الإسلامي هو المركز الأهم للدراسات العلمية والثقافية في العهود التي نعيشها وقد تتبعها الكتاب ،والزاويا ثم بعد ذلك المدارس، ثم المكتبات كما ساهم في ظهور الحواضر العلمية انتشار التعليم في وسط مجتمع المغرب الأوسط وطبقاته وفئاته لأن التعليم أساس نهضة الشعوب والأمم، فكان بهذه الحواضر نوعان من التعليم: التعليم الاحترافي، والتعليم التطوعي الشعبي، مما سمح بازدهارها كمراكز علمية هامة وحواضر فكرية [3].

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص353.

[2] ابن جبير، المصدر السابق ، ص256

[3] عبد العزيز فيلالي، **تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، مجلة الوعي**، **دار الوعي**، العدد 3-4 ، أبريل –ماي، 2011م، ص09.

كما تبيّن لنا المصادر الحياة التعلمية والثقافية في هذه الحواضر، بذكر المراكز النشيطة في نشر العلممن خلال كثرة الشيوخ، وتوفر المدارس، كما تبين لنا أهم التجمعات العلمية للشيوخ في العدوتين[1] وأهمها على الإطلاق فاس ومراكش وتلمسان وبجاية، ولن نبالغ إذا قلنا بأن كل مدن المغرب الأوسط ومناطقه كانت مراكز يؤمها الطلاب والمتعطشون للمعرفة، حيث يجدون ضالتهم في حلقات المساجد والمدارس التي إنتشرت في مدن المغرب الأوسط من شماله إلى جنوبه، إن تلمسان و بجاية من حواضر الأوسط العلمية و السياسية ففي نظر الجغرافيين فان بجاية بدايته وتلمسان تمثل نهايته[2]، كما أن الكثير من الأحيان كان العلماء يختارون بجاية أو تلمسان للإقامة بهما، فتربعت تلمسان وبجاية على صدارة تاريخ المغرب الأوسط أكثر من ثلاثة قرون ازدهر خلالها، وتطور العمران وإنتعش الاقتصاد والتجارة فاشتهرت العديد من رجالات الفكر والدين والسياسة و جلبت الرحالة والجغرافيين والمهاجرين.[3]

أ- حاضرة بجاية:[4]

بجاية إسم خالد في تاريخ المغرب الإسلامي بشكل عام و في حضارة المغرب الأوسط بشكل خاص، إذ تعد ثاني عاصمة لدولة بني حماد، أما عاصمتهم الأولى فقد كانت مدينة القلعة المشهورة "بقلعة بني حماد" [5]، التي إرتبط إسمها باسم مؤسسها "حماد

---

[1] عبد الله المرابط الترغي، فهارس علماء المغرب، منذ النشأة الى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة،ط1، منشورات كلية الادب والعلوم الإنسانية، تطوان، المغرب ،1999م، ص424.

[2] موسي لقبال ، **زناتة و الاشواق الحسنيون في محل تلمسان المغرب الأوسط** ، مجلة الأصالة، السنة الرابعة ، العدد ، 26، 1976م، ص91.

[3] بونار رابح، **بجاية سلسلة الفن والثقافة،** وزارةالاعلام و الثقافة، ديسمبر، 1975م، ص100.

[4] أنظر الملحق رقم 02، ص 326

[5] **القلعة**: اختطها حماد بن بلكين سنة 398هـ على قمة جبل يسمى تاقربوست ، و هي قرب أشير، و ليس لهذه القلعة "منظر ولا رواء حسن إنما اختطها حماد للتحصن و الامتناع، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، دار صادر، بيروت 1995م، ص 163 .

بـن بلكـين " [1] الـذي إسـتطاع بعـد المكاسـب الـتي حققهـا كرجـل حـرب بتكليـف مـن ابـن أخيـه "باديـس بـن المنصـور [2]، الـذي سـرح عمـه حمـاد لحـرب القبائـل المعارضـة و اخـتط مدينـة القلعـة (سـنة 398هـ-1007م) [3]، و اسـتمرت حالـه إلى أن نهـض باديـس بأمـره، و كتـب إليـه يأمـره برفـع يديـه علـى مـا ملكـه، فـامتنع حمـاد و سـاء مـا بينهمـا إلى قيـام حـروب عظيمـة خلفهـم فيهـا أبنـائهم، فإنقسـم الملـك الصـنهاجي إلى دولتـين الدولـة الزيريـة أصـحاب القـيروان ، ودولـة حمـاد بـن بلكـين أصـحاب القلعـة[4]، وأمـا عـن بجايـة العاصـمة الثانيـة للحمـادين فيرتـبط ظهورهـا إلى أحـداث تاريخيـة هامـة توجـت بظهورهـا علـى مسـرح الاحـداث، فيرجـع بنـاء مدينـة بجايـة إلى ذلـك العـداء التـاريخي بـين الـدولتين الصـنهاجيتين الزيريـة و الحماديـة و الـذي تمثـل في فـترة "الناصـر بـن علنـاس "صـاحب القلعـة و "تمـيم بـن المعـز "[5] صـاحب المهديـة [6]، و تتحـدث الـروايات التاريخيـة أن سـبب النـزاع كـان لمـا وصـل لتمـيم أن الناصـر يتحـدث فيـه في مجلسـه و يذمـه فعـزم علـى المسـير إليـه ليحاصـره بالمهديـة, يـري صـاحب الاستبصـار أن بـن

---

[1] حمـاد بـن بلكـين: كـان ملكـا كبـيرا وشـجاعا ثبتـا وهـو الـذي بـنى القلعـة المنسـوبة إلى حمـاد تـوفي في شـهر رجـب سـنة تسـع عشـرة وأربعمائـة ، لسـان الـدين ابـن الخطيـب، أعمـال الأعـلام، قسـم الثالـث تاريـخ المغـرب العـربي في العصـر الوسيط، تحقيق: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م، ص 86

[2] باديـس بـن المنصـور: أبـو منـاد باديـس بـن منصـور بـن بلكـين بـن زيـري بـن منـاد الحمـيري الصـنهاجي المغـربي ولـد سـنة 374م بأشـير وتـوفي سـنة 406هـ، تـولى افريقيـة بعـد أبيـه المنصـور، ابـن العمـاد الدمشـقي، شـذرات الـذهب في أخبـارمن ذهـب، ج5، ط1، تحقيـق: عبـد القـادر الأرناؤوط ، تعليـق، محمـد الأرناؤوط، دار ابـن كثـير، دمشـق، 1976م ، ص 38-39

[3] ابن خلدون، العبر، المصدرالسابق، ج 6 ، ص210.

[4] المصدر نفسه، ص210

[5] تميم بـن المعـز: صـاحب القـيروان، السـلطان أبـو يحـي الحمـيري، ولـد سـنة 422هـ وتـوفي سـنة 501هـ تـولى الحكـم سـنة 445هـ ابن العماد الدمشقي، المصدر السابق، ج6، ص 5-6

[6]المهديـة: إختطهـا أبـو عبـد الله المهـدي وإليهـا نسـب، وهـي جزيـرة متصـلة بالـبر كهيئـة كـف، ياقـوت الحمـوي، المصـدر السابق، ج5، ص 230

علناس خرج لنصرة ابن عمه ضد العرب بعدما حوصر في المهدية[1]، وهنا أرسل تميم إلى حلفاءه من بني رياح ضد الناصر يحملهم عليه فوافقوا مقابل تقديم المعونة فأعطاهم المال و السلاح فجمعوا قومهم و تحالفوا على لقاء الناصر[2]، فإلتقى الفريقان في (سنة 457هـ-1076م) بين الناصر بن علناس و من معه من صنهاجة و زناتة و عدي و الأثبج و بني رياح و زغبة و سليم و تميم بن المعز في موقعة سبيبة [3]،و يقول ابن الاثير فقد انهزم الناصر و قتل من أصحابه خلق كثير و نهبت أمواله و مضاربه ،و قتل أخوه و غنمت جميع ما كان في المعسكر من مال و سلاح و دواب[4].

أما عن بناء مدينة بجاية فترجع إلى أحداث تاريخية هامة ، فلما نجا الناصر إلى القلعة نزلت عليه جيوش العرب و ضيقوا عليه ببلاده فكان يصانعهم حتى ضاق ذرعا بهم [5]، فانزعج الناصر فلم يعد يستقم له العيش في قلعته فكان لابد في هذه الحالة أن يختط مدينة أخرى، فكان له ذلك بعدما تصالح مع ابن عمه تميم بن المعز[6] بعدها اهتم تميم بن المعز لما حدث لابن عمه مع العرب و أصابه حزن شديد فبلغ ذلك الناصر[7]، وكان له وزير يسمى " أبا بكر بن أبي الفتوح "[8] الذي قام بإرسال رسولا لتميم بن المعز لعقد هدنة

---

(1) مؤلف مجهول ،الإستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق: سعد زغلول، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م، ص 129.

(2) سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج3، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د.ت)، ص453

(3) سبيبة: ناحية من أعمال إفريقية ثم من أعمال القيروان، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3،ص 186.

(4) إبن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، دار بيروت للطباعة، بيروت, 1402هـ-1984م، ص 373

(5) مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 129

(6) إبن عذاري، البيان المغرب ، ج1، المصدرالسابق، ص 309 (وكان هذا الصلح الذي عقده المعز والناصر سنة 470هـ، وزوجه ابنته بلارة)

(7) إبن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 373.

(8) أبا بكر بن أبي الفتوح، هو وزير الناصر تذكرة المصادر أنه كان له ميل لدولة تميم، يحب الاتفاق بينهما ، المصدر نفسه، ج 8، ص 373.

فقبل تميم بذلك، و أرسل رسولا إلى الناصر " محمد بن البعبع " [1]، الذي مر على موضع بجاية و قدم على الناصر و غدر بصاحبه تميم بن المعز و استخلى بالناصر، و قرر مع الناصر الهرب من تميم وعدم الرجوع إليه، و أشار عليه بناء بجاية من ذلك الموضع ، فأمر الناصر من ساعته بالبناء و العمل [2].

يرجح البعض أن السبب الرئيسي لتشييد بجاية هو أن الناصر كانت له أطماع توسعية و يريد فتح المهدية، فرأى أنه لا يستطيع فتحها إلا إذا هجم عليها من جهة البر و البحر، لذلك اختار مرسي يكون قريب من افريقية،[3]يرى ابن الخطيب أن السبب في بناء الناصر لبجاية كرهه مجاورة بني حماد في القلعة، إذ كان يسكنها من فرسان صنهاجة اثنا عشر ألف فارس[4].

و يرى البعض الآخر أن بناء مدينة بجاية يرجع إلى خراب القلعة، كنتيجة بموقعة سبيبة غير أن المؤرخ رشيد بوروبة يرى أن قلعة بني حماد كانت غير مهددة من طرف بني هلال، و الدليل على ذلك حسب قوله أنها بقيت عاصمة ثانية للحماديين و أن الأميرين (الناصر و المنصور) شيدا فيها عدة مباني شهيرة[5]، إنّ موضع بجاية كان موقعا لمدينة أسسها الفينيقيين تعرف باسم "صلدة" ثم انتقلت إلى الرومان باسم "صلداي" أما البكري فيصفها على أنها مرسي سماها "مرسي بجاية" [6].

---

[1] محمد بن البعبع: بعث به تميم بن المعز للناصر لعقد الصلح بينهما وفي طريقه أعجب بموقع بجاية فأشار على الناصر ببناء بجاية، نفسه ، ج8، ص 374.

[2] ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص 339.

[3] رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م، ص 68.

[4]إبن الخطيب، المصدر السابق، ص 94.

[5] رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 69.

[6] أبو عبد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا و المغرب "جزء من كتاب المسالك و الممالك"، مكتبة المثني ، بغداد،1857م، ص82

ولم يدع صيتها في العهد الإسلامي إلاّ بعد ما اختطها الناصر (سنة 460هـ-1036م) و سماها الناصرية، و انتقل إليها (سنة 461هـ -1037م).

أما ابنه المنصور فنزل ببجاية (سنة 483هـ-1059م) فإتخذها دار ملكه، و جدد قصورها و شيد جامعها، فبنى في بجاية قصر اللؤلؤة و قصر أميمون[1]،و شهد صاحب الاستبصار بقوله " لم ير الراؤون أحسن منها بناء و يصفها بأنها "نقشت أحسن نقش و أنزلت بالذهب "[2].

ظلت بجاية مدينة عامرة و زاهرة إلى آخر حكامها " يحي بن العزيز " ففي(سنة 547هـ -1152م)، قوضت دولة الموحدين بقيادة أميرها عبد المؤمن[3] دولة بن حماد نهائيا في بجاية و القلعة.

حيث حاصر عبد المؤمن بجاية و ضيق عليها أشد التضييق ، فلما رأى يحي بن العزيز أنه لا يستطيع منعهم فأرسل إليه عبد المؤمن الجيوش ، و دخل عبد المؤمن بجاية و قلعة بني حماد و أقام فيها مدة شهرين و فتح أقطارها [4].

ظلت بجاية و حتي سقوط الدولة الحمادية تلعب دورا هاما، جعلها مركز اهتمام الدويلات التي حكمت المغرب بعد الدولة الموحدية كالحفصية، و المرينة،و الزيانية.

---

(1) ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 232.

(2) مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 130.

(3) عبد المؤمن بن علي بن مروان بن عامر بن الأمير موسى بن مادغسين بن بر بن عيلان بن عدنان ولد سنة 487هـ في أسرة فقيرة من قرية تاجرا نواحي ندرومة ، طلب العلم في بلدته ثم رحل إلى ملالة أين التقى بابن تومرت، و هو الذي خلف المهدي بن تومرت و أسس بذلك الدولة الموحدية توفي سنة 558هـ بعد أن قام بتوحيد الغرب الإسلامي،إبن خلكان، وفيات الأعيان في أنباء الزمان،ج3،تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص 237.

(4) عبد الواحد المراكشي، المصدرالسابق، ص 272.ينظر: ابن أبي زرع الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس، صور للطباعة و الوراقة ، الرباط ، 1972م، ص194.

ب – حـاضـرة تلمـــسان:

تعتبر مدينة تلمسان من أعظم مدن المغرب الأوسط، وقد مرت بمراحل تاريخية مثل باقي مدن العالم كما شهدت حركة ثقافية حضارية و عمرانية عظيمة ، وأول من بناها الرومان و كانت تسمى بوماريا[1]، و كذلك تدعي تلمسان "مدينة الجدار" أي الحائط وهى محاطة بالأسوار، مما يدل على قدمها لقلة المدن المسورة في العهد القديم خصوصا بالمغرب، و يذكر إبن خلدون أن تلمسان هي قاعدة المغرب الأوسط و أم بلاد زناتة إختطها بنو يفرن و ما يزعم بعض العامة من ساكنها أنها أزلية البناء و يعود بنوعبد الواد إلى قبيلة زناتة، و الدليل على ظهورها في مسرح الأحداث التاريخية في بلاد المغرب الأوسط هو أن معركة العقاب (سنة 609هـ-1212م)[2]، والتي تعتبر من أهم العوامل في تفكك الدولة الموحدية و تصدع الصرح الذي شيده عبد المؤمن و من خلفه من كبار هذه الدولة و من العوامل التي أضعفتها أيضا هو الصراع حول الحكم خاصة مع مجيء حكام ضعاف و بهذا كان نفوذ السلطة الموحدية قد ضعف و تلاشى و لم يبق إلا في تلمسان[3].

كان يحكم قبيلة عبد الواد أيام الدولة الموحدية جابر بن يوسف و هو عم يغمراسن فدخل هذا الأخير تلمسان ، و أعلن الدعوة للمأمون الخليفة الموحدي و بعث إليه معلنا طاعته فعهد له المأمون بتسيير أمور تلمسان و كان ذلك عام (627هـ -1229م)[4]، وهي اللبنة الأولى في تأسيس دولة بني عبد الواد المستقلة إذ قال صاحب كتاب بغية الرواد: " إذ أن تلمسان أصبحت في مطلع شمسها و فاتحة فرقانها "[5]، ثم آلت الإمارة بعد وفاة

---

[1] جورج مارسي، مدن الفن الشهيرة تلمسان، ترجمة سعيد دحماني، دار النشر التل، البليدة، 2004 م، ص 8.

[2] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 331

[3] عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسي الزياني حياته وأثاره، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م،ص11

[4] بوزياني الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،1993 م، ص 25.

[5] يحي ابن خلدون، المصدرالسابق، ص 16.

جابر إلى إبنه الحسن (629م -1231م) ثم إلى ابن عمه زيدان (631-633هـ /1231-1233م)، ثم إلى يغمراسن (633هـ -1236م)[1]، و ذكر إبن خلدون في العبر:" بأنه أشجعهم بأسا واعظمهم في النفوس مهابة و إجلالا و أعرفهم بمصالح قبيلته فقد جعل من تلمسان قاعدة إمارة و أخد يوسع رقعتها على حساب الحامية الموحدية الضعيفة"[2] .

كما مرت بأدوار تاريخية هامة، ففي الدور الأول كانت ضعيفة و ذلك لأن :موقعها الجغرافي كان وسطا بين دولتين هما الحفصية و المرينية فكان حالها كالمحصور بين شقي الرحى، و قلة الأنصار في بداية عهدها[3]، ودام الدور الأول (من 633هـ-1235م/737هـ-1336م) من تاريخ قيام الدولة الي تاريخ سقوطها في قبضة الحسن المريني .

والدور الثاني كانت الفترة الزمنية قصيرة جدا ودامت أربعة سنوات أي من (سنة 749هـ - 753هـ/1348-1352م)، و هى فترة مميزة عن الدور الأول في كونه بدأ بعد بعد فترة زمنية دامت تسع سنوات تميزت خلالها دولة بني زيان بالاستقلال التام عن نفوذ الدولتين الحفصية و المرينية[4]

أما الدور الثالث و هو دور الأبهة و السلطان المطلق و يعتبر بمثابة الذورة من حيث النظم و السيادة المطلقة ، و لقد جعل أبو حمو الثاني من دولته منارة للعلم و الفن و الأدب في المغرب الإسلامي و إهتم بشؤون الدولة السياسية و شؤون الجيش و بهذا كانت حياته حافلة بالحروب وقد قتل في معركة ضد بني مرين و حليفهم أبي تاشفين بن عبد الرحمن.[5]

---

[1]عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص 13.

[2] ابن خلدون ، العبر، المصدر السابق ،ج7، ص16

[3]بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 26.

[4]المرجع نفسه، ص34.

[5] عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص 159

الدور الرابع هو مرحلة الإنحدار والسقوط من سنة 791 -962هـ /1390-1561م ويظهر لنا ضعف هذا الدور من خلال سياسة و ضعف الحكام وكان همهم هو السلطة والمال بالاضافة إلى الانشقاقات العائلية و التي كانت العدو الأكبر لدولة بني عبد الواد[1].

فالملاحظ أن موقعها الجغرافي رغم أنه إستراتيجي إلّا أنه كان عائقا بحيث كانت تلمسان تتوسط بلاد المغرب الإسلامي وجيرانها الأعداء كانوا ينهبون من أراضيها، و رغم ذلك، كانت تلمسان في العهد الزياني من أرقى العصور من حيث الثقافة و العلم و أيضا العمران و قد وصفها ابن خلدون و قال: " فاختطوا بها القصور المونقة و المنازل الجميلة و إغترسوا الرياض و البساتين و أجروا خلالها المياه، فأصبحت أعظم أمصار المغرب و رحل إليها الناس من القاصية و نفقت بها أسواق العلوم و الصنائع، فنشأ بها العلماء و إشتهر بها الإعلام و ضاهت أمصار الدول الإسلامية "[2]، ولتولي حكمها بعض الحكام العظام الذين أرادوا لتلمسان أن تكون حاضرة تفوق حواضر المغرب الإسلامي و الأندلس.[3]

ثالثا : المدارس بالمغرب الإسلامي

إختلف الباحثون في تحديد بداية ظهور المدرسة المغربية بفعل تباين المصادر المعتمدة حيث تشير النصوص التاريخية على وجود المدارس في المغرب الإسلامي[4]، منذ عهد حكم الخليفة الموحدي يعقوب المنصور (580-595هـ/1184-1199م) حيث يذكر إبن أبي زرع في كتابه "الأنيس المطرب بروض القرطاس" بقوله: "أنه كان عالما بالحديث و

---

(1) إبن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان،ط1، تقديم هاني سلامة، مكتبة الثقافية الدينية، مصر, 2001م، ص 70.

(2) يحي ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 92.

(3)نفسه، ص92

(4) تقي الدين المقريزي ، الواعظ و الإعتبار بذكر الخطط و الأثار المعروف بالخطط المقريزية، تحقيق: محمد زينهم و مديحة الشرقاوي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة، 1998م، ص315,

الفقه و اللغة، مشاركا في كثير من العلوم النافعة للدين و الدنيا، محبا للعلماء، معظما لهم صادرا عن رأيهم، كما يواصل ابن آبي زرع في فقرة أخرى، متحدثا عن الأعمال العمرانية للخليفة الموحدي يعقوب المنصور في قوله "...و حصن البلاد و ضبط الثغور و بني المساجد و المدارس في بلاد المغرب و إفريقية و الأندلس..... و أجرى المرتبات على الفقهاء و الطلبة على قدر مراتبهم و طبقاتهم". [1]

أما ابن مرزوق في كتابه "المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن" فقد جاء برأى مخالف حيث يقول: " إن إنشاء المدارس كان في المغرب غير معروف حتى أنشأ مولانا المجاهد الملك العابد (أبو يوسف إبن يعقوب المريني) مدرسة الحلفائيين بمدينة فاس وبعدوة القرويين منها[2].

كما أشار التيجاني إلى المدرسة المنتصرية"التي بنيت بطرابلس الحفصية بين سنتي(630-658هـ/1234-1260م) بقوله :" أحسنها المدرسة المستنصرية التي كان بناؤها .. بين سنة خمس وخمسين و ست مائة"[3]، و اعتبرها القاعدة لانطلاق بناء بقية المدارس التي أشار إليها بحيث أن (سنة 646هـ-1248م)، و الذي تقلد الخلافة (سنة 650هـ-1252م)، قد أخذ التقرب من المالكية في إفريقية عن طريق تأسيس مدرسة.[4]

إن هذا التباين في الآراء و الإختلاف في وجهات النظر ما هو إلا سبب لغياب الشواهد الأثرية و كذا اندثار المباني التعليمية التي ترجع إلى الفترة السابقة عن المرينيين،

---

[1] إبن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص268.

[2] إبن مرزوق التلمساني، المصدرالسابق، ص405.

[3] أبو العباس أحمد التيجاني، رحلة التيجاني ، المطبعة الرسمية تونس، 1958 م، ص251.

[4] محمد القبلي ، قضية المدارس المرينية ملاحظات و تأويلات ضمن كتاب : في النهضة و التراكم، المعرفة التاريخية ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ، 1987م، ص 51.

وعليه فان استعمال مصطلح المدرسة قد يكتنفه الغموض و قد يستخدم دون التدقيق في معناه و دلالته و أبعاده.[1]

أ-المغرب الأدنى:

عرف القرن السابع الهجري ظهور مدارس في تونس خلال الحكم الحفصي (625-941هـ/1218-1543م) , و أولها المدرسة الشماعية في سوق الشماعين في تلك الفترة[2]، أنشاها أبو زكريا عندما استقل عن الموحدين و محاربة مذهبهم القائم على تعاليم إبن تومرت، و إحياء للمذهب المالكي.[3]

أمّا المدرسة الثانية هي التوفيقية أو مدرسة الهواء أنشأتها الأميرة الحفصية عطف أم المستنصر و زوجة أبو زكريا(سنة 650هـ-1252م)، بالقرب من جامع الهواء.[4]

أما الثالثة فهي المريدية التي شيدها السلطان أبو زكريا يحي الثاني وهذا (سنة 683-1282م).[5]

وقد ازدادت المدارس إنتشارا خلال (القرن 9هـ-15م) حيث بلغ ستة مدارس، وقد واكب ظهور المدارس أنماط معمارية جديدة تتمثل في إلحاق مساجد أو زوايا أو أسبلة ونتيجة هذا التطور أطلق عليها "المدرسة الزاوية"

---

(1) الحاج موسى عوني، المدرسة المصباحية بفاس، ملاحظات حول إشعاعها العلمي ومميزاتها المعمارية المصنفة الفخرية للعالم محمد زبيس، المعهد الوطني للتراث تونس، (د.ت) ، ص2.

(2) أبي القاسم الرعيني المعروف بابن أبي دينار ، المؤنس في تاريخ افريقيا و تونس ، تحقيق :محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس ، 1967م، ص134

(3)Brunschvicg.(R) , « remarques sur les medersas tunisiennes »extrait de la revuetunisienne,2eme trimestre1931, p.273.

(4)محمد بن خوجة، تاريخ معالم التوحيد، المطبعة التونسية، تونس، 1385هـ-1960م، ص245

(5)Brunschvicg. (R), opcit,p265.

ب-في المغـرب الأقصـى

كـان إنشـاء المـدارس في المغـرب الأقصـى بعـد ثلاثـين سـنة مـن تاريـخ إنشـاء أول مدرسـة في المغـرب الأدنى وتعتـبر الدولـة المرينيـة بالمغـرب الأقصـى، أكثـر دول المغـرب الإسـلامي نشـاطا في المجـال العمـراني وتشـييد المـدارس بصـفة خاصـة, وكانـت أول المـدارس الـتي أنشـات بالمغـرب الأقصـى مدرسـة الصـفارين يرجـع تاريخهـا إلى حكـم السـلطان المـريني الثـاني أبـو يعقـوب ابـن عبـــد الحـــق (657-685هـ/1258-1286م في أواخـــر القـــرن 7هـ-13م)[1]، و تصنف المدارس إلى مجموعات :

-المجموعــة الأولى: (710-732هـ / 1310 -1331م) ترجـع إلى عهـد أبي سـعيد عثمـان المـريني حيـث أنشـأ هـو وإبنـه الأمـير أبـو الحسـن أربـع مـدارس هـي: مدرسـة فـاس، مدرسـة دار المخـزن (سنة720هـ-1321م)، ثم مدرسة الصهريج بناها الأمير أبو الحسن (سنة 725هـ-1325م)

- المجموعـة الثانيـة- (749-759هـ/1348-1357م) : تضـم مجموعـة المـدارس الـتي أنشـاها السـلطان أبـو الحسـن أو كلـف بهـا ولي عهـده أبا عنـان و تشـمل مدرسـة سـلا، الـتي شـيدت سـنة 746هـ/1341م و المصـباحية الـتي عاصـرت تاريـخ تأسـيس مدرسـة سـيدي بومـدين بتلمسان سنة (751هـ / 1346 م).[2]

ولقـد ذكـر ابـن مـرزوق أن أبا الحسـن أنشـا في كـل بلـد مـن بـلاد المغـرب الأقصـى والأوسـط مدرسـة "فأنشـأ بمدينـة تازة قـديما مدرسـتها الحسـنة وبـلاد مكناسـة ، وسـلا وطنجـة وسـبتة،

---

[1] Bel Alfred, inscription arabes de Fès, extrait du journal asiatique, imprimerie nationale, paris, 1919, p93

[2]شـارل أنـدري جوليـان، تاريـخ إفريقيـا الشـمالية، تعريـب: محمـد مـزالي، البشـير بـن سـلامة، الـدار التونسـية للنشـر، الشـركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1969م، ص90.

وأغمات ومراكش والقصر الكبير والعبادبتلمسان، وبالجزائر مدارس مختلفة الأوضاع بحسب إختلاف البلدان.[1]

المجموعة الثالثة: 749-759هـ/1348-1357م:

هما المدرستان اللتان تنسبان لأمي عنان و فارس ،بوعنانية مكناس التي ابتدأ إنشاءها على عهد والده، وبوعنانية مدينة فاس الكبرى التي تمتاز بجمال فائق،وكان يطلق عليها المدرسة المتوكلة [2].

ج- مدارس المغرب الأوسط:

تأخّر ظهور المدارس إلى غاية القرن الثامن هجري أي القرن الرابع عشر ميلادي حين قلّد بنو زيان حكام بني مرين في تشييد المدارس.

فسعى بنو زيان لبناء المدارس في مدن المغرب الأوسط و توجيه الرعية للتعليم وفق المذهب المالكي من أجل الوحدة السياسة المذهبية[3]، ومن هذه المدارس التي ذاع صيتها في تلمسان الزيانية :

ج-1مدرسة أولاد الإمام

شهد العقد الأول من القرن 8هـ-14م البداية التأسيسية للمدارس التعليمية بتلمسان، وكان ذلك على عهد أبي حمو موسى الأول، وتعد مدرسة أولاد الإمام من أهم أثاره العمرانية الجديدة و الجميلة بالمدينة على حد تعبير التنسي[4].

---

(1) إبن مرزوق، المصدر السابق ، ص406.

(2) حسن الوزان، وصف افريقيا، ج1، ترجمة, محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، لبنان ، 1983م، ص215

(3) صالح بن قرية، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2007م، ص140.

(4)التنسي ، المصدر السابق ، ص 139.

ولعل غاية أبو حمو من إنشائه المدرسة[1] هو العمل على تأسيس المجال العلمي المخصص لتعليم الكبار من الطلبة، وهذا بعد اقتناعه بمكانة الفقيهين إبني الإمام وإقتناعه بضرورة وجود المدرسة ضمن مؤسسات الدولة، أن سبب انشاء ابو حمو المدرسة يعود إلى درايته برغبة الفقهين بالإستقرار بتلمسان و الذي تعدر بسبب الحصار[2]، و شهادة الكاتب المريني منديل بن محمد الكناني بمكانتهما العلمية السبب الذي حفز أبو حمو على اختطاط المدرسة لابني الامام[3]، كما يرجع التنسي سبب إنشاء أبي حمو للمدرسة دخول الفقيهين تلمسان بعد وفاة يوسف بن يعقوب المريني، فلم يرى ما يؤدي به شكر الله على النعمة من قتل عدوه وتعجيل الفرج بنهاية الحصار، إلا الإعتناء بالعلم من جهة، ومن جهة أخرى ضرورة القيام بحق العالمين بإنشاء المدرسة لهما من باب الإكرام والاحتفال بهما[4].

إن تحديد تاريخ بناء المدرسة يدعونا إلى النظر في رواية إبن خلدون المتعلقة بقدوم الفقهين إلى تلمسان بعد وفاة يوسف المريني (سنة 706هـ-1306م)، هذا النص الذي يؤكد فيه قدومهما أثناء عهده بالحكم فأوصلهما الكناني إلى أبي حمو و اختطّ لهما المدرسة المعروفة باسمهما في تلمسان و أقام عنده على هدي العلم و سننهم[5]، من جهة أخرى نجد إبن خلدون يناقض هذه الرواية برواية أخرى في كتابه العبر ويذكر أن قدوم الفقيهين كان

[1] Atallah Dahina, les états de l'occident Musulman aux XIII, XIV et XV siècles, Instituent gouvernemental et administratives office des publications universitaires, Alger, p316

[2] ابن خلدون ،العبر، المصدر السابق، ج6 ،ص118

[3] المصدر نفسه ، ج6 ، ص120

[4] الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعدالسعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخرالقرن التاسع عشر،ط1، تحقيق ودراسية: يحي بوعزيز، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1990م، ص 166,ينظر:محمد بوركبة، أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار دراسة و تحقق ، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ و الحضارة الاسلامية، قسم الحضارة الاسلامية، جامعة وهران ، 2007-2008م ، ص 435.

[5] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص118

على عهد أبي زيان "فأشاد الكناني - على أبي زيان وأبي حمو بمكانتهم في العلم، ووقع ذلك من أبي حمو أبلغ المواقع، حتى إذا إستقل بالحكم إبتنى المدرسة [1].

ويقول المقري أن أبا زيان و أبا حمو إختصا إبني الإمام إلا أنّ أبا حمو كان أشد الإعتناء بهما [2].

فيبدو من هذه النصوص أن بداية الأشغال بهذه المدرسة كانت بعد تولي أبي حمو الحكم مباشرة خلال سنة (707هـ-1307م) [3]، وإنتهت الأشغال بها سنة (710هـ-1310م)[4].

تقع المدرسة داخل المدينة من الجهة الغربية، غير بعيدة عن باب كشوط، بينما إنفرد إبن خلدون بالقول أنها تقع بناحية المطمر[5]، إضافة إلى بيوت الطلبة[6] .

يوجد بالمدرسة إيوانان يمثلان قاعة الدرس، فكان لكل من المدرسين أبي زيد عبد الرحمن و أبي موسى عيسى إيوان خاص به للتدريس، كما أنشأ لهما منزلين الفقيهين بالإضافة إلى المسجد الملحق بالمدرسة رغم إندثار المجمع المعماري الخاص بالمدرسة و ظل المسجد يحمل إسم إبنا الإمام [7]

---

(1) إبن خلدون ، المصدر السابق ، ج7 ، ص118.

(2) المقري ، المصدر السابق، ج6 ،ص 181.

(3) يحيى إبن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 130.ينظر: إبن خلدون، التعريف ، المصدر السابق، ص120

(4) Louis Abadie, Tlemcen au passé retrouvé, France, Edition Jacques Gandin, 1999, p62.

(5) ابن خلدون، العبر، المصدرالسابق، ج7، ص118

(6) زكية راجعي، الزخارف الجدارية في المغرب الأوسط، من بداية العصر الحمادي الى نهاية العصر المريني، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الإسكندرية، كلية الادب، قسم التاريخ والأثار المصرية والإسلامية ، 1993م، ص129.

(7) William Marçais et Georges Marçais, les monuments arabe de Tlemcen, Paris Ancienne librairie thorin et fils Albert fontemaing;édition 1903, P168

ج-2 : المدرسة التاشفينية:(1)

هي ثاني مدرسة أنشأت بتلمسان[2]، بأمر من السلطان الزياني أبو تاشفين الأول (718-737هـ/1318-1337م)[3]، فلا تكاد تخلو كتب التاريخ عن وصفه بحبه الشديد للبناء والتشييد، وولوعه ببناء الدور والقصور والمنتزهات بصيرا بالتشكيل والاختراع، وتعلقه بالفنون المعمارية الجميلة، والتي كانت شغله الشاغل[4]، من أجل ذلك "جلب من الأندلس البنائين و أسرى الروم والزلاجين والزواقين، فبنى القصور والمنتزهات وغيرها وخلد أثارا لم تكن لمن قبله كدار الملك ودار السرور، و بني النهر والصهريج الأعظم وكذلك شجرة الفضة"[5].

و يطلق عليها المدرسة الجديدة للتفريق بينهما وبين المدرسة القديمة "مدرسة أولاد الإمام " وأيضا يطلق عليها بالمدرسة التاشفينية[6]، نسبة إلى مؤسسها السلطان أبو تاشفين، ولعله أنشأها عندما أصبح عدد الطلبة كبيرا على مدرسة إبني الإمام، وأصبحت لا تكفي نظرا لإقبال الطلبة عليها بإستمرار وتهافتهم على العلم[7].،أما تاريخ إنشائها فلم تشر المصادر إلى ذلك و إكتفت بالقول أنها أنشأت خلال حكم أبي تاشفين (من 718- 737هـ/1318-1337م) [8]، تقع المدرسة جنوبي الجامع الأعظم على يمين المقبرة المالكية التابعة للقصر القديم [9]، فلقد أبدع المهندسون و البناؤون الأندلسيون في تصميميها و نباءها و أودع فيها إبن تاشفين جزءا كبيرا من زخارف

---

(1) أنظر الملحق رقم 03، ص327

(2) ابن مريم التلمساني، البستان في دكر الاولياء و العلماء تلمسان ، عناية و طبع ، محمد بن أبي شنب ، المطبعة الثعاليبية ، الجزائر ، 1326هـ-1986م ، ص 65.

(3) يحي إبن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص215, ينظر:إبن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج 7، ص 123

(4) يحي إبن خلدون، المصدر نفسه، ج 1، ص 216 ينظر: التنسي، المصدر السابق، ص 140-141.

(5) نفسه، ج 1، ص 216..

(6) المقري، المصدر السابق، ج 7، ص 169 ,ينظر : إبن مريم، المصدر السابق ، ص 65

(7) محمد الطمار، تلمسان عبر العصور، المرجع السابق، 1983،ص 128.

(8) إبن خلدون، التعريف، المصدر السابق، ص 62.,ينظر : المقري، المصدرالسابق، ص 169.

(9) التنسي، المصدر السابق ، ص141

قصوره، ولم يترك شيئا مما إختصت به قصوره المشيدة إلا و شيد مثله فيها، حتي وكأنها قصر ينافس قصوره في الجمال والروعة، وقد وصفها التنسي بالمدرسة التي لا نظير لها[1].

والمدرسة تحفة فنية فريدة تضم عدة بنايات ورواقات[2]، وهي ذات طابع أندلسي، وفر فيها أبو تاشفين كل وسائل الراحة للطلبة والمدرسين، وعلى ما يبدو فإن المدرسة التاشفينة بقيت قائمة إلى غاية الاحتلال الفرنسي حيث شاهد القس بارجيس المدرسة بكامل جمالها وزخرفتها قائلا: "لا تزال قائمة وكذلك حسنة الصيانة [3] كما إحتفظ ببعض صورها[4]، ولكن مصير هذه المدرسة كان مؤسف، فقد تعرضت سنة 1843م للهدم الأولي في ملحقتها من الناحية الجنوبية والشرقية ليتم تشييد المبنى الأول للبلدية[5]، وفي سنة 1873م وبناء على قرار الإدارة الفرنسية هدمت المدرسة بالكامل بدعوى توسيع الطرق لتكميل وتوسيع مقر البلدية[6]، هذه الأخيرة التي تم إنجازها سنة 1883م كما أنشأ بجانبها ساحة كبرى[7].

وقبل تنفيذ هذا القرار التعسفي، حاول المهندس المعماري دوتوا (Duthoit) إنقاذ المبنى بالكامل، ولا شك أن قيامه بتنقيحات وترميمات كان الهدف من ورائها بقاء المدرسة كأحد الرموز الأثرية الحضارية لمدينة تلمسان، وتمكن هذا الأخير من الحصول على

---

(1) التنسي ،المصدر السابق، ص 142.

(2) عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 141

(3) جورج مارسي، المرجع السابق، ص 54.

(4) المهدي البوعبدلي، **مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر**، مجلةالأصالة، تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، قسنطينة، مطبعة البعث، شوال، ذو القعدة، 1392هـ، نوفمبر، ديسمبر 1972م، العدد 11، ص87.

(5) Hadj Omar Lachachi, le passe prestigieux de Tlemcen, ancienne capital du célèbre ya ghmoracen, fondateur de la nation, édition, benmerabet;2011, p183.

(6) Louis Abadie, Op.cit, p62.

(7) عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص 62.

ترخيص من الوزارة على نقل جزء من فسيفسائها إلى متحف تلمسان، ومتحف الجزائر، وجزء آخر من القطع الأثرية الجميلة إلى متحف اللوفر (Louvre) الذي سلمها إلى متحف كلوني (Cluny) و سرعان ما عادت هذه القطع إلى الجزائر [1]، بعد أن تمكن قرار المحافظ من إعادة القطع إلى شمال إفريقيا وبالتحديد إلى متحف الجزائر.

و يعد هدم المدرسة التاشفينية أحد الأهداف الاستعمارية في القضاء على المعالم الحضارية للجزائر ومحاولة طمس شخصيتها الإسلامية، ولقد تأسفت بعض الشخصيات الفرنسية من هدمها قائلة "لقد كانت خسارة لا يمكن تعويضها لتاريخ تلمسان "[2]، وفعلا كانت خسارة لتاريخ وحضارة الزيانيين بالمغرب الأوسط.

ج-3مدرسة أبي مدين (العباد)[3]

خلال فترة حكم أبي تاشفين تعرضت تلمسان للاحتلال والحصار المريني الذي ضربه عليها السلطان أبو الحسن (سنة 737هـ-1336م)، بعد أن تمكن من فرض سلطانه على المغرب و سد ثغوره[4].

---

(1) Hadj Omar Lachachi, Op.cit, P183.

(2) Hadj omar lachachi,op.cit, p184.

(3)عن منطقة العباد:"هذه القرية بمثابة ربض لتلمسان تقع بالجنوب الشرقي للمدينة، ويطلق عليها بالعباد لكثرة قبور العلماء وأهل التعريف، ولا تبعد عنها إلا بنصف فرسخ من جهة الجنوب، وموقعها فوق جبل، يذكر المؤرخون... فيه ضريح مشهور يقل أن مرابطا يحظى بتعظيم كبير مدفون فيه، قبره في المسجد الأعظم والبترول إليه بدرجات، وعلى مقربة من هذا المسجد توجد مدرسة ومستشفى يقصدهما المعمرون من الغرباء، وكلاهما من بناء رابع حلفاء فاس ذلك ما يشاهد مكتوبا خط مزخرف على لوحة من مر مر فوق الباب الرئيسي ."مر موال كربخال، إفريقية،ج2،ط3، ترجمة: محمد حجي، محمد زنيبر ومحمد الأخضر أحمد توفيق وأحمد علوان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط،1984، ص 323.أنظر الملحق رقم 04 ، ص 328

(4) إبن خلدون، العبر ، المصدرالسابق، ج7، ص 303..ينظر: التنسي، المصدر السابق، ص 144-145.

وأول ما أمر بإنجازه إعادة بناء معالم المنصورة [1]، وأمر ببناء مسجد قرب ضريح أبي مدين شعيب بالعباد[2]، و الذي تم بناؤه (سنة 739هـ-1338م)، و ببناء مدرسة بالقرب من المسجد[3]، وهي ثالث مدرسة بعد مدرسة أولاد الإمام و المدرسة التاشفينية و عليه تعد مدرسة أبي مدين من أضخم وأهم الإنجازات العمرانية والتعليمية للمرينيين بالمدينة، وقد أنشأت سنة (747هـ-1347م)، أي بعد ثمان سنوات من بناء المسجد[4]، وعلى غرار ما سبق فإن المدرسة تقع بظاهر العباد الفوقي بإزاء الجامع ضمن المجمع المعماري الذي أنشأه أبو الحسن المريني، وهذا المجمع يتكون من مجموعة من المباني السكنية التي تجمع بالقرب من ضريح الولي الصالح أبي مدين شعيب، بالإضافة إلى المسجد والمدرسة[5]،فإنها تتصل بالمسجد من الغرب مباشرة فوق هضبة صغيرة أعلى منه، وكأنها ذات ثلاث طوابق، وهذا العلو الطبيعي زاد المدرسة شموخا, وكان يفصلها عن المسجد الرواق المحيط به من جهات الأربع[6],أما ما تعلق بكنيتها فيرجع نسبه إلى أبي مدين شعيب [7]،لأنها أنجزت بالقرب من ضريحه ، وكذلك

---

[1] المنصورة: هي المدينة التي أمر ببنائها السكان المريني أبو يعقوب بن يعقوب بن عبد الحق أثناء حصاره لتلمسان سنة 702هـ 1302 وهي تقع بالقرب من السير الذي ضربه حصا تلمسان، وأمر الناس بالبناء فابتنوا الدور الواسعة والمنازل الرحيبة والقصور الأنيقة، وأمر باتخاذ الحمامات والفنادق والمارستان، كما شيدبا جامعا واستبحر عمر اما ونفقت أسواقها ورحل إليها التجار من كل مكان، حتى صارت من أعظم الأمصار بالمغرب خر بما بنو زيان بعد وفاة السلطان أبو يعقوب سنة 705هـ.يحي ابن خلدون،المصدر السابق،ج1،ص210

[2]صالح بن قرية، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص 115.

[3] إبن مرزوف، المصدرالسابق، ص 406

[4] A. Berque, l'Algérie terre d'Art et d'histoire a consulter sur place, 1937cet ouvrage a été tire sur les presse de l'ancienne imprimante Victor meinty,p196

[5] مارمول كر بخال، المرجع السابق، ص 323.

[6]العربي لقريز، مدارس السلطان أبي الحسن علي "مدرسة سيدي أبي مدين نمودجا"، دراسة أثرية وفنية ، رسالة دكتوراه كلية العلوم الأنسانية و العلوم الاجتماعية,قسم الثقافة الشعبية ، شعبة الفنون الشعبية ، جامعة أبو بكر بلقايد ، تلمسان، 2000-2001م، ص61

[7] أنظر الملحق رقم 05، ص329

المسجد الذي يحمل نفس الاسم ، ويطلق عليه مدرسة العباد و ذلك لوجودها بمنطقة العباد ، أما حاليا فتسمى المدرسة الخلدونية نسبة إلى عبد الرحمن بن خلدون الذي انتصب للتدريس بها (سنة 746هـ-1345م) [1].

ويمكن القول أن المدرسة تحفة فنية رائعة تصل إليها بعد صعود السلم مباشرة إلى بهو صغير يقابل باب المدرسة تعلو واجهة الباب زخارف و أقواص[2]، ولها صحن مستطيل الشكل ، يتوسطه حوض أو صهريج ماء من الرخام المنحوت و محفورة على أرضية الصحن لجلب الماء الفائض من النافورة المتمثلة في الحوض الصغير[3]، الذي يستعمل للشرب والوضوء[4]، ويقابل الحوض قاعة كبيرة تتسع للحلقة الكبيرة و مخصصة للصلاة و إلقاء الدروس وهي تتسع لعدد كبير من الطلاب [5].

زخرفت جدران قاعة الدرس بفسيفساء رائعة ذات زخارف هندسية بالغة الجمال والروعة، حيث يوجد في نهاية الجدار المزخرف حزام خزفي، ويحتوي المحراب من الداخل والخارج على زخرفة هندسية، ويوجد في الأسفل منه بلاطات تعود إلى العهد التركي، ويحيط بالمحراب شريط زخرفي بخط مغربي من الجانبين، يقرأ من اليمين إلى اليسار" **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** [6]" كما يعلو المحراب زخارف تحمل اسم الجلالة "الله، "الحمد"، "البركة"[7].

---

[1] ابن خلدون، الرحلة ، المصدر السابق، ص 245.

[2] G.W.Marcais, Op.cit, P274

[3] العربي الفريز، المرجع السابق، ص 63.

[4] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1 ، ص 143.

[5] G.W.Marcais, Op.cit, P275

[6] القران الكريم، سورة البينة، الاية 5

[7] العربي لقريز، المرجع السابق، ص 65-66

أمـا سـقف القاعـة يحتـوي علـى قبـة خشـبية تحتـوي علـى مجموعـة سـوالف تلتقـي عنـد نجمة أفقية، و الإطار الخشبي به كتابة بخط مغربي عبارة عن أبيات شعرية يثني على مؤسس المدرسة

بنانيگي قيمً لدَي دينـــَــــا الإسْلاَم أَميَر المُسْلميـنَ

أبُو الحَسنْ الذي فيه الَمزاَيَا تَفـوُقُ النُـظُـم بـاْ الثَمينـَـا

وقد سماه خالـقه عليـــا فأعلاه أعـطـاه يـــقينـــــا

لَشهْر ربيَع الثاني لَســبـع خلَونَ من السنن وأربعينـــَــــا[1]

ج-4مدرسـة سـيدي الحـلوي:

يعـد إنشـاء السـلطان أبـو فـارس عنـان لمدرسـة سـيد الحلـوي أحـد أهـم الآثار العمرانيـة الهامـة في تاريخ المرينين بتلمسان.

ولقـد جـاء إنجـاز هـذه المدرسـة ضـمن جملـة مـن المنشـآت العمرانيـة الـتي أمـر السـلطان أبـو فـارس عنـان ببنـاء هـا قـرب ضـريح الشـيخ الصـوفي أبي عبـد الله الشـوذي الإشـبيلي المعـروف بالحلوي[2]، وتشـمل هـذه المنشـآت المسـجد الـذي أنشـأ أولا[3]، والـذي أطلـق عليـه إبـن الحـاج جـامع الخطبـة الأعظـم"[4]في حـين تشـير الكتابـة الأثريـة للمسـجد الجـامع ضـريح الـولي الرضـي الحلوي"[5].

---

(1) لعربي لقريز ،المرجع السابق، ص88

(2) يحي إبن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 129.,ينظر: إبن مريم، المصدر السابق، ص 68 - 70

(3) إبـن الحـاج النمـيري، فـيض الغيـاب وإفاضـة قـداح الأدب في الحركـة السـعدية في قسـنطينة والـزاب،ط1، إعـداد محمـد شقرون ، دار الغرب الإسلامي، الرباط، 1990م، ص488.

(4) المصدر نفسه، ص 488.

(5)رشـيد بورويبـة، الكتـابات الأثريـة في مسـاجد الجزائـر، ترجمـة: ابـراهيم شـبوح، الشـركةالوطنية للنشـر و التوزيـع و المكتبـة الوطنية، الجزائر، 1979 م، ص97.

ثم أنشأ بالقرب منه الزاوية والمدرسة[1]،وكان سبب إنشاء السلطان أبي عنان للمدرسة قرب المسجد والزاوية بهدف التقرب من الشيخ ونيل بركته والاعتناء به [2]، مع العلم أن شهرة الشيخ الحلوي زادت بعد إقامة هذه المنشآت على ضريحه[3].

كان إختار أبو عنان ضريح الشيخ الصوفي الحلوي ليقيم عليه هذه المنشآت التعليمية، لأن الضريح كان أكثر مزارا من الأضرحة الأخرى وسط عامة تلمسان وكان للسلطان أبي عنان ميولا لطريقة الشيخ الطريقة الشوذية "[4].

وكان له إعتناء كبير بشعر إبن خميس التلمساني والذي كان أحد المنتمين إلى الطريقة الشوذية، إن وجود المدرسة بالقرب من ضريح الحلوي كان تعداد في نسبتها إليها بمدرسة سيدي الحلوي، رغم أنها أقيمت في الأصل لتخليد ذكراه[5].

أما تاريخ إنشاء المدرسة فيمكن القول أن الأشغال بدأت في حدود سنة 754هـ أو بعدها بقليل لأن هذا التاريخ هو بداية بناء المسجد حسب ما أكدته الكتابة الأثرية الخاصة بجامع سيدي الحلوي[6].

---

(1) إبن الحاج النميري، المصدر السابق، ص 488.ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص33،35. يذكر البوعبدلي أنه توجد كتابة أثرية ثالثة عن المسجد وفيها كلمة ممحوة وقد بنى ابو عنان زاوية ومدرسة قرب المسجد الجامع " ، ص 89.

(2) إبن الحاج النميري، المصدر السابق، ص 488.

(3) الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر القرن 6-7هـ/12-13م ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004م، ص152.

(4) الطريقة الشوذية: نسبة إلى مؤسسها أبي عبد الله الشوذي الحلوي، ويتجه أصحاب هذه الطريقة بالوحدة المطلقة أي أن الله هو مجموع ما ظهر وما بطن ولا شيء سوى ذلك وكل ما نراه في الوجود هو أوهام يعقدها الضمير والإنسان مؤلف من حق وباطل، فإذا أسقط الباطل المتسبب الوحيد في هذه الأوهام بأنواع المجاهدات لم يبق سوى الحق الذي يحل في ذات الإنسان، المرجع نفسه، ص 147.

(5) نفسه ، ص 152.

(6) رشيد بوروبة، المرجع السابق، ص 97.

وعليه فإن المدرسة تقع عند ضريح الشيخ الحلوي والموجود خارج باب علي[1]، في الجهة الشمالية للمدينة وبالتحديد عند باب الحلوي[2]،وموقع المدرسة المدرسة من هذا المجمع العمراني جعلها تتصل بالزاوية الملاصقة للمسجد من جهة الجوف[3].

ولقد وصف إبن الحاج النميري المدرسة: بقوله: "... والمدرسة متعددة البيوت، بديعة النعوت، وبها أبواب تشرع إلى ديار كاملة المنافع، حسنة المقاطع معينة للرؤساء القائمين بالوظائف المتولين لأرجاء البادي والعاكف..."[4]

ج-5المدرسة اليعقوبية

بعد عودة البيت الزياني إلى الحكم (سنة 760 هـ-1359م) على يد السلطان أبي حمو موسى الثاني [5]، نجده قد أضاف إلى جانب الصروح الثقافية بالمدينة مدرسة أخرى تعد الخامسة بتلمسان.

إن تجاوز إهتمام أبو حمو العلوم العقلية و النقلية و تفوقه في الشعر و النثر إلى مرحلة التأليف في السياسة الملوكية وتنظيماتها من خلال" واسطة السلوك في سياسة الملوك" دلالة واضحة على تفوقه العلمي الذي كان أحد العوامل التي حفزته لإنشاء المدرسة، أما السبب الرئيس الذي دفع أبو حمو لإنشاء المدرسة فهي في رأى يحي ابن خلدون ترجع لوفاة والده أبي يعقوب (سنة 763هـ-1362م)[6]، وإقامة مدفنه برياض باب إيلان ثم نقله لرفات

---

[1] يحي إبن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 129.
[2] المصدر نفسه، ج2، ص90.
[3] إبن الحاج النميري، المصدر السابق، ص 488.
[4] المصدر نفسه، ص 488.
[5] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص480.
[6] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص103.

عميه السلطانين أبي سعيد و أبي ثابت فكان هذا أهم سبب لإنشائها و الشروع في بناء مدرسة وزاوية على قبورهم [1].

هذه الرواية يمكن إعتمادها إعتبارا بما ذكره يحي إبن خلدون مؤرخ السلطان أبي حمو الذي كانت إنجازاته محل إهتمامه في كتابه البغية، في حين يرى عبد الرحمن إبن خلدون أن سبب إنشاء السلطان للمدرسة هو إعتنائه بالفقيه أبي عبد الله الشريف المقيم بتلمسان "وله بنى مدرسته الكريمة الذي كان به حفيا ومكرما" .

أما التنسي فنجده قد حاول الجمع بين النصين أخذا كلاهما سببا في إنشاء المدرسة، وذلك من خلال نقله للنص نفسه من كلام عبد الرحمن بن خلدون أنه بنى له أبي عبد الله الشريف المدرسة حين توفي والده أبو يعقوب [2]، وكان بناءها (سنة 763هـ-1362م)، وتدشينها في الخامس صفر (سنة 765هـ-1364م)، وتخليدا لروح والده أطلق عليها إسم المدرسة اليعقوبية"، هذا ما أكده يحي إبن خلدون "... اليعقوبية لقبا لإسم أبيه رحمه الله هو مؤرخ في الرخامتين في باب المدرسة..."[3] وتقع المدرسة في وسط المدينة[4]، و وبالتحديد عند باب إيلان وبالقرب من مسجد إبراهيم المصمودي [5]، وهي تحتل موقعا جغرافيا هاما مثلها مثل المدرسة التاشفينية ولا يفصلها عن المسجد سوى 60 مترا فهي

---

(1) يحي إبن خلدون ، المصدر السابق،ج2، ص104.

(2)التنسي،المصدر السابق ، ص179.

(3)يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 104.

(4)التنسي، المصدر السابق، ص 179.

(5) إبراهيم بن محمد المصمودي: من كبار العلماء الصلحاء بتلمسان، قرأ بفاس على الكثير من العلماء منهم الشيخ الآبلي و بتلمسان قرأ بالمدرسة اليعقوبية على أبو عبد الله الشريف التلمساني، وبعد وفاته انتقال إلى المدرسة التاشفينية فقرأ على أبو سعيد العقباني، توفي سنة (803هـ/1303م)، ينظر: بلحاج محمد، ابن صعد التلمساني، النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، دراسة وتحقيق، مذكرة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية و الحضارية الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، 2007- 2008,ينظر: إبن القاضي ، درة الحجال في أسماءالرجال، تحقيق: محمد الاحمدي أبو النور ، ج2، ط1، دار التراث، القاهرة، 1970م، ص95.

تقع إلى الشمال من المسجد المذكور[1]، ولا تكاد المدرسة تنفصل عن المقبرة الملكية الزيانية المعروفة بروضة ملوك آل زيان التي أقامها أبو حمو مدفن والده [2]، كما دفن بهذه الروضة الشيخ إبراهيم المصمودي سنة 805هـ-1405م [3].

ووصف صاحب البستان شكلها المعماري قائلا: "...مدرسة مليحة البناء، واسعة الفناء، بنيت بضروب من الصناعات، ووضعت في أبدع الموضعات، وبساط أرضها بالزليج مرسوم، وحيطانها بالصناعة موشات وزليج أزهارها من أبدع الشيات... ووضع فيها صهريجا مستطيلا وعلى طرفيه من الرخام، فيالها من بناية ما أبهجها.... وأحسنها شكلا وأجملها..." [4].

وعلى غرار شاكلتها من المدارس فقد تهدمت و خربت معظم أجزاء هذه المدرسة في العهد التركي [5]، وهناك من قال أنها ظلت قائمة إلى العهد الفرنسي فاستعملت كثكنة للجنود [6].

ولعل ماجاء به بارجيس في وصفه للمدرسة سنة 1846م كان مصدرا إعتمده المتخصصون في القول بوجود المدرسة في ذلك الموقع، فقد قال عن المكان الذي وصفه أنه عبارة عن مدخل تذكاري يقع بالقرب من المسجد وهو من الحجر الأخضر اللون، ونظمت هذه القطع على شكل خطوط متشابكة، كما رأى في الجزء الأدنى من المدخل زخرفة التورية بلغت الغاية من الدقة والجمال، وزينت واجهة المدخل من الأعلى بكتابةتتضمن

---

[1]زكية راجعي، المرجع السابق، ص130.

[2]يحي إبن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص104، ينظر :الونشريسي، الوفيات، تحقيق: أحمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة، الرباط، 1976م، ص135.

[3]المقري، المصدر السابق ، ج4 ، ص315,ينظر : يحي إبن خلدون، المصدرنفسه، ج2 ، ص104.

[4] إبن مريم، المصدر السابق، ص 83.

[5] زكية راجعي ،المرجع السابق ،ص 130

[6] Hadj Omar lachachi, Op.cit, p195

الآيات القرآنية من سورة النصر [1]،وقد تم الهدم الكلي للمدرسة من طرف السلطات الفرنسية ولم يبق منها إلا مسجد الشيخ إبراهيم المصمودي، كما شاهد بروسلار بعض بقايا المدرسة ويحتفظ متحف تلمسان بلوحة من الرخام عثر عليها بين بقايا المدرسة وتتضمن قائمة بالموارد المالية المخصصة لتأمين حاجيات الطلبة والأساتذة [2].

ج-6 مدرسة الحسن بن مخلوف أبركان:

تعد هذه المدرسة السادسة بتلمسان أنشأها السلطان أبو العباس أحمد المعتصم بالله المشهور بالعاقل (834-866هـ/1437 -1446م) شيخ الصوفي أبي علي الحسن بن مخلوف أبركان[3] المشهور بالولاية والعلم و الزهد[4].

وكانت رغبة السلطان في نيل بركة الشيخ السبب الرئيسي لإنشاء المدرسة وهي محاولة صريحة منه للتقرب إلى الشيخ، والتي إعتبرها أحد مظاهر رعاية السلطان للشيخ الصوفي أبركان ، وكان السلطان يتردد عليه حتى في مجلس تدرسيه كما كان يشكو إليه همومه[5].

فكانت مظاهر الإمتنان هي السبب المباشر التي دفعت أحمد العاقل لقيامه بإنشاء المدرسة بزاويته و إعتنائه بأوقافها[6]، أما محمود بوعياد فإنه ينفي إنشاء السلطان للمدرسة بزاوية الشيخ الحسن بن مخلوف أبركان، ويشير إلى غموض العبارة التي وردت في انشاء المدرسة ويقول أن فعل- بنى - أستعمل في غير مكانه ويرى بأفضل استعمال لفظ رمم، و

---

(1)Barges(Abbe),Tlemcen ancienne capitale de royaume de ce nom ,Edition dupant et challa mel,paris,1859,p125

(2) زكية راجعي، المرجع السابق، ص 131

(3)التنسي، المصدر السابق، ص 248.

(4) أبو الحسن علي القلصادي، رحلة القلصادي، تحيق:محمد أبو الأجفان، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، (د.ت)، ص 108 .

(5) إبن مريم، المصدر السابق، ص87.

(6)التنسي، المصدر السابق، ص 248-249.

يبرز قوله أن المقصود بالمدرسة الجديدة هو الاسم الثاني للمدرسة التاشفينية[1]، اضافة لنص التنسي يؤكد وجود المدرسة بنصوص ذكرها إبن مريم في البستان بعدة مواضع[2]، بإعتبار أنها مدرسة قائمة للتدريس كبقية المدارس و أنشات المدرسة خلال حكم السلطان الزياني أحمد العاقل 834-866هـ/-1461م)[3].

2- حواضر ومدارس المشرق الإسلامي

أولا: إهتمام سلاطين المشرق الإسلامي بالحركة العلمية من القرن 7-9 هـ/ 13-15م

شهد المشرق الإسلامي خلال الفترة الممتدة بين القرن السابع و التاسع الهجريين- الثالث عشر و الخامس عشر ميلادي نشاطا ثقافيا و حركة علمية ملحوظة بالرغم من الأوضاع السياسية المتردية و المضطربة، فقد إهتم الأيوبيين بالعلم، فعملوا على مواصلة نشر العقيدة الإسلامية خاصة وأنهم وجدوا أنفسهم أمام إرث الفاطميين الشيعي، فركزوا على المذهب السني و بنوا المدارس السنية و أنشئوا المساجد و خصصوا لها ولمدارسها الأوقاف و إهتموا بالطلبة و العلماء [4].

وكان صلاح الدين الأيوبي قد نقل طراز المدارس السلجوقية في الشام إلى مصر وقلده وكنتيجة لهذه السياسة نشطت الحياة العلمية والثقافية مع الأيوبيين [5] و لما ورث المماليك دولة بني أيوب، لم يرضوا لأنفسهم أن يكونوا أقل شأنا في نشر الحركة العلمية و

(1) التنسي، المصدر السابق، ص 248.

(2) إبن مريم، المصدر السابق، ص90.

(3) التنسي، المصدر السابق، ص 249.

(4) إبن تعري بردي، النجوم الزاهدة، المصدر السابق ، ج7، ص 182

(5) المصدر نفسه، ج7 ، ص 182

الدراسات الإسلامية في عصرهم، فأنشئوا مدارس متعددة في كل أنحاء مصر و الشام والحجاز من أجل نشر العلم والثقافة [1]، , ولعل سبب إهتمام السلاطين بالعلم و أهل العلم و إحتضانهم لهم، يعود إلى هجرة الكثير من العلماء المشارقة إلى المغرب بعد إجتياح المغول للمشرق الاسلامي و دخولهم بغداد و بلاد الشام، فإستمر المقام لهؤلاء العلماء في مصر، التي أصبح لها دور الريادة السياسية و الفكرية بعد تحرير بلاد الشام من أيدي الصليبيين[2].

ومما ساعد على النهوض بالحركة العلمية هو أن حكام المماليك كانوا على جانب كبير من العلم والمعرفة، و قد تصدر بعضهم للإقراء و التدريس مثل السلطان الظاهر بيبرس (ت 676هـ - 1277م) الذي كان ميلا للتاريخ و أهله وقال " سماع التاريخ أعظم من التجارب " [3]

و كان الناصر محمد بن قلاوون (ت 741هـ -1340م) يعظم أهل العلم و المناصب الشرعية، ويقرب فيها إلا من كان أهلا لها[4]، ومن ذلك تعيين القضاة في الحرمين الشرفين، و إهتم باللغة العربية و علومها و بنى من الجوامع و المدارس الشيء الكبير[5]، و كان السلطان الأشراف أبو نصر قايتباي الجركسي ت 841هـ/1438م يميل إلي مطالعة كتب العلم و السير, وكان عصره من أزهي العصور بمصر من حيث النشاط الثقافي[6].

---

[1] السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج3، ط3، دار الجيل ، بيروت، 1992م ، ص 94

[2] سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليك في مصر والشام، ط2، دار النهضة العربية القاهرة، 1976م، ص351

[3] إبن تعودي بردي، المصدر السابق، ج7، ص182

[4] إبن حجر العسقلاني، الدار الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج4، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، تصوير إحياء التراث العربي، 2012م، ص 147

[5] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج1 ،تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، 1418هـ-1997م، ص 791 ينظر: ابن تعري بردي، النجوم الزاهدة ، المصدر السابق ، ج9 ، ص173

[6] المصدر نفسه،ج1 ،ص791

كما حرص السلطان الغوري على عقد المجالس العلمية و الدينية بالقلعة عدة مرات في الأسبوع و كثيرا ما كان السلطان نفسه هو الموجه للمناقشة، فتبدأ كل مسألة بعبارة " قال حضرة مولانا السلطان " ثم يجيب العلماء عن سؤاله [1].

وكان الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله الصالحي اليخمي (ت699هـ -1300م) الذي كان مشاركا في الفقه و الحديث وكان الفضلاء يحضرون مجلسه فيذاكرهم و يكرمهم، سمع الحديث بالحرمين الشريفين و القدس و مدن الشام و مصر، و خرج لنفسه معجما في أربعة عشر جزءا [2].

كان الأمير سيف الدين الناصري (ت852هـ-1449م) الذي تولي بناء القلعة بالقاهرة عالما بالحديث، و طلبه على الحافظ إبن حجر العسقلاني، وكان مشاركا في الكثير من العلوم و كان إبن أبي بكر الناصري الحتمي (ت895هـ-1492م) تعدي صغار المبتدئين[3].

وتصدر السلطان المؤيد شيخ المحمودي ت824هـ-1421م للإقراء و التدريس حيث كان يحمل اجازة برواية صحيح البخاري من حافظ زمانه سراج الدين البلقاني ت 805هـ-1402م[4]، و ترجم له في عداد مشايخه[5]، وكان المؤيد كثير التعظيم لأهل العلم و الإكرام لهم و يجالسهم و يجل الشرع النبوي و كان غير مائل إلى شيء من البدع[6]

---

(1) سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية القاهرة، 1962م، ص142

(2) إبن تعري بردي، النجوم الزاهدة، ج8، المصدر السابق، ص193.

(3) السخاوي ، الضوء اللامع، المصدر السابق، ج3 ، ص34,

(4) عمر بن رسلان بن عبد الحق الكناني القاهري البلقاني ولد ببلقنية من بلاد الغربية مصر و يعد من أشهر العلماء في الحديث و الفقه و الأصول و غيرها من العلوم ، السخاوي ، الضوء اللامع، المصدر السابق,ج6، ص85, ينظر: ابن العماد ، شدرات الذهب ، المصدر السابق،ج7 ،ص51

(5) عبد المنعم شاكر محمود ، إبن حجر العسقلاني دراسة مصنافته و منهجه و موارده في كنانة الاصابة ،دار الرسالة للنشر ، بغداد، ص50

(6))إبن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، ج3، ط2، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1406هـ-1986م، ص237

ثانيا – الحواضر المشرقية

ا- حاضرة دمشق

دمشق الشام، بكسر أوله، وفتح ثانية، وشين معجمه، و آخره قاف: البلدة المشهورة قصبة الشام، وهي حسب ياقوت الحموي، جنة الأرض بلا خلاف، لحسن العمارة ، وكثرة فاكهة، و نزاهة رقعة، و كثرة مياه، قيل: سميت بذلك لأنهم دمشقوا في بنائها، أي أسرعوا [(1)],و تقع دمشق، حيث الطول ستون درجة والعرض أربع وثلاثون درجة [(2)] و بلغت المدينة أوج مكانتها أيام حكم الأمويين.

أصبحت دمشق عاصمة أكبر إمبراطورية حتى ذلك الزمان، إمتدت من الأطلسي وحتى الصين, ومنها إنبثقت حركة التعريب التي إمتدت على طول البلاد العربية [(3)]، لقد إتخذها معاوية ابن أبي سفيان (41- 60هـ/ 661-680م) حاضرة لخلافته، فقد عمل منذ ولايته في عهد الخليفة عمر بن الخطاب على توطيد نفوذه في بلاد الشام، مستعينا بأتباعه وجذب الأنصار حوله، بالعطايا و المنح، ومن ثم أصبحت دمشق صالحة لأن تكون حاضرة للأمويين، أضف إلى ذلك خصب بلاد الشام، وكثرة النماء فيها، وقربها من بلاد الحجاز التي كانت لا تزال مركز القوة الدينية في الإسلام، ومن سائر مواطن القبائل العربية، مما يساعد على تنجيد الجنود، إذا دعت الحاجة إلى ذلك [(4)] .
ولا عجب فإن الدولة الأموية، كانت تحتفظ بالدم العربي والعصبية العربية، هذا إلا أن دمشق كانت قريبة من حدود الإمبراطورية البيزنطية، تلك الحدود التي كان النزاع يقوم فيها

---

(1) ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص463

(2) إبن سعيد، كتاب الجغرافيا، ط2،تحقيق: اسماعبل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص 152

(3)سلامة صالح النعيمات وآخرون، الحضارة العربية الإسلامية، الشركة العربية المتحدة للتسويق، القاهرة، 2008م، ص216

(4)حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الإجتماعي، ج2، ط14،دار الجيل،بيروت، مكتبة الحكمة،مصر، 1416هـ-1996م، ص 295

بين العرب والروم، الذين لم تكد الحروب تهدأ نارها بينهم في وقت من الأوقات، كما أن قرب حاضرة المسلمين في العصر الأموي من هذه الحدود، من شأنه أن يسهل حشد الجيوش في أقرب وقت [1].

كانت دمشق عاصمة لكل المسلمين، وكان طبيعيا أن يقصدها العلماء من كل مكان، وقد شجع الخلفاء الأمويون الشعر والخطابة وفنون الأدب، فكانت الحركة العلمية الأخرى تنمو من نفسها، وأهم هذه الحركات الحركة الدينية، وكان الباعث على نشوئها الحماسة الدينية، وحاجة الناس إلى معرفة الحلال والحرام، وخاصة فيما يعرض من الحوادث التي لم تكن تعرض لها في صدر الإسلام[2].

وعلى مر تاريخ دمشق في العهد الاسلامي لعب قسم كبير من رجال السلطة والحكم، دورا بارزا في تشجيع العلماء و الأدباء ورجال الفكر، فالأيوبيين (567-648هـ/ 1171-1250م)، لم تنحصر شهرتهم في الدفاع عن البلاد الإسلامية و توحيدها و تحرير ما أغتصب منها، بل كانت شهرتهم أكثر بإهتمامهم بالعلم والعلماء.

لقد عمل الأيوبيون في دمشق على تنشيط العلم، وعززوا مكانته في البلاد حتى لم يكن يضاهيهم في عصرهم في هذه الناحية أحد، وقد بذلوا للعلماء ثمن علمهم بكرم وسخاءوشيدوا لهم المدارس والمعاهد، فوفد العلماء من كل قطر وناحية إلى هذه البلاد التي راجت فيهابضاعتهم [3].

---

(1) حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ج2، ص295.

(2)سلامة صالح النعيمات، المرجع السابق، ص 216

(3) أحمد الأوتاني، دمشق في العصر الأيوبي، ط1، تقديم: سهيل زكار، دار التكوين للتأليف و الترجمة و النشر ، دمشق، 2007، ص377.

وترجع الروح العلمية و نشاطها و سيادتها في الدولة الأيوبية إلى أن الأيوبيين هم أنفسهم، كان للبعض منهم مؤلفات متنوعة في العلوم و الفنون [1]كما عني صلاح الدين الأيوبي[2] بأمر الثقافة و نشرها في أرجاء بلاده حيث كان كلما سمع بعالم ممتاز زين له المجيء إلى بلاده و يوسع الرزق على القائمين بشؤون الثقافة، حتى صارت أرزاق أرباب العمائم إقطاعا وراتبا، تتجاوز مائتي ألف دينار، و ربما كانت ثلاثمائة ألف دينار[3].

كما تطرق إبن جبير إلى الأوقاف الكثيرة التي حبست على مدارس العلم و العلماء و المتصوفة، فقد لاحظ أن الرواتب تجري عليهم دون حاجتهم إلى إمتهانحرف أخرى بقوله " وقد كفاهم الله مؤن الدنيا و فضولها "[4].

وصف إبن جبير الجامع الأموي[5] وصفا حيا و أنه بمنزلة جامعة كبيرة، تدرس فيه العلوم و الفنون، و تعقد فيه حلقات التدريس للطلبة يوميا، وخصصت مواقف بالجامع لإيواء الغرباء و طلبة العلم، و تجري عليهم نفس معلومة[6]

---

[1] إبن شاكر الكتيبي ، فوات الوفيات، ج4، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة ، بيروت، (ب، ت)، ص12

[2]الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي (532-589هـ- 1137-1193م) من ألمع الشخصيات في تاريخ الإسلام، وهي لا تستطيع فقط ببطولة صاحبها و أعمالها العظيمة، ولكنها تستطيع أيضا بجلالة الشخصية ونوازعه الإنسانية المؤثرة. أورد ابن خلكان ، أنه كان سلطانا عظيم القدر جميل الذكر، محبا للعلماء متمسكا بالسنة النبوية، معاشرا لأرباب الفضائل حازما في أموره، ابن خلكان,المصدر السابق، ج5، ص81 ، ينظر:محمد عبد الله عنان، تراجم إسلامية ، شرقية و أندلسية ، ط2،مكتبة الخانجي، القاهرة، 1390هـ- 1970م ، ص14.

[3]أحمد الأوتاني، المرجع السابق، ص378.

[4]ابن خبير، المصدر السابق، ص199

[5]الجامع الأموي: هو من أكبر جوامع المسلمين و أقدمها و أشهرها و أجملها و أتقنها بناه عبد الملك بن مروان، و ذلك سنة 89 إلى سنة 96 هجرته ، جمع إليه أشهر الضاع من مملكته المتسعة، و أتاه باثني عشرة ألف صانع من بلاد الروم و أتفق عليه الملايين الكثيرة، و للجامع سبعة أبواب خارجية ابن جبير، المصدر نفسه، ص191ينظر: عبد الرحمن بك سامي، القول الحق في بيروت و دمشق، دار الرائد العربي، بيروت ، 1401هـ - 1981م ، ص 97.

[6]ابن جبير، المصدر السابق، ص 191.

ب- حاضرة القدس

حملت القدس أسماء متعددة عبر عصورها التاريخية مثل: يبوس أو شليم، إبليا كابيتولينا، بيت القدس الشريف، دار السلام، القدس و غيرها من الأسماء، و يميل البعض في تفسير الإسم أوراشاليم بمعنى مدينة السلام أو أرض السلام، و ذهب بعضهم إلى إعطاء معنى مجازيا للاسم بمعنى مدينة الله ، مدينة العدل ، مدينة الحق و غيرها من المعاني [1] و المقدس، بفتح أوله، و سكون ثانية و تخفيف الدال و كسرها، أي بيت المقدس المطهر الذي يتطهر به من الذنوب[2].

و القدس هي قبلة المسلمين الأولى، و معراج الرسول محمد صلى الله عليه و سلم، و مهد المسيح عليه السلام، تعايشت على أرضها الديانات الثلاث، فتح العرب المسلمون مدينة القدس في خلافة الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب، عام 638م، وقد حافظ رضي الله عنه على الأماكن المقدسة المسيحية و اليهودية، و بقيت تلك الأماكن في يد أصحابها يمارسون فيها عباداتهم وفقا لأصول ممارسة شعرائهم، ومع الفتح العربي الإسلامي وفد عدد كبير من العرب المسلمين، فأخذ بذلك العصر العربي الإسلامي ينمو وعاد إلى المدينة طابعها العربي الإسلامي[3] .

لقد أولت الدول الإسلامية التي قامت أهمية كبيرة للمدينة المقدسة بدءا من الدولة الأموية التي بنى خلفاؤها قبة الصخرة المشرفة و المسجد الأقصى، مرورا بالدولة العباسية التي واصل حكامها الإهتمام بالقدس كما إهتمت الدويلات التي إستقلت عن الخلافة العباسية في مصر و بلاد الشام بالمدينة، خاصة من قبل الأيوبيين.

---

[1]شوقي شعت ، **القدس الشريف**، مجلة ثقافية مقدسية ، العدد74، جوان، 2003 م، ص7-8.

[2]ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص166

[3]شوقي شعث، المرجع السابق، ص16

فقد شهدت المدينة في عهد صلاح الدين الأيوبي رخاءا و تطورا كبيرا، فأقيمت فيها المدارس و المعاهد و الأربطة و المستشفيات، و إنتعشت الحركة التجاريةفكثرت المواد التي كانت تصدر إلى الخارج، و منها الجبن و القطن و الزبيب، وظلت القدس أثيرة صلاح الدين حتي و فاته بدمشق (عام 589هـ-1193م).

كما إستمالت المماليك في الدفاع عن بلاد الشام عامة و القدس الشريف خاصة ضد الأطماع الصليبية، خاصة على عهد السلطان الظاهر بيبرس (658-678هـ / 1260-1279م) الذي دافع عن المدينة.

وقد هزم الصلبيين في أكثر من موقعة حتى تصفيتهم و أقام المماليك منشآت علمية كثيرة، تجاوزت الخمسين مدرسةبالإضافة إلى العمران الراقي الذي عرفته المدينة على عهدهم [(1)].

ونظرا لما تمتعت به المدينة من أمن و استقرار على العهدين الأيوبي و المملوكي، ازدهرت الحياة العلمية و الفكرية، و غدت مهوى أفئدة كثير من العلماء و طلبة العلم في ذلك الوقت.

إلى جانب صيغتها الدينية مع تعدد مدارسها، التي حظيت برعاية و عناية الحكام من سلاطين و أمراء، و كثيرين من أهل البر و الذين جاءوا لهم بالعقارات التي خصصت لأعمال الخير، و كان ينتفع منها العلماء و طلبة العلم [(2)].

---

(1) محمد سهيل طقوس، تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام،ط3، دار النفائس، بيروت، 1431هـ - 2010م، ص85.

(2) علي السيد علي، **القدس في العهد المملوكي**، مجلة صامد، السنة 13، العدد 85 تموز، أب، أيلول،1991م، عمان، الأردن، ص255.

ج- حـاضرة بغـداد

إن تاريخ بغـداد بإعتبارهـا قاعـدة مـن القواعـد الإسـلامية، يسـير جنبـا لجنـب مـع قيـام الدولـة العباسـية (سـنة 132هـ-749م) و سـقوطها، وقـد رأي الخليفـة العباسـي جعفـر المنصـور (132-136هـ / 750- 754م) ضـرورة إتخـاذ حاضـرته الجديـدة، وسـط أرض خصـبة يرويهـا مـاء دجلـة و الجـداول الـتي تأخـذ ماءهـا مـن الفـرات، و في مكـان تسـهل فيـه المواصـلات بـين أفـراد دولتـه، و تتـوافر فيـه سـبل المعيشـة، فبعـث روادا يختـارون لـه مكـانا يبـني فيـه حاضـرته الجديدة، فدلوه على مكان يتميز بطيب هوائه و جودة غذائه[1].

فـإقتنع أبـو جعفـر المنصـور بملائمـة المكـان، و يقـدم لنـا الطـبري أسـباب إختطـاط مدينـة بغـداد في المكـان المـذكور (سـنة 145هـ - 762م) بقولـه: " هـذا موضـع معسـكر صـالح، هـذه دجلـة لـيس بيننـا و بـين الصـين شـيء، يأتينـا فيهـا كـل مـا في البحـر، و تأتينـا المـيرة مـن الجزيـرة و أرمينيـة، ومـا حـول ذلـك و هـذا الفـرات يجـيء فيـه كـل شـيء مـن الشـام و الرقـة ومـا حـول ذلك"[2].

لكـن ياقـوت الحمـوي يضـيف سـببا آخـر لعمارتهـا، وهـو أن أهـل الكوفـة كـانوا يفسـدون جنـده، فبلغـه ذلـك مـن فعلهـم فانتقـل عـنهم يـرتاد موضـعا يبـني فيـه مدينـة، و يكـون الموضـع يضـيف ياقـوت واسـطا رافقـا بالعامـة و الجنـد [3]،و كانـت بغـداد قبـل تمصـيرها قريـة قديمـة بناهـا بعـض ملـوك الفـرس، و تقـع علـى الشـاطئ الغـربي لنهـر دجلـة في أعلـى المكـان الـذي يلتقـي فيـه

---

[1] حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج2، ص296-295.

[2] الطـبري بـن جريـر، تاريـخ الأمـم و الملـوك، ج4،ط2، تحقيـق: نـواف الجـراح، دار صـاد، بـيروت، 1426هـ-2005م، ص1601.

[3] ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص447.

نهر الفرات بدجلة[1]، وأغار عليها المسلمون سنة 23هـ-644م، بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني و غنموا منها غنائم كثيرة، خاصة الذهب و الفضة[2].

شرع المنصور في بناءحاضرته الجديدة في موضع بغداد القديمة و أمر بإحضار المهندسين و البنائين و الفعلة و الصناع، من النجارين و الحدادين و الحفارين من الشام و الموصل و البصرة و الكوفة وواسط، و عمرت المدينة بالناس و إزدحمت بالعلماء و التجار و الصناع الدين أقبلوا عليها [3].

و كانت بغداد بعظمتها وهيبتها و مركزها العلمي و الثقافي و العسكري، معقد آمال العرب و المسلمين حتى قيل إن من لم ير بغداد لم ير الدنيا، و لهذا كان العلماء و الفقهاء و الشعراء من جهة و التجار و الباحثون عن الثروة و العمل من جهة أخرى، يشدون الرحال جميعا إلى بغداد، ليستقروا فيها بقية حياتهم أو ليتزودوا بالعلم و الثقافة، و يعودوا إلى أوطانهم مجازين في التدريس أو الفقه أو الإفتاء[4].

و قد إهتم الخلفاء ورجال الحكم دورا هاما في رفع حركة العلم و الثقافة التي شاهدتها المدينة[5] ,فكان الخليفة المأمون يحفل مجلسه بالعلماء و رجال الدين، ويناظرهم أحسن

---

[1] حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج2، ص298.

[2] ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص447.

[3] البلاذري أبو الحسن، فتوح البلدان،ط2، مكتبة الهلال، بيروت، 1421هـ -2000م، ص289

[4] سلامة صالح النعيمات وآخرون، المرجع السابق، ص219.

[5] لم تزدهر حركة العلم و الثقافة ببغداد طوال تاريخها الإسلامي و معلوم أنها تعرضت لنكبات سياسية أثرت على العلم، ففي سنة 451هـ-1059م، احترقت بغداد و تعرضت إلى حريق كبيرا أتى على خزانة الكتب التي وقفها أردشير الوزير، ونهب ما سلم من الكتب، وفي سنة 606هـ-1258م، دمر المغول بغداد بزعامة هولاكو، وفقدت المدينة معظم سكانها في هذه الكارثة، وضاعت الثروة الأدبية و الفنية التي عني الخلفاء العباسيون بجمعها منذ بنى أبو جعفر المنصور بغداد واتخذها حاضرة لدولته، ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص07،ينظر: حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج4، ص147.

مناظرة و أنصفها و أبعدها من مناظرة المتجبرين و كانت الحلقات تدوم يوما كاملا [1]، وكان المأمون يميل إلى الإقناع في الجدل و المناقشة وإحتمال أراء المتناظرين، إذا لم تتفق مع أراءه ،والعمل على قطع دابر الرياء و النفاق وغيرهما من الرذائل التي كانت متفشية بين قادته وجنده [2].

كما حرص المأمون على الاستمرار في إنجاز المكتبات ودور العلم، فقد أمد بيت الحكمة بمختلف الكتب والمصنفات، ويعد بيت الحكمة من أكبر خزائن الكتب في العصر العباسي، وكانت تحوي جميع الكتب في العلوم ،كما كان للعلماء و الأدباء الذين كانوا يرحلون إليها أكبر الأثر في تقدم الحركة العلمية في عهد العباسيين، ونشر الثقافة ويعد بيت الحكمة مؤسسة علمية من الطراز الراقي، إهتمت بترقية الأبحاث الأدبية والعلمية والفلسفية والفقهيةو باقي العلوم.

ويمكن القول أن هذه المؤسسة تحولت في زمن المأمون إلى أكاديمية بكل معنى الكلمة، كانت تحوي أماكن للدرس وأماكن أخرى لخزن الكتب، وأماكن للترجمة والنقل وأماكن للتأليف، إلى جانب المرصد الفلكي الذي كان له دور مميز أفادوا منه كثيرا.[3]

وجعل هارون الرشيد (170 -193هـ/786- 809م) من بغداد كعبة رجال العلم والأدب فإنه لم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء والفقهاء، والقراء والقضاة والكتاب والندماء والمغنيين ما إجتمع على باب الرشيد، وكان يصل كل واحد منهم أجزل

---

[1] المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج4، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد المكتبة الإسلامية، بيروت ، (د. ت)، ص19.

[2] حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج2، ص64.

[3] حسين الحاج حسن، حضارة العرب في العصر العباسي،ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، 1414هـ-1994م،ص40

صلة ويرفعه إلى أعلى درجة، وكان شاعرا [1]، راوية للأخبار والآثار والأشعار وكان إذا حج،أخذ معه مائة من الفقهاء و أبنائهم[2]، وكان للوزير نظام الملك أبو الحسين علي بن إسحاق مجلسا عامرا بالقراء و الفقهاء، أنشأ المدارس بالأمصار وخصص لها النفقات العظيمة، ورغب في العلم، وأملى الحديث ببغداد ونيسابور و مدن خراسان، توفي عام 485هـ- 1092م [3].

وكان من الطبيعي في مثل الظروف المواتية، أن تزدهر مدينة بغداد و تنفق سوق العلوم و المعارف بها و تستقطب العلماء و رجال الثقافة من شتي الأصقاع و قد برز العديد منهم.

د- حاضرة القاهرة

سجل لنا ياقوت الحموي (ت626هـ-1229م) عن القاهرة أنها المدينة العظمى في الديار المصرية، ترتكز فيها كل المؤسسات السياسية و الإدارية و الثقافية و العلمية في المحصلة هي أطيب و أجمل مدينة رآها لإجتماع أسباب الخيرات و الفضائل بها [4]، ويشاطر إبن سعيد رأي ياقوت حيث يؤكد أن القاهرة هي قاعدة الديار المصرية، حيث الطول ثلاث وخمسون درجة وخمسون دقيقة، و العرض تسع وعشرون درجة وخمسون دقيقة[5].

---

[1] كان العديد من الأمراء في بغداد يقرضون الشعر ويشجعون الشعراء، عبر تنظيم مجالس للشعر، وحتى أبناء الخلفاء نظموا الشعر وأجزوا في صلة أهل الشعر، عن إزدهار حركة الشعر في أوساط الطبقة الحاكمة ، الصولي أبو بكر محمد بن يحي، أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم من كتاب الأوراق، ط2، نشره و تحقيق: ج هيورت، دار المسيرة، بيروت، 1399هـ- 1979م، ص258

[2] المقريزي، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء من الملوك، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1955م، ص52.

[3] ابن عماد الحنبلي، المصدر السابق، ص 373-374، ينظر: حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق،ج4، ص34.

[4] ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص301

[5] إبن سعيد، المرجع السابق، ص129.

بنى القاهرة القائد جوهر الصقلي[1] سنة 358هـ- 969م، بعد أن إستولي على مصر (يعني الفسطاط و أطلال العساكر وما جاورها)، كما وضع جوهر أساس قصر مولاه المعز لدين الله[2] وإذا كان جوهر، قد فاته ما أشار به المعز لدين الله، من إختيار منطقة الرصد و إختار موقع القاهرة بنظرته العسكرية، فإن الخلفاء الفاطميين لم تفتهم مواطن الجمال في أطراف القاهرة و الفسطاط والجزيرة، فإنتفعوا بها وبشاطئ النيل و حافتي الخليج و شبرا، حيث الخضرة و ماء، فأنشئوا المناظر و الحدائق التي كانوا يقضون فيها أوقات فراغهم وكان لانتفاعهم بتلك المناطق أثر كبير في تعميرها فامتد العمران إلى خارج أسوار القاهرة.

الجامع الأزهر: [3]

لما أتم الجوهر فتح مصر(سنة 358هـ- 969م)، وضع أساس الجامع الأزهر (سنة 359هـ- 970م) و تم بناؤه في سنتين، وأقيمت الصلاة فيه في 7 رمضان سنة 361هـ- 972م[4] .

وأهم خصائص الأزهر، إنه و إن بدا كغيره من المساجد لإقامة الشعائر، لما يلبث أن أصبح جامعة يتلقى فيها العلم و رواده من كل صوب وحدب يتلقون مختلف العلوم والفنون، ففي سنة 378هـ- 988م تحول الأزهر إلى جامعة تدرس فيها العلوم الدينية و العقلية.

---

[1]أبو الحسن جوهر بن عبد الله، المعروف بالكاتب الرومي، كان من الموالي المعز بن المنصور بن القائد بن المهدي، صاحب أفريقية، جهزه إلى الديار المصرية ليأخذها بعد موت كافور الإخشيدي،، ونجح في إقامة الدعوة للفاطميين بالديار المصرية، ثم سير في سنة 358هـ- 969م، عسكرا إلى دمشق وغزاها فملكها، توفي جوهر الصقلي سنة 381-991م، إبن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص375.

[2] أبو تميم معد: الملقب المعز لدين الله بن المنصور بن المهدي عبيد الله، بويع في حياة أبيه، وجلس على سرير ملكه سنة 341هـ- 952م، دانت له الكثير من البلاد في المغرب والمشرق، دخل القاهرة دخول المنتصر سنة 362هـ- 973م توفي المعز بها سنة 365هـ- 976م ، ابن خلكان ، المصدر السابق، ج5 ، ص224.

[3]أنظر الملحق رقم 06 و07، ص330-331

[4] حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص 578.

وسرعان ما أصبح منارة علمية تجذب طلاب العلم إليه وقد عمل الكثير من الخلفاء الفاطميين، على جذب طلاب العلم إليه من كافة أرجاء البلاد الإسلامية، بما كانوا يقدمونه إليهم من المأكل و المسكن مما يسهل عليهم طلب العلم ،وقد بنى الخليفة الفاطمي العزيز بالله (365-386هـ- 976-996م بجوار الأزهر، دار لجماعة من الفقهاء كانوا يجتمعون فيه بعد صلاة الجمعة، و يقرؤون القرآن الكريم إلى صلاة العصر وقد أجرى على هؤلاء الأرزاق و أغدق عليهم الصلات [1].ظل الأزهر يتمتع برعاية الخلفاء الفاطميين، حتى تقلد صلاح الدين الأيوبي الوزارة، فوجه إهتمامه إلى القضاء على المذهب الشيعي [2]، فأنشأ المدرسة الناصرية لتدريس المذهب الشافعي الذي كان صلاح الدين يدين بعقائده، كما أنشأ على مقربة منها المدرسة القمحية سنة 566هـ- 1170م ، بجوار الجامع العتيق وسميت " بالقمحية" لأن صلاح الدين أوقف عليها أرض من الفيوم تنتج القمح، وكانت تدرس المذهب المالكي، وقد كان عبد الرحمن إبن خلدون ممن درس في هذه المدرسة [3]، وقد عزل قضاة الشيعة، و أسند قضاء مصر إلى قضاة من الشافعية في كل أنحاء البلاد، و أستعاد المذهب السني بهذا قوته[4].

---

(1) حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج2، ص579.

(2)الشيعة: هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية، إما جليا وإما خفيا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين، والشيعة فرق شتى كان الفاطميون في مصر يشيعون الإسماعيلية، نسبة للإمام جعفر إسماعيل، وهذا الصنف يدعون "الواقفة"، لأنهم وقفوا على موسى بن جعفر، ولم يجاوزوه إلى غيره. ، الشهرستاني الثاني، الملل والنحل، تحقيق:عبد العزيز محمد الوكيل، دار المعرفة، بيروت، 1404هـ-1983م، ص166-167- 168.

(3) عمر سي عبد القادر، الروابط الثقافية بين الأندلس ومصر المملوكية، من القرن 7 إلى 9هـ/ 13. 15م ، مذكرة ماجستير، مرقونة في تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف، د. مبخوث بوداوية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 1430-1431هـ/ 2009- 2010م، ص 60.

(4)حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج4، ص580- 581.

هـ-حـواضر الحجـاز(مكة والمدينة):[1]

قطـر فقـير خـلا مـن الأنهـار، وإشـتدت حرارتـه فلـم تسـمح للنبـات أن ينمـو إلا في وديان بعثـرت هنـا أو هنـاك يعـيش أكثـر أهلـه عيشـة بدويـة[2]،ولم تتعاقـب عليـه مـدنيات مختلفـة تـورثهم حضـارة وعلمـا عـن أمـم حكمـوهم أو تعـاقبوا علـيهم، فقـد أورثهـم إسـتقلالهم أنفـة وعـزة وإعتـزازا بالـنفس وحريـة جـاوزت الحـد، لقـد حـاولوا أن يكونـوا ملوكـا أجمعـين[3]، و جـاء الإسـلام فـأعطى لمكـة[4] والمدينـة[5] شـأنا علميـا كبـيرا، لكنـه العلـم الـديني المطبـوع بالطـابع العـربي، فمكـة كانـت منبـع الإسـلام، وبهـا كانـت نشـأة النـبي محمـد صـلي الله عليـه و سـلم، وبهـا كانـت الأحـداث الأولى مـن دعـوة قـريش إلى الإسـلام ومناهضـتهم لـه، وبهـا كـان التشـريع

(1)أنظر الملحق رقم 07 ، ص332

(2) سـجل الرحالـة والجغـرافي، ابـن حوقـل، خـلال القـرن 04هـ-12م، أن مكـة لـيس بهـا مـاء جـار إلا شـيئا أجـري إليهـا مـن عـين بأمـر مـن بعـض ولاتهـا، وكانـت أكثـر ميـاههم مـن ميـاه الأمطـار، الـتي تتجـه إلى مـواطن وبـرك كانـت عـامرة بهـا، فخربـت باسـتيلاء المتـولين علـى أمـوال أوقافهـا و اسـتئثارهم بهـا. ولـيس بجميـع مكـة شـجر مثمـر غـير شـجر الباديـة، وإذا جـزت الحـرم، فهنالـك عيـون وآبار وحـوائط كثـيرة وأوديـة ذات خضـر ومـزارع ونخيـل، بـن حوقـل النصـبي، صـورة الأرض، دار الكتاب الاسلامي ، القاهرة (د.ت) ، ص27.

(3) سلامة صالح النعيمات وآخرون,المرجع السابق، ص242

(4)تسمى مكة أيضا أم القرى، لأنها أصل الأرض، وقيل سميت مكة أم القرى لأنها أقدم القرى، التي في جزيرة العرب وأعظمها خطرا، إما لاجتماع أهل تلك القرى فيها كل سنة، أو انكفائهم إليها وتعويلهم على الاعتصام بها لما يرجونه من رحمة الله ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص254-255، وأبو الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ،ج1، تحقيق: رشدي الصالح حسن، مطبع بنتو، مدريد، إسبانيا، (ب. ت)، ص107- 108.

(5) يحدد لنا ابن سعيد موقع المدينة المنورة، من حيث الطول 65 درجة وعشرون دقيقة، والعرض خمس وعشرون درجة وإحدى وثلاثون دقيقة وحسب ابن حوقل وياقوت الحموي الذي أخذ عن الأول، فإن المدينة تعادل نصف مكة من حيث الحجم والاتساع ، وهي في صرة سبخة الأرض، ولها نخيل كثير ومياه، ونخيلها وزروعها تسقى من الآبار، وللمدينة سور، والمسجد في نحو وسطها، وقبر النبي (ص) في شرقي المسجد، والمدينة المنورة، هي مدينة الرسول(ص)، إليها هاجر، وبها كان أكثر التشريع الإسلامي، وكانت منبعا لأكثر الأحداث التاريخية في صدر الإسلام، كما كانت مركز الخلافة وبها الكثير من الصحابة الذين شاركوا في بعض ما وقع من أحداث مهمة كالغزوات، وانبروا أيضا لنشر العلم بها، ابن حوقل، المصدر السابق، ص28 ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص82

المكي الذي لا يفهم فهما حقيقيا حتى يفهما ما كان يحيط به من ظروف مكية، وبعض هذا التشريع الإسلامي إنما هو إقرار لما كان يفعل به في مكة قبل الإسلام من مناسك الحج[1] .

و لهذه الأسباب التاريخية كانت مكة والمدينة مهدا لإزدهار العلوم و تكون بهما طبقات من الفقهاء والمحدثين[2]، وهكذا فقد إستقطبت مكة والمدينة الكثير من العلماء، الذين ساهموا بدورهم في إزدهار الحياة العلمية في بلاد الحجاز.

ثالثا–مدارس العلم بالمشرق الإسلامي:

لقد ظهرت المدارس كمؤسسات تربوية وتعليمية في الإسلام، نتيجة للتطور الذي أصاب الحياة الدينية والثقافية في كثير من بلدان العالم الإسلامي، كما كان لتشجيع الأمراء و السلاطين للعلماء الأدباء على القيام بنشر الإسلام والثقافة العربية، ولا سيما دعم المذاهب السنية المعروفة آنذاك للوقوف في وجه الفرق الدينية المختلفة، الأثر الأكبر في نشأة المدارس الإسلامية التي ساعدت على خلق جو من التنافس العلمي والأدبي بين المدن والحواضر المشرقية وهكذا نجد أن مدينة نيسابور تعتبر أول مدينة أطلقت كلمة مدرسة على دار العلم وذلك أثناء حكم السلطان محمود الغزنوي في القرن الرابع الهجري[3].

---

[1]سلامة صاع النعيمات وآخرون، المرجع السابق، ص215.

[2] لما فتح الرسول(ص) مكة خلف فيها معاذ بن جبل يفقه أهلها، و يعلمهم قراءة القرآن، وكان عبد الله ابن العباس، يعلم أهلها التفسير والحديث والفقه والأدب وأشهر من تخرج من هذه المدرسة مجاهد ابن حبير، الذي أشهر برواية أقوال ابن العباسي في تفسير القرآن وعطاء بن أبي رباح الذي كان يعلم الناس مناسك الحج وكان يجلس في المسجد الحرام. أما المدينة المنورة فكانت أكثر علما وأوفر المدارس شهرة فاشتهر فيها الكثير من الصحابة مثل عمر بن الخطاب، علي ابن أبي طالب، زيد بن ثابت، وعبد الله بن عمر وعلى يد هؤلاء الصحابة تخرج الكثير من العلماء التابعين وأشهرهم سعيد بن المسيح، عروة بن الزبير وأخيرا أنجبت هذه المدرسة الإمام مالك بن أنس ، الطبري بن حرير،المصدر السابق،ج2، ص453

[3]سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج1، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة،1971 م، ص15.

فقد ذكر المقريزي بخصوص نشأة المدارس مما حدث في الإسلام، ولم تكن معروفة في زمن الصحابة ولا التابعين، وإنما حدث عملها بعد الأربعمائة من سنة الهجرة وأول من حفظ عنه أنه بنا مدرسة في الإسلام أهل نيسابور، فبنيت المدرسة البوهيقية[1].

أما المدرسة السعدية فقد بناها نصر الدين بن سبكتكين أخو السلطان محمود الغزنوي ومدرسة بناها إسماعيل الاسترابادي الصوفي الواعظ وأخرى بنيت لآبي إسحاق الاسفرايني حوالي (سنة 418هـ- 1027م) وهناك من الباحثين من يرى أن عدد المدارس التي بنيت حوالي ثلاث وثلاثين مدرسة قبل النظامية[2].

و يبدو أن هذا النوع من المؤسسات مقتصرا على بلاد فارس حتى بنيت المدرسة النظامية في بغداد (سنة 457هـ- 1064م) ، حيث يذكرها إبن جبير في حديثه مدارس بغداد:[3] "... و المدارس بها نحو الثلاثين، وهي كلها بالشرقية، وما منها مدرسة إلا يقصر القصر البديع عنها، وأعظمها وأشهرها النظامية، وهي التي إبتناها نظام الملك، وجددت سنة أربع وخمسمائة، ولهذه المدارس أوقاف عظيمة وعقارات محتبسة للفقهاء المدرسين".

ولقد أشار السبكي (ت 771هـ-1369م) في كتابه "طبقات الشافعية الكبرى " أن الوزير نظام الملك شيد حوالي عشرة مدارس وهي :بغداد و بلخ و نيسابور و أصبهان و البصرة و مرو ثم آمل و الموصل[4]، و بعد المدرسة النظامية تأتي المدرسة المستنصرية في

---

(1) المقريزي، الخطط، المصدر السابق، ج2، ص363.

(2) كامل حيدر، العمارة العربية الإسلامية: نشوء المدارس الإسلامية وخصائصها في العصر العباسي، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت ، 1990م، ص24- 25.

(3) ابن جبير، المصدرالسابق، ص205.

(4) تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج8، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو و محمود محمد الطناحي، المطبعة الحسينية المصرية،القاهرة، 1964 م، ص127

الدرجة الثانية من حيث الشهرة نسبة إلى مؤسسها الخليفة العباسي المستنصر بالله والذي حكم (من 625- 631هـ/ 1233م). [1]

بعدها إنتقلت حركة تشييد المدارس من العراق إلى الشام، فحين زار إبن جبير مدينة دمشق عاصمة الأمويين قال عنها: " ومن أحسن مدارس الدنيا منظرا مدرسة نور الدين[2] رحمه الله.. وهي قصر من القصور الأنيقة "[3]، و وصل نظام المدارس إلى مصر في أواخر العهد الفاطمي.

وكانت الإسكندرية أول منشأ لنظام المدارس ذات المذهب السني، فأول مدرسة شيدت كانت على يد الوزير الفاطمي الحافظ رضوان بن ولخشي (سنة 532هـ-1137م للمذاهب الأربعة، وكان ديوان الاوقاف هو المكلف بالصرف علي هده المؤسسات ودلك بدفع المرتبات لمستخدميها و المنح للطلبة [4]، و كانت المدارس التي ظهرت في العصر الأيوبي (المدرسة الناصرية)[5]، ثم مدرسة للشافعية على يد الوزير علي بن السلار 1149م[6].

ولقد تواصل إنشاء المدارس بعد وفاة صلاح الدين، و من أهمها المدرسة الكاملية التي أنشأها السلطان الكامل سنة 621هـ- 1224م و المدرسة الصالحية نسبة للصالح نجم

---

[1] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 225.

[2] نور الدين زنكي: يلقب بالملك العادل هو الابن الثاني لعماد الدين زنكي، حكم حلب بعد وفاة ابيه(569-511هـ/ 1118- 1174م)، محمد ابن عثمان الذهبي ، سير إعلام النبلاء،المصدر السابق، ج18،ص531

[3] ابن جبير، المصدر السابق، ص265.

[4] لعرج عبد العزيز، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية، دراسة أثرية معمارية وفنية، رسالة لنيل درجة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامي ، 1999م، ص30.

[5] محمد عبد الرحمان غنيمة ، تاريخ الجامعات الاسلامية الكبري، تطوان ، المغرب، 1959م، ص82

[6] أحمد فكري، مساجد القاهرة و مدارسها، ج2، دار المعارف، مصر، 1999م، ص49-50.

الدين أيوب سنة 639هـ- 1241م، و كانت مخصصة - المدرسة الصلاحية[1]- المدرسة القمحية)[2] تهدف إلى محاربة التوسع الشيعي و تخليص المنطقة من التواجد الصليبي المسيحي، ولكن بوجود المماليك بالمشرق الإسلامي فلم يعودوا في حاجة إلى القضاء على المذهب الشيعي حيث أن الأمر قد أستتب للمذهب السني وبالتالي كان إستثناء المؤسسات التعليمية كالمدارس و المساجد لغاية كسب التأييد ومن أهمها:

المدرسة الظاهرية القديمة: أمر ببنائها السلطان الظاهر بيبرس البندق الذي حكم بين (658هـ- 1259م/ 676هـ- 1277م) وكانت تدرس المذاهب الأربعة[3].

المدرسة المنصورية: أنشأها الملك المنصور قلاوون حكم بين (678هـ- 689/ 1279- 1290م، وكان على عمارتها الأمير علم الدين سنجر الشجاعي ورتبت بها دروس فقه على المذاهب الأربعة[4].

المدرسة الناصرية: بدأها السلطان العادل كتبغا (حكم بين 694هـ- 1294م/ 696هـ- 1296م)، وأتمها السلطان الناصر محمد بن قلاوون أثناء سلطته الثانية 698هـ- 1298م/ 708هـ- 1308م) وفرغ من بناءها سنة 703هـ- 1303م، قال المقريزي " أدركت هذه المدرسة وهي محترمة إلى الغاية "[5].

---

(1) انظر الملحق رقم 08و09 ص333-334-

(2)الفلقشندي، صبح الأعشي في صناعة الأنشاء ، ج3، تحقيق:محمد حسين شمس الدين ,المؤسسة العامة للتأليف و الترجمة و الطباعة ، القاهرة ، 1985م، ص416.

(3) السيوطي جلال الدين،حسن المحاضرة، المصدر السابق، ج2، ص264.

(4) المصدر نفسه، ج2، ص264.

(5) المقريزي، الخطط ، المصدر السابق, ج2، ص382.

مدرسة السلطان حسن: شرع في بناءها السلطان حسن ابن الناصر محمد بن قلاوون سنة 758هـ- 1357م، قال المقريزي ويصفها " لا يعرف ببلاد الإسلام معبد من معابد المسلمين يحاكي هذه المدرسة من حيث قالبها وضخامة شكلها "[1].

المدرسة الظاهرية: كان الشروع في عمارتها في رجب (786هـ- 1384م) وانتهت في رجب 788هـ- 1386م،وكان قائم على بنائها جوكس الخليلي قال العسقلاني: " ومن رأي الأعمدة التي بها عرف الإشارة ونزل السلطان إليها ، ومن سماها عظيما وتكلم فيها المدرسون "[2].

1-3مدارس مصر

وقد إشتهرت مصر بالعدد الكثير لمدارسها و سنحاول ذكر بعض منها مركزين علي المدارس التي كانت مخصصة للمذهب المالكي أو التي كان الفقه المالكي مدركا في برنامجها الدراسي، خاصية وأن علماء المغرب الأوسط كانوا على المذهب المالكي وكانوا في تنقلاتهم إلى مصر يتجهون إلى هذه المدارس لتولي الوظائف العلمية أو لطلب العلم.

المدرسة القمحية: أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبي للفقهاء المالكية بجوار الجامع العتيق بمصر سنة 566هـ- 1170م[3]، وأوقف عليها قيسارية للوراقين وأراضي من الفيوم تغل القمح فسميت لذلك القمحية[4]، ورتب فيها أربعة مدرسين عند كل مدرس عدة طلبة

---

(1) المقريزي،الخطط، المصدر السابق، ج1، ص40.

(2)إبن حجر العسقلاني، أبناء الغمر، المصدر السابق، ج2، ص213.

(3)أبو شامة الديمشقي، كتاب الروضتين، تحقيق: ابراهيم الزيبق، دار الرسالة، دمشق، دار البشائر ، بيروت، 1431هـ-2010م، ص688.

(4)إبراهيم بن محمد المعروف بابن دقماق، الإنتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر، ج4، تحقيق: إبراهيم بن محمد ابن الدهر العلائي، المطبعة الكبري الأميرية، القاهرة، 1891م ، ص 95.

وكانت أجل المدارس المالكية، وكان محصول القمح مصدر تمويلهم الرئيسي[1]، وكان عبد الرحمن بن خلدون ممن تولى التدريس بها لما ارتحل إلى مصر[2].

المدرسة الفاضلية:

بنيت سنة (580هـ- 1196م) بالقاهرة، و أوقفت على الفقهاء الشافعية و المالكية، وكان فيها قاعة للإقراء، و ممن أقرأ فيها الإمام أبو القاسم بن الشاطبي ناظم الشاطبية[3]، و كانت تضم مكتبة ضخمة في سائر العلوم ذهبت كلها لأن الطلبة باعوها في غلاء سنة (694هـ- 1298م) كما كان ملحقا بها كتاب للأيتام[4] .

المدرسة الصاحبية:

أنشأها بالقاهرة الصاحب[5] صفي الدين عبد الله بن شكر[6] بالقاهرة، و جعلها وفقا على الفقهاء المالكية، و رتب لها درسا للنحو وجعل لها خزانة كتب، وقد جددت سنة 758هـ- 1357م أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، و صارت تقام بها

---

(1) المقريزي، الخطط ، المصدر السابق، ج2، ص364.

(2) إبن خلدون، الرحلة، المصدر السابق، ص699.

(3)هو أبو القاسم بن فيرة بن أبي القاسم خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي الضرير، مصنف الشاطبية في القراءات السبع، ولد سنة 530 بالأندلس و ارتحل إلى مصر و ولاه القاضي الفاضل مشيخة الإقراء بمدرسته توفي سنة 590هـ، ابن كثير، البداية و النهاية، ج13، ط7، مكتبة المعارف ، بيروت، 1408هـ-1988م، ص10ينظر: ابن أيبك الصفدي، نكت الهميان في نكت العميان، دار المدينة، مصر، 1911م، ص228-229.

(4) المقريزي، المصدر السابق,ج2 ,ص366.

(5) الصاحب: أصله في اللغة الصديق و هو من ألقاب الوزراء المدنيين الذين اختصوا به دون العسكريين، النويري، نهاية الأدب في فنون الأدب، ج30، تحقيق :مصطفي أبو ضيف الدين ، دار البيضاء، المغرب ، (د.ت)، ص422.

(6) ولد سنة 548هـ و توفي سنة 622هـ، كان فقيها مالكيا في عهد الأيوبيين ثم تولى الوزارة. المقريزي، االمصدر السابق، ج2، ص371.

صلاة الجمعة[1] و كان أبو العباس أحمد بن محمد بن مرزوق يداوم على حضور الدروس الفقهية و المجالس العلمية بهذه المدرسة[2].

المدرسة الظاهرية:

بناها بالقاهرة السلطان الظاهر بيبرس البندقداري، بدأ فيها سنة 660هـ- 1263م، وكان السلطان قد رتب وقفها قبل بنائها[3]، و في الأحد صفر عام 662هـ-1263م، إجتمع أهل العلم وحضر القراء، وجلس أهل الدروس كل في إيوانه الذي خصص له، و إفتتحت المدرسة رسميا من قبل السلطان في يوم مشهود، و أنشد لذلك الشعراء كثيرا من القصائد، من ذلك قول الشاعر أبي الحسن الجزار[4].

أَلاَ هَكَذاَ يَبْنِي المَدَارسُ مَنْ بَنـيَوَ مَنْ يَتَغَالَيَ في الثَوَابِ وَ فِي الثَنَـا[5]

و كان يدرس بهذه المدرسة الفقه والحديث و القراءات، و كان بها خزانة كتب شملت مختلف العلوم و بني بجانبها مكتبا لتعليم الأيتام كتاب الله، و كانت من أجل مدارس القاهرة لكن تقادم عهدها وساء حالها خلال القرن 9هـ-15م، و كان نظرها بيد الحنفية تارة و بيد الشافعية تارة أخرى[6].

المدرسة المنصورية: أنشأها السلطان المنصور قلاوون الألفي الصالحي بين سنتي (682-684هـ/ 1283- 1285م)، ضمن مركب معماري كان يضم البيمارستان و القبة

---

(1) المقريزي، الخطط،المصدر السابق، ج2 ، ص371ينظر: ابن دقماق، المصدر السابق، ج4 ، ص95.

(2) عبد العزيز فيلالي،المرجع السابق، ج2، ص395.

(3) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، المصدر السابق، ج7، ص120

(4) أديب و شاعر، كان أحد فحول شعراء العصر المملوكي الأول، ولد سنة 601هـ- 1203م و توفي سنة 695هـ- 1296م وترك ديوان شعر،المصدر نفسه،ج7، ص345

(5) أبو الحسن يحي الجزار، ديوان الجزار، تحقيق:محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف، مصر، 1989م ، ص118

(6) المقريزي، السلوك ، المصدر السابق، ج1، ص544

إضافة إلى هذه المدرسة[1]، و رتب بها دروسا على المذاهب الأربعة[2]، و عين لكل درس مدرسا له كل شهر مائتا درهم و ثلاثة معيدين لكل منهم خمسة و سبعون درهما، و خمسون طالبا لهم كل شهر سبعمائة و خمسون درهما[3]، و نظم بها التدريس بموجب وثيقة وقفية، و كان لكل مذهب إيوان خاص به، و إختص الرواق الأيمن من إيوان القبلة (الرواق الجنوبي الشرقي) بجلوس الفقهاء المالكية وزودها بخزانة للكتب [4].

المدرسة الناصرية:

أنشأها السلطان العادل زين الدين كتبغا المنصوري[5]، و أكملها السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة 703هـ- 1303م، و كانت للفقهاء على المذاهب الأربعة، و جعل بها خزانة كتب و وقف عليها عدة مواضع بمصر، و كانت من أجل المدارس العامرة بالقاهرة[6].

المدرسة المنكوتمرية:

بناها الأمير سيف الدين منكوتمر الحسامي الذي كان من مماليك المنصور حسام الدين لاجين، و تولى نيابة السلطنة (سنة 696هـ- 1296م) و توفي (سنة 698هـ- 1298م)، و قرر بها درسا للمالكية و أسند التدريس فيه للشيخ شمس الدين محمد بن

---

[1] للمزيد حول التركيبة المعمارية لهذه العمائر ينظر دراسة: إسماعيل الحداد، العمارة المصرية الإسلامية ، ط1، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ,1993م ،ص109

[2] المقريزي، الخطط، المصدر السابق، ج2، ص379ينظر: السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر السابق، ج2، ص264

[3] إسماعيل الحداد، المرجع السابق، ص49.

[4] المرجع نفسه، ص50.

[5] كان من كبار مماليك المنصور قلاوون، حكم مدة تم عزل، ابن كثير، المصدر السابق، المصدر السابق ,ج14، ص27-28.

[6] المقريزي، الخطط، المصدر السابق ،ج2، ص380 ينظر :ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، المصدر السابق ,ج8، ص209

أبي القاسم بن عبد السلام التونسي المالكي[1]، كما جعل بمادرسا للحنفية و خزانة كتب وجعل عليها وقفا ببلاد الشام[2]، و ممن درس بها فقه المالكية الإمام العلامة الفرضي الحساب أبي الجود داود بن سليمان بن حسن التلمساني (ت 863هـ- 1461م) [3].

المدرسة المسلمية:

أنشأها أحد كبار التجار وهو ناصر الدين محمد بن مسلم البالسي (ت 776هـ-1375م)، و لم يتمها، فوضى بتكملتها، و أفرد لها مالا و أوقف عليها دورا و أرضا و اشترط أن يكون فيها مدرس مالكي و مدرس شافعي و مؤدب أطفال[4].

المدرسة الجمالية: أنشأها بالقاهرة الأمير جمال الدين يوسف الإستدار[5] فيما بين 810-811هـ/ 1407-1408م، و قرر لتدريس المالكية بها الشيخ شمس الدين محمد بن البساطي[6]، كما كان بها دروس للحنفية و الحنابلة، و درس للحديث و التفسير، و كان لكل مدرس طائفة من الطلبة، و أعطى لكل واحد ثلاثة أرطال من الخبز يوميا ثلاثون

---

(1) محمد بن أبي القاسم بن عبد السلام التونسي، ولد سنة 639هـ-1240م و توفي سنة 715هـ-1315م، إمام و مفسر و فقيه، تولى قضاء الإسكندرية سنة 709هـ-1309م، ينظر: ابن فرحون، الديباج، ج2، تحقيق: محمد الاحمدي أبو النور، دار التراث للطبع و النشر، القاهرة، (د.ت)، ص323.

(2) المقريزي، الخطط، المصدر السابق، ج2، ص387-388.

(3)ولد بتلمسان سنة 822هـ- 1418م و أخذ عن قاسم العقباني ثم ارتحل إلى مصر و أفتى و درس. التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص116ينظر : ابن مريم، المصدر السابق ،ص101.

(4) المقريزي، الخطط، المصدر السابق ,ج2،ص401,ينظر: ابن دقماق، المصدر السابق، ج4، ص99.

(5) الاستادار: لفظ من أصل فارسي مقسم إلى إستا و دار، و كان موضوع الاستدارية التحدث في أمر بيوت السلطان كلها، القلقشندى، صبح الأعشى، المصدر السابق,ج4، ص20.

(6) شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد البساطي، من كبار علماء المالكية بمصر، تخرج به الكثير من المشارقة و المغاربة ، توفي سنة 842هـ-1440م. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، المصدر السابق، ج15، ص466 ينظر: السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة، ج1، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1964م، ص98

درهما شهريا، و جعل لكل مدرس 300 درهم شهريا، و رتب بها إماما و قومة و مؤذنين[1] و فراشين، و أوقف عليها عدة أوقاف، و كانت بها مكتبة من أشهر المكتبات المدنية في العصر المملوكي و في سنة 812هـ- 1409م هدمها الناصر فرج بن برقوق و أقام على أنقاضها مدرسته الناصرية[2].

المدرسة الظاهرية البرقوقية:أنشأها السلطان الظاهر برقوق بين (عامي 786-788هـ/ 1384-1386م)، وكانت فريدة في ضخامتها، و قرر فيها أربعة من المذاهب، و شيخ تفسير و شيخ إقراء، و شيخ حديث و شيخ ميعاد بعد صلاة الجمعة، و جعل بها خزانة كتب[3]، و عين فيها لتدريس المالكية عبد الرحمن بن خلدون[4]، كما درس بها داوود بن سليمان بن حسن التلمساني[5].

المدرسة الأشرفية برسباي:

أنشأها السلطان برسباي الدقماقي الظاهري سنة 826-829هـ/ 1423-1426م بالقاهرة، و و كان هذا السلطان محسنا للطلبة و القراء و الفقهاء، و إشترط أن من غاب أكثر من مدة أشهر الحج تخرج وظيفته في المدرسة عنه، و زودت هذه المدرسة بخزانة للكتب[6]، و عين لتدريس المالكية بها الشيخ عبادة بن علي المالكي (ت846هـ- 1442م) أحد أقطاب المذهب المالكي بالديار المصرية في عصره

[1] كانت المدرسة المملوكية متعددة الوظائف، و من بينها وظيفة الصلاة، و قد أدت بعض المدارس وظيفة المسجد أو المسجد الجامع، عبد الستار عثمان، المدينة الاسلامية، عالم المعرفةالمجلس الوطني للثقافة و الفنون و الادب، الكويت، 1978م، ص143.

[2] المقريزي، السلوك، المصدر السابق ، ج4، ص176.

[3] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، المصدر السابق ، ج12، ص113ينظر: حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الاثرية، ج1، مطبعة دارالكتب المصرية ، القاهرة، ص193.

[4] ابن خلدون، الرحلة، المصدر السابق، ص1107.

[5] التنبكتي، المصدر السابق، ص116ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص101.

[6] السخاوي، الضوء اللامع ،المصدر السابق، ج3، ص 9.

المدرس الأشرفية قايتباي

بناها السلطان الأشرف أبو النصر قايتباي المحمودي، الذي كان كثير الإنشاءات المعمارية، و بنى عدة مدارس عبر عدة مدن مصرية، و أوقف عليها خزائن للكتب[1].

3-2مدارس القدس

شهدت القدس خلال فترة حركة واسعة في بناء المدارس التي كان لها دور في جذب العديد من العلماء وطلاب العلم من المشرق الإسلامي او المغرب الإسلامي نظرا للسمعة التي تميزت بها هذه المدارس ومن أهم هذه المدارس:

المدرسة الدودارية:

تقع بباب شرف الأنبياء، و هي التي سمي باب المسجد بسببها باب الدويدارية، أوقفها الأمير سنجر بن عبد الله الدويدار الصالحي[2]، تمت عمارتها في سنة 695هـ-1295م[3]، و قد ورد نقشا على بابها الخارجي جاء فيه:

"...أمر بإنشاء هذه الخانقاة المباركة المسماة بدار الصالحين العبد الفقير إلى الله تعالى عبد الله بن عبد ربه ابن عبد الباري سنجر الدواداري، أوقفها لوجه الله تعالى على ثلاثين نفرا من الطائفة الصوفية و المتصوفة من العرب و العجم... و أوقف عليها قرية بير نابلس من القدس الشريف و قرية حجلا من أريحا... و مصبة و ستة حوانيت و وراقة نابلس و أربع طواحين ببيسان... و على تدريس المذهب الشافعي. ".

---

[1] السيوطي، تاريخ الخلفاء، ط1، دار إبن حزم للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت، لبنان، 1424هـ-2004م، ص393,ينظر: حسن عبد الوهاب،المرجع السابق، ج1، ص251.

[2] مجير الدين العليمي، الأنس الجليل في تاريخ القدس و الخليل، ج2، مكتبة المحتسب، عمان، 1973م، ص39.

[3] محمد كرد علي، خطط الشام، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، ص119

من خلال هذا النص يتضح أن الأعاجم شكلوا جزءا من الحياة الفكرية و الثقافية في القدس، و يتضح أيضا مدى اهتمام المماليك بالقدس و مؤسساتها التعليمية من خلال هذه الأوقاف العظيمة.

المدرسة السلامية: تقع بباب شرف الأنبياء ، اتجاه المعظمية وهي بجوار الدويدارية من جهة الشمال،أوقفها الخواجا[1] مجد الدين إسماعيل السلامي[2]، حوالي سنة701هـ-1301م[3]

المدرسة الوجيهة: تقع بخط درج المولي، وهو الدرج الذي يبدأ عند باب الغوانمة، أوقفها وجيه الدين محمد بن عثمان بن أسعد بن المنجا[4]، أنشئت هذه المدرسة قبل سنة 701هـ- 1301م[5].

المدرسة الجاولية: تقع في الجهة الشمالية من الحرم القدسي، أوقفها الأمير علم الدين سنجر تولى نائب غزة سنة 715هـ- 1315م [6] وفي سنة 800هـ- 1397 م ، قام الأمير شاهين الشجاعي بتحويلها إلى دار النيابة القدس، الذي وضع على مدخلها بلاطة

---

(1) من ألقاب أكابر التجار الأعاجم من الفرس و نحوهم و هو لفظ فارسي و معناه السيد و قد أستعمل هذا اللقب في العهد المملوكي،القلقشندي،المصدر السابق،ج6،ص12

(2) مجد الدين السلامي بن محمد: كان تاجرا كبيرا،ورجلا عظيما داهية ذا عقل وافر، وحسن لطيف و مداخلة لدي الملوك،كان سببا في الصلح بين المساميين و التتار أيام القان بوسعيد, وكانت له وجاهة زائدة لدي السلطان الملك الناصر و عند المغول، توفي سنة743هـ-1342م، ودفن بتربة باب النصر بالقاهرة، الصفدي،المصدر السابق، ج9، ص131 ينظر: المقريزي،المصدر السابق،ج3،ص81

(3) العارف عارف،المفصل في تاريخ القدس، ط1،مطبعة العارف، القدس،1989م،ص243 ينظر:العسلي كامل جميل، معاهد العلم في بيت المقدس،ط1، الجامعة الأردنية، الأردن،1981م،ص241

(4) الشيخ وجيه الدين محمد بن عثمان بن أسعد بن المنجا أبو المعالي التنوخي الحنبلي كثير المال و البر أنشأ دار القران بدمشق و رباطا بالقدس ، وكان مع سعة ثروته مقتصدا في أموره توفي سنة 701هـ- 1301م. العسقلاني، الدار الكامنة، المصدر السابق، ج5، ص289ينظر: ابن العماد، المصدر السابق، ج8 ، ص7.

(5) مجير الدين, المصدر السابق , ج2، ص42، ينظر :كرد علي، الرجع السابق ، ج6،ص121.

(6) العسلي، المرجع السابق، ص220.

نقشت عليها الكلمات التالية :شاهدين رسم بتجديدها المقر الشجاعي، و في عهد مجير الدين أصبحت سكنا نواب القدس و فيها دفن الشيخ درياس الكردي [1]

المدرسة الكريمية:

تقع بباب حطة شمالي الحرم، عند الباب مباشرة، أوقفها كريم الدين بن المعلم هبة الله[2]، ناظر الخواص الشريفة بالديار المصرية (سنة 718هـ- 1318م)[3].

المدرسة الخاتونية: تقع بين باب الحديد و باب القطانين غربي الحرم، تنسب إلى واقفتها أغل خاتون بنت شمس الدين بن سيف الدين القازانية البغدادية، في (سنة 755هـ- 1354م)، ووقفت عليها المزرعة المعروفة بظهر الجمل، ثم أكملت عمارتها أصفهان شاه بنت الأمير قازان شاه و أصبحت وقفا (سنة 782هـ- 1380م)[4].

المدرسة الأرغونية:تقع هذه المدرسة في باب الحديد غربي الحرم، على يمين الداخل لساحة الحرم أوقفها الأمير أرغون الكاملي[5] نائب الشام (سنة 758هـ- 1358م)، الذي توفي في نفس السنة و أكمل عمارتها الأمير ركن الدين بيبرس السيفي سنة 759هـ- 1359م[6]، و تفشى على واجهة المبنى " بسم الله الرحمن الرحيم " أمر بإنشاء هذه التربية والمدرسة المباركة المقر الأشرف السيفي أرغون الكاملي نائب السلطنة الشريفة بالشام المحرومين

[1] العارف، المرجع السابق، 243.

[2] عبد الكريم هبة الله بن السديد القطبي المصري وكيل السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون و ناضر خواصه، و مدير دولته قتل مشنوقاته 724هـ- 1324م الصفدي، المصدر السابق، ج19، ص66 .

[3] كرد علي، المرجع السابق، ج6، ص120.

[4] مجير الدين، المصدر السابق، ج2، ص36.

[5] ابن تعري بردي، المنهل الصافي و المستوفي بعد الوافي، ج2، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز، الهيئة المصرية، القاهرة، 1988م، ص320.

[6] مجير الدين, المصدر السابق, ج2، ص36.

المدرسة البارودية:

تقع بباب الناظر أوقفتها الحاجة سفري خاتون، من ربات البر و الإحسان وهي ابنة شرف الدين أبي محمود المعروف بالبارودي، و تاريخ وقفها رجب (سنة 768هـ- مارس 1367م)[1].

المدرسة الأمينية:

تقع بباب شرف الأنبياء المعروف بباب الدويدارية، أوقفها أمين الدين عبد الله[2] سنة 730هـ- 1330م كان شيخ هذه المدرسة يعين مباشرة من نائب السلطة في الشام[3].

المدرسة الجوهرية:

أوقفها صفي الدين جوهر[4] زمام الأمر[5] الشريفة في (سنة 844هـ- 1440م)، و أوقف عليها العديد من القرى[6] و ثبت نصا على بابها جاء فيه "... أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة و الرباط من فضل الله تعالى العبد الفقير إلى الله تعالى جوهر القنقباي الخازندار و زمام الادر الشريفة الملكي الظاهري شيخ مشايخ خدم الحرم الشريف النبوي إبتغاء وجه الله الكريم[7].

---

(1) السحاوي، الضوءاللامع، المصدر السابق ،ج1، ص84.

(2) أمين الدين عبد الله بن تاج الرئاس، ، أمين الملك وزير الديار المصرية و الشامية، توفي سنة 749هـ- 1340م، الصفدي، المصدر السابق، ج17، ص 50 ينظر :ابن تعري بردي، المنهل الصافي، لمصدر السابق، ج7، ص83.

(3) القلقشندي، المصدر السابق، ج12، ص293.

(4) صفى الدين جوهر بن عبد الله القنقبائي الخازندار و الزمام أصله من خدم الأمير قنقباي و كان يقرأ القرآن الكريم بالقراءات السبع تولى سنة 844هـ- 1440م، ابن تعري بردي، النجوم الزاهرة، المصدر السابق، ج15 ، ص485

(5)لقب مملوكي يقصد به الشخص المشرف على أمور الحريم بالنضر، حسن الباشا، المرجع السابق، ص 284

(6)مجير الدين، المصدرالسابق، ج2، ص120ينظر : العارف، المرجع السابق، ص254.

(7)العسلي، المرجع السابق، ص196.

المدرسة الطولونية

تقع بداخل المسجد الأقصى على الرواق الشمالي، يصعد إليها من السلم المتواصل منه إلى منارة باب الأسباط، أنشأها شهاب الدين أحمد بن الناصري محمد الطولوني الظاهري[1] في زمن السلطان الظاهر برقوق قبل سنة 800هـ- 1398م[2].

3- 3 مدارس مكة و المدينة:

لقد أنشئت العديد من المدارس في مكة المكرمة و المدينة المنورة خلال القرن 7 إلى 9 هجري ساهمت في إثراء الحياة الثقافية في الحجاز و المشرق الإسلامي عامة جذبت الكثير من العلماء و طلاب العلم من كافة أنحاء العالم الإسلامي، ومن أهم المدارس في مكة المكرمة:

المدرسة المجاهدية:

شيدها الملك المجاهد علي بن داود بن يوسف بن عمر صاحب اليمن في سنة 739هـ- 1338م، بالجانب الجنوبي من المسجد الحرام و أوقفها على الشافعية، وقد درس بها عدد كبير من العلماء و المجاورين منهم الشهاب الطبري(ت 760هـ- 1358م) و النويري (ت 799هـ- 1396م)[3].

المدرسة المنصورية:

أنشأها الملك المنصور عمر بن رسول صاحب اليمين بالجانب الغربي من المسجد الحرام سنة 641هـ- 1243م، و أوقفها على فقهاء الشافعية[4].

---

(1) ابن تعري بردي، المنهل الصافي، المصدر السابق، ج3، ص283.

(2) مجير الدين، المصدر السابق، ج2، ص40.

(3) تقي الدين الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج2، تحقيق : محمد عبد القادر، أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ص161ينظر: ابن العماد، المصدر السابق، ج6، ص188.

(4) الفاسي،المصدر السابق، ج8، ص175.

أ – المدارس في المدينة المنورة:

المدرسة الجوبانية:

أنشأها جوبان بن تداون في سنة 724هـ- 1323م، في الناحية القبلية من الحصن العتيق عند باب الرحمة، و ألحق بها تربة لكي يدفن فيها، وهي ملاصقة لجدار المسجد النبوي بين دار الشباك و الحصن العتيق، كما اتخذ بها شباكا في جدار المسجد[1].

و عندما توفي حمل تابوته مع الحجاج العراقيين إلى المدينة المنورة بأمر السلطان أبي سعيد، فلم يتمكنوا من دفنه في قبره الذي ألحقه بالمدرسة، لأنهم لم يأخذوا الإذن من سلطان مصر الناصر، فدفن في البقيع سنة 729هـ-1328م [2] و ممن درس بهذه المدرسة عبد السلام بن محمد الكازوريني المولود سنة 864هـ- 1459م[3]، و معنى هذا أن المدرسة كانت تؤدي وظيفتها العلمية منذ إنشائها، وقد هدمت هذه المدرسة في 887هـ-1482م، و إستبدل بها مدرسة السلطان قايتباي.

المدرسة الشيرازية:

نسبة إلى إبراهيم الرومي الأصل نزيل المدينة المعروفة بالعريان، الذي أقام بهذه المدرسة أكثر من خمسين سنة، وله آثار حسنة في المدينة خاصة ترميمه و إصلاحه لهذه المدرسة، فلولاه لسقطت طباقها لأنه أقام أساطينها حتى حملت السقف و الرواسي، و كان لها شأن كبير في أيامه يدخلها الفقراء و الأبرار، و استمرت في أداء وظيفتها التعليمية حتى وفاته

---

[1] إبن حجر العسقلاني، الدررالكامنة، ج2، المصدر السابق، ص79

[2] إبن تغري بردي، النجوم الزاهرة، المصدر السابق،ج5، ص425

[3] السخاوي, التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج3، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1414هـ-1993م، ص14- ص15.

سنة 730هـ- 1329م[1]، وذكر السخاوي أن سليمان أبو فالربيع الونشريستي كان أحد المدرسين بها المدرسة.

المدرسة الباسطية :

سنة 840هـ- 1436م قام الزين عبد الباسط صاحب الباسطية بمكة، بشراء دار مطيع، و كانت هذه الدار بيد أويس بن سعد بن أبي السرح، و هدمها و أقام عليها مدرسة كانت قائمة في مواجهة المدرسة الأشرفية التي بناها فيما بعد السلطان الأشرف قايتباي[2].

و ذكر السخاوي أن الزين عبد الباسط لم يبن هذه المدرسة إلا لعلي بن إبراهيم بن محمد الحسيني العجمي الشيرازي المكتب (ت 862هـ- 1457م) ، و قرره في مشيخة هذه المدرسة، و ذكر في ثنايا ترجمته أنه ابتدأ في عمارتها سنة 853هـ- 1449م، و كان الشيخ علي بن إبراهيم يقوم بتعليم الطلاب القراءة و الخط العربي و علوم الأخرى[3]، و تولى مشيخة هذه المدرسة من بعده، إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد المدني، و يعرف بابن صالح المولود سنة 859هـ- 1325م و سكنها المؤرخ عبد الرحمن السخاوي[4].

مدرسة قايتباي الأشرفية:

أمر السلطان الأشرف قايتباي سنة 887هـ- 1482م، ببناء رباط ومدرسة ما بين باب السلام و باب الرحمة، وقام ابن الزمن بهدم دار الشباك و المدرسة الجويانية و أقام على

---

(1) السخاوي، التحفة اللطيفة، المصدر السابق ،ج1، ص154-155.

(2) السخاوي،الضوء اللامع، المصدر السابق، ج1، ص98.

(3) المصدر نفسه، ج5 ، ص158

(4)) نفسه، ج1، ص50

أرضها المدرسة الأشرفية، وفي سنة 889هـ- 1484م أرسل السلطان قايتباي خزانة كبيرة من الكتب، جعل مقرها المدرسة موقوفة على طلب العلم و أرسل مصاحف كثيرة، كما أوقف عدة قرى بمصر تحمل غلالها إلى المجاورين و الطلاب فتفرق عليهم فكانت حصة الفرد سبعة أرادب في العام و كان بهذه المدرسة مشرفان[1]، و قد جعل الأشرف للسمهودي النظر في هذه المدرسة وما بها من الكتب، و ذلك بوساطة من البدري أبي التقا[2].

---

[1] السخاوي , التحفة اللطيفة, المصدر السابق,ج1 , ص64

[2] هو أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن عبد الله الدمشقي القاهري الشافعي، و يعرف بابن البدري و يكنى بأبي التقاء، أديب شاعر، ولد بدمشق و قطن القاهرة و جاور بمكة و المدينة، و توفي بغزة سنة 894هـ، وله كتب منها " غرر الصباح" و " نزهة الأنام في محاسن الشام". السخاوي، الضوء اللامع، المصدر السابق ، ج11، ص41-42

الفصل الثاني:

العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والمشرق الاسلامي خلال القرون

7-8-9هـ/13-14-1

أولا:العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و المشرق الإسلامي

1-العلاقات الثقافية مع الحجاز

بتتبع كتب التراجم و الطبقات التي تعكس رحلات العلماء المغاربة نحو المشرق الاسلامي، يتضح أن بلاد الحجاز شكلت أهم مركز جذب للعلماء من بين جميع المراكز الثقافية الاسلامية المشرقية، نظرا للمكانة التي تنالها هذه الأرض المقدسة في نفوس المسلمين أجمعين.

فمكة المكرمة كانت و لاتزال مهوى آفئدة الناس منذ أن أمر الله سبحانه و تعالي نبيه إبراهيم عليه السلام ببناء الكعبة المشرفة.

ونجدها قد جمعت بين القدسية و المكانة العلمية للسمعة الطيبة التي نالها علمائها سواء تعلق الأمر بالعلماء المحليين أو العلماء المسلمين النازلين بمكة المكرمة أو المدينة المنورة، ممن يشار إليهم بالمجاورون الذين يفدون إلى الحجاز ليسدوا خدماتهم العلمية خلال موسم الحج.

فأمنية طالب العلم كانت تتجسد أولا في زيارة الأماكن المقدسة في مكة والمدينة و تأدية فريض الحج و للتبرك بزيارة الأماكن المقدسة كقبر الرسول محمد صلي الله عليه و سلم و الصحابة رضوان الله عليهم.

وفي المدينة كان الطلبة بعد قضاء حوائجهم الضرورية يسارعون إلى لقاء الشيوخ من أهل العلم و الأدب، بقصد الأخذ عنهم و السماع منهم حرصين كل الحرص على الحصول على المرويات النادرة و الأسانيد العالية، ويستعدون لحضور مجالس العلم أسمعتهم وتحقيق حسن فهمهم للمسائل العلمية الدقيقة

أ – المكانة العلمية لمكة المكرمة

وجدت مكة لتكون مركز إشعاع ديني و علمي على مدي الزمان، من خلال نشاط علمائها ، فكان المسجد الحرام مقر للتدريس و جامعة مفتوحة للعلم حيث يتصدر الشيخ الحلقة و حوله الطلبة من مختلف الاقطار[1]

وقد أشار إبن جبير لظاهرة إنتشار الحلقات في المسجد الحرام بقوله " أنه غاص بحلقات الدرس[2]، يتضح دور المسجد الحرام العلمي من خلال كتب الرحالة مثل إبن جابر الوادي آشي و إبن رشد وغيرهم الذين دونوا رحلاتهم بين نمط البرامج و الوصف مثل التيجيبي فهم يظهرون مدي إشعاع هذا المركز العلمي و شهرته، في كل ناحية من أقطار البلاد الإسلامية، فموسم الحج مناسبة لكل شيء، فموسم الحج مناسبة لكل شيء[3]،وقد زخرت كتب التراجم بالكثير من تراجم العلماء الراحلين إلى مكةو المدينة المنورة، ونادرا ما نجد من لم تكن رحلة إليها [4].

لقد كانت للحلقات العلمية و الدينية التي تنعقد في المسجد أهمية في تعليم المسلمين أمور حياتهم الدينية و الدنيوية[5]،و روي عبد الله بن عمر ان الرسول صلي الله عليه و سلم " خرج ذات يوم من بعض حجرة فدخل المسجد فإذا هو بحلقتين احداها يقرؤون القرآن و يدعون الله و الأخرى يتعلمون و يعلمون" فقال النبي صلي الله عليه و سلم "كل خير

---

[1] عبد الله عبد الرحمن صالح، تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، ط1 ، دار الفكر، بيروت، 1973م، ص 41

[2] إبن جبير، المصدر السابق، ص68

[3] تاج الدين السبكي، المصدر السابق، ,ج5، ص156

[4] إبن خلدون، العبر، المصدرالسابق، ج2، ص361

[5] شرف الدين الكروي ، المرجع في الحضارة الاسلامية ، ط1، منشورات دات السلاسل ، الكويت ، 1984م، ص266

هـؤلاء يقـرؤون القـرآن ويـدعون الله فـان شـاء الله أعطـاهم و إن شـاء مـنعهم وهـؤلاء يتعلمـون و يعلمون و إنما بعثت معلما فجلس معهم"[1].

وإستمرت مكانة المسجد الحرام عبر العصور فإزداد إقبال الناس على العلم في العصر الاموي وغدت مكة مركزا للعلم و الثقافة في أيام الخلافة العباسية[2]، وظل الطلبة و العلماء يتوفدون عليها عبر العصور و الأزمنة خاصة عهد الأيوبيين و المماليك فكانت الحلقات العلمية و الدينية، تتم فيها مناظرة العلماء من المجاورين و الوافديين من شتي أقطار العالم الاسلامي خاصة في موسم الحج يتبادلون فيما بينهم الثقافات و العلوم و المعارف و الأفكار النافعة, و برزت المكانة المرموقة لمكة المكرمة و المسجد الحرام بتصدر كبار العلماء للتدريس و التعليم و أشار إبن رشد أن الطبري تدور عليه الفتيا أيام الموسم[3].

وذكر الرحالة المغاربة و والأندلسيين تنوع حلقات العلم وسماع الأحاديث الشريفة والشعر[4]، و التفسير و المغازي و علوم الحديث و نماذج من خطب الجمعة و علم القراءات و الفقه وغيرها من العلوم .[5]

و ساعد على بروز المسجد الحرام كمركز علمي توفر فيه الكتب اللازمة للتعليم,وشاهد التيجيبي[6], خزائن للكتب في المسجد الحرام , وهي كتب موقوفة للمسجد .

---

[1] عبد الهادي الحنفي السندي ، شرح سنن ابن ماجة القزويني، تحقيق: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، 1424هـ-2003م، ص101

[2] النجم إبن فهد، إتحاف الورى بأخبار ام القري ، ج2، ط1، تحقيق محمد شلتوت، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1983م، ص378

[3] إبن رشد ، ملء العيبة في الوجهة إلى الحرمين مكة و طيبة، ج5، تحقيق: محمد الحبيب إبن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م ، ص131

[4] المصدر نفسه ، ج 5، ص263

[5] التيجيبي، المصدر السابق، ص382

[6] المصدر نفسه، ص306

إضافة للكتب الخاصة بكل عالم و كان لنجم الدين الطبري[1] خزانة كتب كبيرة الي جانب الكتب الموقوفة من قبل علماء مكة المكرمة[2].,و أسهم علماء كل مذهب بتامين الكتب للدارسين و ايقافها عليهم داخل المسجد الحرام و شاهد إبن جبير خزانة للكتب تتبع للإمام مالك موقوفة على أهله[3]

ب – المكانة العلمية للمدينة المنورة

يعد المسجد النبوي المراكز العلمي الثاني في الحجاز وقد أشار إبن جبير إلى تصدر علماء الشيعة في الإمامة و الخطابة في المسجد النبوي [4] و سرعان ما تغيرت تلك الأوضاع فتحدثت كتب الرحالة عقب إبن جبير و بروز دور علماء السنة في المدينة المنورة[5].

وقد حافظ المسجد النبوي علي مركزه العلمي وظل مقصدا لطلبة العلم يعودون منها إلى أوطانهم لنشر ما تلقوه من علمائها، وكان العلماء المجاورون يحتفظون بكتبهم داخل المسجد النبوي في اماكن خاصة بهم [6].

وللدلالة على وفرة الكتب في المدينة المنورة وتنوعها ما قيل أنه" ما من عالم صنف كتابا بالمشرق بالسند أو بالهند أو العراق أو غيرها من الأقاليم إلا يصرف نسخة للمدينة المشرفة تبركا و رجاء الإقبال على كتبه، فضلا على ذلك وجود عدد كبير منها للإعارة[7]،كما ضم

---

[1] التيجيبي، المصدر السابق ، ص376

[2] تقي الدين الفاسي، المصدر السابق ، ج5، ص105

[3] إبن جبير، المصدر السابق ، ص83

[4]المصدر نفسه ,ص179

[5] نفسه,ص179

[6] إبن رشد، المصدر السابق، ج5، ص69

[7] السخاوي، التحفة اللطيفة، المصدر السابق،ج3 ، ص231

المسجد النبوي مكتبة كبيرة إحتوت على خزنتين كبيرتين من الكتب وبعض المصاحف الموقوفة للمسجد[1] و أن الكثير من هذه الكتب قد أتلف وضاع لاسيما أن المسجد النبوي تعرض لحريقين تسببا في إتلاف الكثير من الأشياء القيمة[2].

ولابد من الإشارة إلى الدور الذي يقوم به الحجاج في نشر العلم أثناء سيرهم إلى الحجاز فركب الحجيج يضم ألاف المسلمين منهم في أثناء سيرهم يتدارسون ويتلقون العلم[3].

ونستطيع القول أن المسجد المكي و النبوي حظيا بأهمية علمية كبيرة لكثرة العلماء والمؤلفات فيهما وهما الأساسان في صبغهما بتلك الأهمية وجعلهما مقصدا لطلبة العلم و العلماء[4]، وقد حفلت مكة و المدينة بالكثير من العلماء الاجلاء الذين ساهموا بدور كبير في اثراء الحركة العلمية فيهما.

ج – علماء المغرب الأوسط المجاورين لمكة المكرمة و المدينة المنورة

مما زاد من مكانة مكة و المدينة العلمية بروز ظاهرة جديدة تمثلت في ظهور شريحة إجتماعية مميزة من أهل العلم و الصلاح برزت في مكة وعرف أفرادها بإسم المجاورين الذين بفضلهم شهدت مكة حركة ثقافية و علمية لا مثيل لها في العالم الإسلامي.

المجاورة تعني المساكنة و المقاربة ويقصد بها النزول بجوار الله الحرام و قبر الرسول صلي الله عليه و سلم و الاقامة بجانبه المشرف، يقول ابن منظور: "آما المجاورة بمكة و المدينة فيراد بها المقام المطلق غير ملتزم بشرائط الاعتكاف الشرعي"[5] .

---

[1] محمد المنوني، الجزيرة العربية في الجغرافيات و الرحلات المغربية، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج29،1978م،ص301

[2] تعرض المسجد النبوي لحريق في المرة الاولي في رمضان سنة 654هـ-1256م و المرة الثانية سنة 886هـ-1481م، السخاوي ،التحفة اللطيفة، المصدر السابق ، ج3، ص231

[3] البلوي، المصدر السابق، ج1، ص287

[4] إبن رشد، المصدر السابق، ج5، ص10

[5] إبن منظور، المصدر السابق، ج1، ص724

وقد عرفت المجاورة كظاهرة دينية و إجتماعية، إقتضتها قدسية المكان وشرفه و فضيلته منذ ظهور الاسلام وهي تمتد وتقصر حسب رغبة المجاور ودوافعه والظروف المحيطة به لهذا فأغلب المصادر لا تزودنا بمدة مجاورة العلماء و إنما تلمح في الغالب دون تحديد إلى أن هذا العالم أو ذاك قد جاور سنينا في مكة أو المدينة[1].

أو تؤكد بأنه جاور حتي مات[2]، وهناك بعض المصادر من تبخل في التصريح بالمجاورة و لكنها تشير الي بقاء أحد العلماء في مكة أو المدينة فترة زمنية تمكن من خلالها التحديث و نشر العلم فيها[3]، وهناك بعض المصادر بينت لنا من خلال بعض النصوص الواردة فيها مدة المجاورة التي أمضاها العلماء و الطلاب و أكدت تفاوت مدة المجاورة بين شخص و أخر حسب الظروف المحيطة بكل واحد منهم.

وهذا جدول يوضح علماء المغرب الأوسط المجاورين لمكة المكرمة والمدينة المنورة

الرقم	إسم العالم	مكان المجاورة و مجالاته	مدة الجاورة
01	أبو العباس أحمد بن محمد بن ابي بكر بن مرزوق التلمساني 740هـ-1339م[4]	جاور بمكة مدة ثم عاد إلى بلده ,ثم حج مرة أخري سكن المدينة المنورة	مات بمكة المكرمة

[1] أحمد بن محمد المعروف بإبن الفوطي، الحوادث الجامعة و التجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق:مهدي نجم ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ-2004م، ص165-166

[2] كمال الدين ابن العديم، بغية تاريخ حلب ، ج3، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت ، لبنان، (د.ت)، ص72

[3] ابي بكر إبن نقطة، التقييد لمعرفة الرواة و السنن و المسانيد ، ج2، تحقيق: شريف بن صالح الشناوي، وزارة الاوقاف القطرية، الدوحة، 1435هـ-2014م ، ص118

[4] يحي إبن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص115 ينظر: ابن مريم المصدر السابق، ص132

02	أبو الحسن علي إبن فرغوس التلمساني[1]	زار مصر والحجاز و العراق و اليمن و استقر بمكة المكرمة و كان من المقرئين	30 سنة مجاورا للكعبة برباط الخوري و حمل إسمه بعد وفاته
03	أبو محمد عبد الله بن عمر بن موسي البسكري ت 713هـ-1313م[2]	حج و جاور بمكة و المدينة وكان منظم للمدائح النبوية من أهمها : دار الحبيب أحق أن تهواها و تحن من طرب إلى دكراها وعلي الجفون متي هممت بزورة يا ابن الكرام عليك أن تغشاها	توفي بالمدينة االمنورة و دفن بالبقيع
04	عبد الله بن موسي بن عمر بن يونس الزواوي ت734هـ-1333م[3]	حج و اقام بمكة و المدينة و اخد عن ابن دقيق حفظ الموطا	مات بمكة المكرمة
05	أبو عبد الله محمد بن يحي بن مؤمن بن علي الزواوي	جاور مكة المكرمة سنين عديدة و سمع بمكة من المفتي عماد	توفى بمكة المكرمة

(1) تقي الدين الفاسي، المصدر السابق، ج5، ص459

(2) إبن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ، المصدر السابق، ج2، ص280 ينظر: السبتي، المصدر السابق، ج5، ص269

(3) السيوطي، بغية الوعاة، المصدر السابق،ج1، ص267

	الملقب بمنديل ت 787هـ-1385م[1]	الدين عبد الرحمان بن محمد صحيح البخاري ومن التوزري جامع الترمدي و اشتهر في علم الحديث بأرض الحجاز واشتغل بالتدريس	
06	محمد بن مختار الزواوي ت 660هـ-1260م[2]	حج وجاور بمكة و المدينة المنورة إشتهر بعلم الحديث ببلاد الحجاز	جاور سنين ثم عاد إلى بلده
07	عبدالله البجائي ت 803هـ-1400م[3]	فقيه مالكي حج و جاور و إستوطن مكة و زار المدينة المنورة	توفي بمكة المكرمة و دفن بها
08	يحي الزواوي[4]	جاور مكة يقرئ الناس بالروايات بعد البرهان المسروري وكان من جلة المقرئين الصالحين الذين وفدوا أرض الحجاز	جاور مدة ثم عاد إلى بلده

[1] إبن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، المصدر السابق، ج2 ،ص307

[2] تقي الدين الفاسي، المصدر السابق، ج5، ص350

[3] ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ، المصدر السابق،ج2، ص265

[4] تقي الدين الفاسي، المصدر السابق ، ج5 ، ص291

09	قاسم بن عبد الله بن منصور بن عيسي الهلالي القسنطيني ت849هـ-1445م[1]	محدث و مقرئ حج و جاور مكة و المدينة المنورة مقرئ بها	إستقر بالمدينة المنورة و توفي بها
10	يحي بن أحمد بن عبد السلام ابن رحمون العلمي ت 888هـ-1483م[2]	محدث جاور مكة المكرمة	جاور مكة المكرمة ثم عاد الى بلاده
11	أبوعبد الله محمد بن عمر الهواري ت843هـ-1439م[3]	مقرءا و محدثا ومتصوفا جاور مكة المكرمة له عدة تاليفات منها "تبصرة السائل" و"التبيان والتسهيل"	جاور مدة زمنية ورجع إلى بلاده و إستقر بوهران
12	إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمان بن يحي بن احمد بن سليمان الصدقاوي الزواوي ت 882هـ-1477م[4]	فقيه مالكي له المام بالتفسير رحل إلى المشرق وسكن المدينة المنورة مدة زمنية ثم إنتقل المكة المكرمة	توفي بمكة المكرمة

(1) التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق ، ج2، ص135

(2) المصدر نفسه ، ج2، ص272

(3) السخاوي ، الضوء اللامع، المصدر السابق ، ج8 ، ص274

(4) تقي الدين الفاسي، المصدر السابق ، ج5 ، ص352

توفي بالمدينة المنورة	حج وجاور بالمدينة المنورة حيث جلس للتدريس و الحديث بها	إبن الفخار محمد بن ميمون ت 801هـ-1399م[1]	13
جاور مدة زمنية	حج و رحل إلى المدينة المنورة للتدريس مدة زمنية له رسالة كلها في ترجيح السادة في الصلاة علي النبي محمد صلي الله عليه وسلم وله مؤلفات منها ارجوزة الروضة في الحديث	أحمد بن يونس بن سعيد شهاب الدين القسنطيني ت 878هـ-1474م[2]	14
مات بمكة المكرمة	جلس للتدريس بمكة المكرمة مما جعله يتولي وظيفة جمع أموال الزكاة	محمد بن مسعود بن صالح الزواوي ولد بمكة المكرمة سنة 798هـ-1399م[3]	15
جاور و عاد إلى بلاده	حج و جاور درس الحديث بالمدينة	أحمد بن محمد علي الزواوي[4]	16

(1) السخاوي ، المصدرالسابق، ج1، ص93

(2) محمد إبن فرحون، الديباج،ج2، تحقيق :محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع و النشر، القاهرة، (د .ت) ص124 ينظر: ابن مريم ، المصدر السابق، ص106

(3) إبن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، المصدر السابق، ص179

(4) الفاسي، المصدر السابق، ج5، ص295

17	أحمد بن محمد المصمودي التاجري ت 838هـ-1434م[1]	حج وجاور كان فقيها متميزا	توفي بمكة المكرمة
18	أحمد الحميري القسنطيني 878هـ-1474م[2]	فقيه جاور بمكة المكرمة واشتغل بالتدريس بها ثم إستقر بالمدينة	دفن بالبقيع بالمدينة المنورة

رغم قلة عدد المجاورين بمكة المكرمة و المدينة المنورة من أهل المغرب الأوسط بالمقارنة مع بعض المناطق الأخرى من العلم الاسلامي، فإن هذه المناطق ظلت الأماكن المقدسة لديهم وقد حرص هؤلاء المجاورين على الإلتزام بالصلاح و العبادة و الورع، و قد عرفوا بحبهم الشديد لهذه الأماكن حتي أصبحوا محل زيارة، و بذلك يكونون قد أعطوا إنطباعا حسنا عن أهل المغرب الأوسط.

وكان للمجاورين من علماء المغرب الأوسط إهتمام كبير بتحصيل مختلف العلوم و المعرفة و خاصة أثناء موسم الحج، حيث أسهموا في علو الحركة العلمية، وعليه فإن جهود هؤلاء المجاورين من علماء المغرب الأوسط هي مكملة لجهود علماء المسلمين وبالتالي شكلوا علامات بارزة في كتابة التاريخ من خلال إسهاماتهم و رحلاتهم في طلب العلم و تعلمه.

د – الحج ملتقي علماء و طلبة المغرب الاسلامي

تسارع المسلمون منذ ظهور الإسلام لأداء الفريضة وشدوا الرحال الي بيت الله العتيق، و لقد بين صلي الله عليه و سلم مناسكهم ووضح الآداب و السلوك أثناء تأدية فريضة الحج، كما أرسي عليه السلام أسس تنظيمه و سار عليه بعد الخلفاء و الولاة الذين قدموا لحجاج

---

(1) السخاوي ، الضوء اللامع، المصدر السابق، ج2، ص156 ينظر:ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر، المصدر السابق، ص360

(2) المقري، المصدر السابق، ج5 ، ص428

بيت الله الحرام كل عون و مساعدة لتيسير الحج، ولم يكن حجاج المغاربة بمعزل عن هذه الأحداث إذ حرصوا علي أداء الفريضة غير مكترثين بالصعاب و العوائق [1].

و يعد الركب الصالحي أول ركب مغربي برئاسة محمد صالح الماجري (ت 631هـ-1233م)، وقد ظل هذا الركب ملتزما بتنظيم أداء فريضة الحج ذهابا و إيابا و ذلك بسن عدة تنظيمات منها : تعين مقدمين للحجاج موزعين بين الجهات التي بها مريدوه و وإلزامهم بالسفر عن طريق البر تفاديا لأخطار القرصنة عن, طريق البحر و تنظيم بمراكز نزول المسافرين إنطلاقا من رباط أسفي و إنتهاء عند الحرمين الشرفين [2].

كما ساهم بإهتمام سلاطين و أمراء المغرب الإسلامي في تنظيم ركب الحجيج المغاربة فكان أمراء بني مرين أول من أشرف علي ركب حجيج المغاربة سنة 703هـ-1303م [3]، و بعد قرابة ربع قرن من الزمن أي في سنة 724هـ- 1324م إنطلق أول ركب الحجاج بإشراف الدولة الزيانية من تلمسان، و كان الامير الشيخ أبو زكريا يحي بن عمر بن جرار العبد الوادي هو من قاد وفد الحجيج من المغرب الأوسط[4]

أما الطريق الذي كان يسلكه حجاج المغاربة فإنها كانت لا تختلف عن طرق القوافل التجارية و تمر عبر محطات متعددة و هي نوعان :

---

(1)عبد القادر العافية ، رحلة الحج و لقاء الشيوخ " التيجيبي نموذجا" ، ط1، دار ابن حزم للطباعة و النشر، بيروت، 2006م، ص 14

(2) محمد بن معمر، "رحلات الحج من المغرب الاوسط الي مكة المكرمة "، **مجلة الحضارة الاسلامية** ،العدد 01،المجلد 18 الجزائر، 2017م، ص 280

(3)عبد الرحمن بالأعرج ، " دور رحلات الحج في التواصل الثقافي بين المغرب و المشرق القرن 8هـ-14م" ،**مجلة الحكمة** ، العدد 08، السداسي الثاني، تصدرها مؤسسة كنوز الحكمة للنشر و التوزيع ، الجزائر، 2016 م، ص 183

(4)المرجع نفسه ، ص 183

1- **الطريق البرية** : أ - الطريق البري الصحراوي الجنوبية ب : الطريق البرية الساحلية

2- **الطريق البحرية**[1]، ومن الواضح أن حاضرة بجاية كانت محور إلتقاء حجاج المغاربة حيث يجتمع الكل و يتجهون في ركب واحد صوب مصر، ويخرجون مع ركب الحجاج المصريين إلى الحجاز مما أتاح لهم الفرصة للإحتكاك و التفاعل خاصة بينهم و بين رواد العلم في تلك البلاد [2].

و قد إرتبطت رحلة الحج بالرحلة العلمية حيث أصبحت الرحلتان وجهين لعملة واحدة، و من ثم كانت هذه الرحلة من الوسائل المحمودة في بجاية عموما بإعتبارها عاملا مهما في توثيق الصلات و الروابط مع أهل المغرب خاصة و المشرق عامة[3].

وقد نتج عن هذه الرحلات تبادل العلم و المعرفة في مختلف المجلات بالإضافة انه تم تعرف العلماء مع بعضهم البعض بعدما كانوا يتعارفون عن طريق المراسلات و المؤلفات [4]،كما أعانت رحلات الحج علماء المغرب الأوسط على الإطلاع على مستجدات الأثار العلمية في شتي أنواع المعارف بالإضافة الحصول على أكبر قدر من الإجازات العلمية[5]،

---

(1)محمد بكور، " طريق الحج الصحراوي صلة وصل بين المغرب و المشرق " ، **مجلة أمل**، العدد48، الرباط ، 2016م، ص 26

(2)صالح بعيزيق، المرجع السابق، ص 178

(3)شوقي عطاالله الجمل ، " الحضارة الاسلامية العربية في غرب أفريقيا – سماتها و دور المغرب فيها – ،"**مجلة المناهل** ،العدد07 ، السنة الثانية، تصدرها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ، الرباط ، 1976م، ص 143

(4)عبد الرحمن عطية ، " الغايات و الوسائل " ، ضمن ندوة ، **طرق الحج جسور للتواصل الحضاري بين الشعوب**، القاهرة ، 14-16 ربيع الثاني 1423هـ/25-27 حزيران –جوان، 2002م، ص74

(5)محمد بو كبوط ، " الرحلات الحجازية المغربية : صلة وصل حضارية بين المغرب و الجزيرة العربية " ، ضمن بحوث المؤتمر، **التواصل التاريخي و العلمي بين دول الخليج العربية و دول المغرب العربي** ، دائرة الملك عبد العزيز، الرياض، 2007م،ص 106

بالإضافة إلى توجههم إلى المراكز العلمية الكبرى في العالم الاسلامي كالعراق و خرسان و الشام و مصر لطلب العلم و السماع من الشيوخ الدين وصل صداهم إلى بلاد المغرب الإسلامي كالفقيه تقي الدين إبن دقيق العيد وشرف الدين الكركي و غيرهم .

و إستمر هذا التنقل لطلاب العلم و العلماء حتي في أحلك الصراع السياسي و في أزمنة القطيعة بين الدول، و تذكر كتب التراجم العديد من العلماء المغاربة ممن وفدوا إلى المشرق لأداء فريضة الحج من حواضر المغرب الإسلامي و أقاموا للدراسة بها و نهلوا من فقهاء المالكية تعاليم هذا المذهب[1]، ومنهم على سبيل المثال:

إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي أبو اسحاق ت 680هـ-1280م رحل إلى المشرق فزار مصر و الحجاز و الشام و أخذ العلم من علمائها [2].

أبو الروح عيسي بن مسعود المنكلاتي الزواوي ت 743هـ-1342م رحل إلى المشرق فزار العديد من الحواضر العلمية منها دمشق و الاسكندرية، مصر و الخليل و أخد عن ثلة من علماء المالكية و إستقر بمصر فذاع صيته و أصبح مدرسا للفقه و خطيبا بجامع الأزهر الشريف[3].

وعادت نتائج رحلة الحج على مكتبة الرحلات بالفوائد الجمة حيث جمع الرحالون بين أداء الفريضة و التحصيل العلمي و معرفة الطرق و البلدان فجمعوا ذلك في مؤلفاتهم.

و-أوقاف المغاربة على الحرم المكي و المدني و الحرم المقدسي

---

(1) عبد الواحد دنون طه ،" الرحلة و دورها في توثيق الصلات العلمية : الموصل و الاندلس انموذجا " ،ضمن كتاب ، **الرحلات العلمية المتبادلة بين الغرب الاسلامي و المشرق**، ط1 ،دار المدار الاسلامي , بيروت ,2005م، ص 74

(2) التنبكتي ، نيل الابتهاج ، المصدر السابق ، ص 35ينظر : التنسي ،المصدر السابق ، ص 126

(3) إبن فرحون ، الديباج، المصدر السابق ، ج2، ص57 ينظر: عمار هلال ، " العلماء الجزائريون في فاس فيما بين القرنين العاشر و العشرين الميلاديين 4-14هـ، " **مجلة الدراسات التاريخية** ، العدد09، الجزائر ، 1995م، ص 20

تعتبر الأوقاف و الأحباس من الصدقات التي يتقرب بها العباد إلى خالقهم، و إقتداء بالرسول صلي الله عليه و سلم عمل أبناء الأمة الإسلامية من الأثرياء و العلماء على تحبيس المباني و المكتبات على حجاج بيت الله الحرام.

و قد إعتني المغاربة بالأوقاف سواء داخل مجتمعاتهم أو خارجها و التي شملت نوعين أولهم ما يوقف على المؤسسات العامة ذات الطابع الديني أو العلمي أو الإجتماعي و هذا النوع هو المعروف بالأوقاف العمومية و النوع الثاني هو الوقف المعقب و هو المعبر عنه بالوقف الأهلي وشملت الأوقاف عند المغاربة في البلاد الحجازية عدة مجالات منها :

المجال الديني الذي تمثل فيما تصدقوا به من دور جنات و مواضع جعلوا عوائدها و منافعها في خدمة الحرمين الشرفين منها وقف المصاحف، حيث نجد العديد من المغاربةأوقفوها منهم :

-تحبيس السلطان أبي يعقوب يوسف المريني مصحفا على الحرم المكي سنة 703هـ-1303م ثم حمله رفقة ركب الحج المغربي و كان حجمه كبيرا و مرصعا بالذهب و الياقوت [1]

-تحبيس السلطان أبي الحسن المريني مصحفا كتبه بخط يده وتولي مجموعة من آكابر القراء بتدقيقه اللغوي وتضبطه، و كلف مجموعة من الوراقين بتذهيبه وزين بالجواهر و غلف بالجلد و الحرير[2]

---

[1]عبد الرحمان بالأعرج،"علاقات دول المغرب الإسلامي بدول المماليك سياسيا و ثقافيا بين القرنين السابع و التاسع هجريين7-9هـ/13-15م"، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ، تخصص تاريخ المغرب الاسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، 2012-2013م، ص 258

[2]خالد الناصري السلاوي ، الاستقصاء ، ج3 ، تحقيق: جعفر الناصري و محمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء، 1997م، ص 12

-تحبيس أبي العباس أحمد بن علي بن ابي بكر العبدري ت 687هـ-1287م، و الذي كان يقيم في مدينة الطائف بالحجاز , كما سكن مكة و حبس مكتبة على طلبة العلم بها، و كانت المكتبة مشتملة علي فوائد جمة، و ممن إستفاد منها مؤرخ الحجاز الشيخ تقي الدين الفاسي الذي وظف محتوياتها في كتابة التاريخ لمكة المكرمة(1)

-تحبيس الشيخ إبراهيم التلمساني ت 766هـ-1364م لمجموعة من الكتب في الفقه و الأصول و الحديث و اللغة بمكة المكرمة و المدينة المنورة(2)

أما المجال العلمي إهتم المغاربة بالوقف على المشتغلين بالعلم، حيث دأب السلاطين و أمراء بلاد المغرب الإسلامي، كما فعل السلطان محمد بن عبد الله ت 860هـ-1455م الذي كان يسني جائزة للعلماء على نحو ما صنع مع الشيخ مرتضي الزبيدي حين وصله بمبلغ خمسمائة دينار ذهبا و ساعة قيمتها خمسمائة دينار، بعثها له مع ركب الحج الفاسي سنة 856هـ-1451م , ووقف مقدار من المال علي طلبة الفقه من المذاهب الأربعة(3).

و تجدر الإشارة إلى أن المغاربة إهتموا بوقف الكتب و المكتبات، وأقدم ما حبسه المغاربة في هذا المجال على الحرمين الشرفين و الأربطة و المدارس بمكة و المدينة المنورة جملة من كتب الفقه المالكي التي وقفه محمد بن عبد الله امام المالكية بالحرم المكي الشريف عام 588هـ-1192م على طلبة الفقه و المذهب المالكيين في الحرم، و قد أوقف العالم أبو العباس أحمد بن علي بن أبي بكر في القرن السابع 687هـ-1288م، و الذي أقام في الطائف و سكن مكة المكرمة و حبس مكتبته على طلبة العلم، وكانت هده المكتبة

(1) تقي الدين الفاسي، المصدر السابق ، ج4،ص74

(2)خير الدين الزركلي، الأعلام ,دار الملايين، 2002م، ص 77

(3) السجلماسي، إتحاف الناس بأخبار حاضرة مكناس لابن زيدان ،ج3، ط3، تحقيق : علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ، 2008م، ص233

غنيةبالكتب النفيسة في مختلف المجالات و المعارف لا سيما السير و التراجم و التواريخ و هو ما يصفه تقي الدين الفاسي لها :" بأنها كثيرة مشتملة على فوائد جمة"[1].

وفي القرن الثامن هجري الرابع عشر ميلادي نجد الشيخ إبراهيم التلمساني 766هـ-1364م الذي كانت له كتب جليلة في الفقه و الأصول و الحديث و اللغة قام بوقفها في بلاد الحجاز.

و نجد محمد بن أحمد الفاسي في القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي 878هـ-1473م أوقف مكتبته العامرة بالنفائس، على العلماء و الطلبة و المتعلمين، و عامة الناس الراغبين في الإطلاع و القراءة[2].

ومن المدارس الموقوفة منها مدرسة الملك الأفضل العباس إبن مجاهد بالجانب الشرقي من المسجد الحرام وقفت على الفقهاء الشافعية , كان ذلك قبل (سنة 770هـ -1368م)، و مدرسة بدار العجلة القديمة على يسار المسجد الحرام.

كما نجد السقايات و هي السبل و البرك المسبلة منها البركتان اللتان بالمعلاة على يمين الداخل إلى مكة و على يسار الخارج[3] .

أما في الحرم المقدسي فكانت أوقاف المغاربة تحظى برعاية رسمية و أهلية، وقد نصت وثائق الوقف على أن المغاربة، العابرين أو المقيمين هم المعنيين بالعقارات الموقوفة، فوثيقة العالم الجليل أبي مدين شعيب من أهل المغرب الأوسط المحررة سنة 720هـ-1320م كانت تنص على أن "كلا من قرية عين كارم و الإيوان –إيوان و بيتين و ساحة و مرتفق

---

[1] تقي الدين الفاسي , المصدر السابق ,ج2, ص74

[2] محمد إبن فرحون، نصيحة المشاور و تعرية المشاور، ط1،تحقيق: حسن محمد علي شكري ، دار الأرقم، 2000م،ص171

[3] تقي الدين الفاسي، المصدر السابق، ج1، ص124

خاص, و مخزن و قبو , و توجد هده الأوقاف بقنطرة أم بباب السلسة– حبس على المغاربة المقيمين بالقدس أو القادمين اليها "[(1)].

وفي حالة عدم وجود المغاربة بالقدس الشريف فإن الوقف يرجع غلى المغاربة المجاورين لمكة المكرمة أو المدينة المنورة [(2)]، و تذهب وثائق أخري إلي المساواة بين المغاربة في الإستفادة من العقارات الموقوفة، فالحارة التي أوقفها السلطان الملك الأفضل نور الدين (سنة 589هـ-1193م) على المغاربة تنص وثيقتها على أن الحارة الموقوفة تخص جميع المغاربة على اختلاف أوطانهم و تباين حرفهم, ذكورهم وإناثهم، كبيرهم و صغيرهم، فاضلهم و مفضولهم [(3)].

ولحفظ أوقاف المغاربة و حمايتها من المصادرة , أو مما يبطل إستمراريتها نصت وثيقة عمر المصمودي المحررة سنة 730هـ-1330م على أن وقفها " لايرهن ,و لا يوهب، ولايُسلب، ولا لمؤمن بالله أن يبطل هذا الوقف"[(4)]، و هكذا حرصت الوثائق على حماية حقوق المغاربة بالقدس الشريف, بتخصيصها على المغاربة هم الجالية المستهدفة من الإنتفاع من الأوقاف و قد شكلت هذه الأوقاف مظهرا أخر من مظاهر الوجود المغاربي بالقدس الشريف في العصر الوسيط

2-العلاقات الثقافية مع البلاد المصرية

كانت مصر من بين الأمصار الإسلامية الهامة التي ربطتها علاقة ثقافية متينة مع المغرب الأوسط و يرجع هذا الإقبال إلى مجموعة من العوامل منها:

---

(1) إبراهيم التازي، أوقاف المغاربة في القدس، مطبعة فضالة ، المحمدية، 1401هـ-1981م ، ص48- عن وثيقة وقف ابي مدين شعيب

(2)المرجع نفسه، ص 48

(3)إبراهيم التازي ،المرجع السابق ،ص40

(4) المرجع نفسه،ص47، عن وثيقة وقف المصمودي

أ – العامل الجغرافي

لتوسطها العالم الإسلامي فهي همزة وصل بين مشرقه و مغربه، لوقوعها في الطريق المؤدي إلى الحج، فكانت الإسكندرية إحدي المحطات الهامة لرحلة المغاربة عامة و المغرب الأوسط بالخصوص إلى البلدان المشرقية يصلون عبر رحلة شاقة و مضنية،فيمكثون فيها وقتا من الزمن للراحة من عناء السفر و للالتقاء بعلمائها و زيارة معالمها، ومن الإسكندرية تشد الرحال إلى ميناء عيداب للعبور البقاع المقدسة بالحجاز[1].

فمصر و خاصة الاسكندرية[2] من الأراضي التي يجبذها الكثير من الرحالة سواء لزيارتها أو الاستقرار فيها و دار إقامة لينالوا شرف المقام بها، و ليستزيدوا من مناهل العلم بها [3].

و يذكر القلقشندي في"كتابه الصبح الأعشى" ما تزخر به مصر من محاسن فيقول: أما محاسنها فلا شك أن مصر مع ما اشتملت عليه من الفضائل و حفت به من المأثر أعظم الأقاليم خطرا، و أعدلها هواء ، و أجملها قدرا، و أفخمها مملكة، وأطيبها تربة، وأخفها ماء و أحسنها ثمارا، و ألطفها سكانا لذلك نري الناس يرتحلون إليها وفودا و يفدون عليها من كل ناحية و قل من يخرج منها أو يرحل عنها ومن ولجها مع ما إشتملت عليه من حسن المنظر و بهجة الرونق [4]

---

[1] جمال الدين شيال , تاريخ مصر الاسلامية, دار المعارف , القاهرة ,1966م , ص 37

[2] للإسكندرية مكانة خاصة عند المسلمين لفضلها و مكانتها عند الرسول صلي الله عليه و سلم، و يذكر إبن دقماق أن عروة بن الزبير روي عن سعد بن أبي وقاس رضي الله عنه ان الرسول الله صلي الله عليه و سلم قال: الإسكندرية و عسقلان عروستان و الإسكندرية أفضلهما ....فمن رابط الإسكندرية أربعين يوما كتب الله له براءة من النار . و يقول كذلك إن خيار أهلها أفضل من خيار غيرها و شرار أهلها خير من شرار غيرها . ابن دقماق، المصدر السابق، ج4, ص 116

[3] جمال الدين شيال، المرجع السابق ، ص 38

[4] القلقشندي، المصدر السابق ، ص99

ب – المكانة العلمية لمصر" الاشعاع الثقافي للقاهرة"

تأسست القاهرة على يد القائد جوهر الصقلي بإيعاز من الخليفة الفاطمي المعز لدين الله الفاطمي و كان ذلك سنة 358هـ-969م[1] ، لتصبح العاصمة السياسية للفاطميين بالمشرق و مركزا لنشر الدعوةالإسماعلية، و شيد معها جامع الأزهر و مع حلولهم في أواسط القرن 6هـ-12م وجه الأيوبيون إهتمامهم إلى بناء المدارس بالمدينة بلغت نحو ثلاثة و عشرون مدرسة[2] ، وعملوا على تدعيم المذهب السني من خلال تدريس أصوله و بوصول المماليك إلى السلطة في مصر، أخذإتساع القاهرة و نموها شكلا جديدا فقد أصبح الشرق الاسلامي بعد سقوط بغداد و إنتقال الخلافة العباسية إلى القاهرة خاضعا لهذه السلطة التي إستقرت في العاصمة المصرية و أصبح تأثيرها قويا يشع في جميع الإتجاهات و غدت القاهرة محل سكن العلماء و محط رحال الفضلاء[3].

وزاد على ذلك أن أصبح جامع الأزهر إحدي المنارات العلمية الكبرى بالمشرق الإسلامي، و أضحي مع المماليك مركزا علميا جاذبا حيث أن السلطان ظاهر بيبرس البندقداري أعاد له حياته العلمية و الدينية بعد أن توقفت زمن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الذي عمل على توجيه الأنظار إلى الجامع الحاكم[4].

وأمر الظاهر بيبرس سنة 663هـ-1264م بتدريس المذاهب الاربعة[5]، و على هذا الأساس ذاع صيت الأزهر كجامع و خاصة كجامعة علمية يدرس بها علماء بارزين و

---

(1)سيد أيمن فؤاد، التطور العمراني لمدينة القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 2004م ، ص 11

(2),المرجع نفسه، ص31

(3) السيوطي، حسن المحاضرة ، المصدر السابق، ج2، ص 94

(4)جامع الحاكم أسسه السلطان الفاطمي نزار بن المعز لدين الله في رمضان سنة 380هـ-990م ، و أكمله ابنه الحاكم بامر الله، المقريزي ، الخطط,المصدر السابق، ج4، ص 58

(5)إبن كثير ، المصدر السابق، ص 245

مثلما جلب أنظار العلماء من عدة أصقاع، فإنه ولا شك لعب دورا كبيرا في إستقطاب العلماء المغاربة نحو القاهرة[1]، خاصة و أنه منذ القرن 8هـ-14م تبوأت هذه المنارة العلمية في مصر و العالم الاسلامي الزعامة الثقافية و الفكرية و أصبح علماءها يحظون بالنفود و الجاه و الشهرة، و قد درس في الأزهر العديد من المشارقة ذوي الكفاءة العلمية أمثال إبن حجر العسقلاني و القلقشندي و المقريزي، وأصبح الأزهر مستقطبا للعلماء المغاربة بفضل إشعاعه و تطور نظام التعليم فيه و لأهمية المدرسين به و قيمة الإجازات المتحصل عليها، و نظرا لتزايد عدد الوافدين على القاهرة من طلبة و علماء كثرت الأروقة في صلب الجامع فظهر رواق الأتراك، ورواق الشوام و رواق الصعايدة، و رواق المغاربة [2].

وكان لكل رواق شيخ قائم علي أمر أصحابه يحتكمون إليه في حل مشاكهم و طوارئ أمورهم[3]، وتجمع المصادر على أن هذا الرواق كان من أقدم الأروقة التي شهدها الأزهر و هو ما يدل على "عراقة الروابط الثقافية بين المشرق و المغرب فقد وجد مكتوبا على بابه : " أمر بتجدده مولانا و سيدنا السلطان الأشرف قايتباي "[4]

فالأمر بتجديد الرواق يعني أنه قائم مند فترة طويلة و كان يقع في الجانب الغربي من باب المغاربة أحد أبواب الأزهر التسعة الرئيسية، و كان له بابان و فيه مساكن و مكتبة و كبيرة زاخرة بالمؤلفات .

---

(1) ليلي الصباغ، **الوجود المغربي في المشرق في العصر الحديث** ، المجلة التاريخية المغربية ، 7-8 ، 1977م ، ص 91-92

(2) إبن بطوطة، المصدر السابق ، ص 25

(3) الغزي نجم الدين، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، ج1 ، تحقيق :جبرائيل سليمان جبور، مطبعة المرسلين اللبنانيين، بيروت ، 1949م ، ص30

(4) علي باشا مبارك ، الخطط التوفيقية الجديدة لمدينة مصر القاهرة و مدنها و بلادها القديمة و الشهيرة ، ج4، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1987م، ص 53

كانت مفتوحة أمام طلاب العلم المغاربة و غيرهم من العلماء و الطلبة الاخرين، و كان يقدم الخدمات لهؤلاء يرعاهم طوال مدة إقامتهم بالأزهر و يصرف لهم الجرايات و كانت لا تمنح إلا لمن كان مالكي المذهب[1].

علاوة على ذلك فقد أوقفت الأوقاف علي جميع الأروقة للعناية بالغرباء و الفقراء و قد سعي الأمراء و السلاطين على ذلك حيث أن الأمير بشير الجمدار الطواشي الناصري كان قد رتب (سنة 761هـ-1360م) للفقراء المجاورين و الطلبة و العلماء طعاما بالجامع الأزهر يطبخ كل يوم و تلاه في ذلك الأمير قطباي العلائي (سنة 910هـ-1504م) ، و إتخذت الاجراءات لتأمين دراسة الطلبة و خصص لهم بيت مجاور لمسجد جوهر لتأمين إقامتهم [2].

لقد كان للأزهر دور كبير في إستقطاب العلماء المغاربة نحو القاهرة، فالأخذ عن علماءه و مشايخه ذوي الشهرة الواسعة و التدريس في أروقته، ومن علماء المغرب الأوسط الذين درسوا في الأزهر الأديب عفيف الدين التلمساني (ت 690هـ-1291م) و الفقيه شرف الدين الزواوي (ت 744هـ-1343م) و غيرهم[3]

3- العلاقات الثقافية مع الشام

هاجرت مجموعات مغربية و أندلسية بلاد المغرب و الأندلس، و توجهت إلى بلاد الشام نتيجة عوامل شجعتهم على التحرك الذي تطور من عملية نزوح إنفرادية في البداية إلى عملية نزوح جماعية إتسمت بالغزارة و النشاط.

---

(1) علي باشا مبارك، المرجع السابق ، ص 53

(2) مارجوليت دافيد صموئيل، القاهرة و بيت المقدس و دمشق ، دار علاء الدين ، دمشق ، 2000م، ص 45

(3) ليلي الصباغ، المرجع السابق ، ص 80

و نظرا للسلبية التي ميزت الساحة في المغرب الإسلامي و الأندلس خاصة الإضطرابات و التبدلات السياسية في المغرب الاسلامي و الأخطار التي لحقت بالأندلس و سكانها بفعل الهجمات النصرانية.

فقد وجد هؤلاء المهاجرين ضالتهم في بلاد الشام المتميزة بمكانتها العلمية و الاقتصادية، و التي توافقت مع تطلعاتهم بحيث أصبح هؤلاء القادمون من المغرب و الأندلس يستقبلون و يعاملون على قدم المساواة مع إخوانهم في بلاد الشام.

وقد شكل المغاربة جالية كبيرة العدد متنوعة الإختصاصات شاركوا من خلالها في جميع مفاصل الحياة العامة ووجوهها، وشملت الرحلات المغربية و الأندلسية إلى بلاد الشام منها ما كان لأغراض علمية و منها لأغراض سياسية و إدارية أو تجارية فضلا عن الرحلة بقصد الإستقرار، و ضمت تلك الرحلات شرائح مختلفة من تجار و علماء و طلبة علم و غيرهم[1]

أ-المكانة العلمية لبلاد الشام

أصبحت بلاد الشام في فترة الدراسة من أهم مراكز النشاط الفكري ,الذي إشترك فيه الكثير من العلماء و الأدباء و المؤرخين ليس من الشامين و حدهم و إنما أسهم فيه عدد من علماء العالم الاسلامي و منهم المغاربة فقد وصف لنا ابن جبير صورة جميلة لواقع الحركة العلمية الفعالة و النشطة في المدن الشامية المختلفة.

حيث ذكر و جوده في مدينة حلب و تكلم عن جامعها و مدارسها قائلا : " و يتصل به من الجانب الغربي مدرسة للحنفية تناسب الجامع حسنا و إتقان صنعته ..... و هذه

---

(1)باشا عمر موسي، الأدب في بلاد الشام " عصر الزنكيين و الأيوبيين و المماليك "، ط2 ، دار العلم ،دمشق، 1982م، ص18

المدرسة من أحفل ما شاهدناه من المدارس بناء و غرابة و صنعة ... و للبلدة سوي هذه المدرسة نحو أربع أو خمس " [1].

أما دمشق فقد كانت تحظي باهتمام خاص و مميز ترجمه الرحالة في العديد من المواضيع و أبدو إعجابهم بالمدينة و تفضيلها على القاهرة أو الإسكندرية و قد يكون ذلك يرجعا إلى الصلات التاريخية بين الشام و المغرب الاسلامي منذأن نزحت القبائل العربية إلى إفريقية و المغرب و الأندلس حاملة معها العادات و التقاليد المحلية [2]، فقد جعلها إبن جبير دار الإسلام و جنة المشرق و إعتبرها مركزا علميا و تجاريا[3].

وكذلك إبن رشيد الفهري الذي زارها سنة 684هـ-1283م و إبن بطوطة الذي دخلها سنة 726هـ-1325م و مكث بها مدة و قرأ على شيوخها و قد خصها في رحلته بصفحات طوال [4]،وقد سطع نجم الجامع الأموي شأنها شأن القاهرة و أصبح مع المماليك منارة علمية تنافس الأزهر بناه الوليد بن عبد الملك سنة 87هـ-706م و إنتشرت فيه حلقات التدريس و رصدت له الأوقاف [5]، و قد وصف إبن جبير النشاط العلمي بالجامع قائلا : " و من مفاخر هذا الجامع أنه لا تخلو منه صباحا و لا مساء و فيه حلقات التدريس للطلبة و للمدرسين فيها أجراء واسع "[6].

شهد الجامع الأموي بدمشق نهضة علمية و ثقافية جعلته قبلة للعديد من العلماء منهم المغاربة الذين وجدوا الحظوة و الإهتمام من أهل المدينة، و عرفوا بالأمانة و الثقة فأهل دمشق " ضلوا

---

(1) إبن جبير، المصدر السابق ، ص 227

(2) صلاح الدين منجد، المشرق في نظر المغاربة و الأندلسيين في القرون الوسطي، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1963م، ص 17

(3) إبن جبير ، المصدر السابق ، ص 210

(4) إبن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 50

(5) النويري شهاب الدين، المصدر السابق،ج1، ص 341

(6) إبن جبير، المصدر السابق، ص 220

معجبين بالمغاربة الوافدين عليهم طلبة علم و علماء ... و سلموا لهم تأديب أبنائهم و رأوا فيهم مثالا للأمانة فمنحوهم الإشراف على خزائن الكتب و التدريس، و الإفتاء على المذهب المالكي "، وعملت الأوقاف على تركيزهم بالمدينة حيث سببت لهم وجوه المعايش [1].

و قدساير إبن بطوطة سلفه إبن جبير حول موقف أهل دمشق من العلماء المغاربة بقوله: " و أهل دمشق يحسنون الظن بالمغاربة و يطمئنون إليهم بالأموال و الأولاد والأهلين، و كل من إنقطع منهم بجهة من جهات دمشق لابد أن يتأتى له وجه من المعاش من إمامة مسجد أو قراءة بمدرسة ...... تجري له النفقة و الكسوة ... ومن أراد طلب العلم أو التفرغ للعبادة و جد الإعانة التامة [2] فمكانة بلاد الشام في نفوس المغاربة عامة و علماء المغرب الأوسط بالخصوص جعلتهم يتوفدون عليها .

ب – المكانة العلمية للقدس الشريف

تعتبر مدينة القدس من الحواضر العريقة في التاريخ و التي حظيت باهتمام كبير و هذا راجع للثقل الديني لبيت المقدس، الذي يؤممه الناس من كل مكان سواء مسلمين أو مسحين أو يهود.

وقد إرتبط أهل الغرب الإسلامي عامة و أهل المغرب الأوسط بالخصوص بالقدس الشريف منذإعتناقهم الإسلام، لتأخذ هذه الحاضرة المقدسة إلى جانب مكة المكرمة و المدينة المنورة، مكانتها من الرحلات المشرقة للعديد من الرحالة عبر أصقاع العالم الاسلامي، ومنهم المغاربة و الأندلسيون، وقد ذكر لنا ناصر خسروا " أنها تأوي إضافة إلى حجاج

---

(1) ابن جبير، المصدر السابق، ص 225

(2) إبن بطوطة، المصدر السابق ، ص 237

مسلمين، خلقا كثيرا من أرض الروم و بقية البقاع المسيحية، كما يؤم المكان الكبير من اليهود والمسيحين اللذين يزورون كنائسهم "[1]

وقد سجل المغاربة في هذا الفضاء الديني المقدسي المتنوع حضورهم باعتبارهم زائرين عابرين و بكونهم مجاورين مقيمين بالرحم المقدسي، حيث دأب المغاربة على العروج على بيت المقدس بعد فراغهم من أداء مناسك الحج.

حتى أن أحد الرحالة المغاربة و هو محمد بن عبد الوهاب المكناسي ت 1200هـ-1750م عنون رحلته " إحراز المعلي و الرقيب في حج بيت الله الحرام و زيارة القدس الشريف و الخليل و قبر الحبيب" .

و ماميز الوجود المغربي هو المجاورة حيث يأتي بين المقدس في المرتبة الثالثة بعد الحرم المكي و المدني فقد صح عن رسول الله صلي الله عليه و سلم بقوله :

" لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، و مسجدي هذا، و المسجد الأقصى "[2]

---

[1] ناصر خسروا، سفر نامة ،رحلة ناصر خسروا و القبادياني،ط1، ترجمة و تقديم : أحمد خالد البدلي،جامعة الملك سعود، القاهرة، 1994م، ص53

[2] الترميذي أبو عيسي محمد بن عيسي، الجامع الصحيح سنن الترميذ، ج2،مراجعة،أحمد محمد شاكر و أخرون، دار احياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)، رقم الحديث،326، حيث قال " حديث حسن صحيح",سنن الترميدي كتاب أبواب الصلاة على رسول الله عليه و سلم ، باب ماجاء في أي المساجد أفضل.

ثانيا : الدراسة الإحصائية

1- علماء القرن السابع الهجري"الثالث عشر ميلادي" 7هـ-13م

الرقم	إسم العالم	المدينة	الاختصاص	المدن التي تردد عليها
01	عبد السلام بن علي بن عمر الزواوي ت681هـ-1282م(1)	بجاية	الفقه القراءات	الجامع الأموي بدمشق
02	جعفر بن عبد الوهاب بن عثمان الزواوي ت 644هـ-1243م(2)	بجاية	الفقه القراءات	مكة المكرمة
03	مخطار بن محمد الزواوي ت 688هـ-1278م(3)	بجاية	الحديث	الحجاز-مكة المكرمة
04	إبن عبد الله الزواوي ت 671هـ-1261م(4)		الفقه- التصوف	القرافة

(1) اليونيني، ذيل المراة الزمان ، ج4، ,ط1، تحقيق :حمزة أحمد عباس، المجمع الثقافي، هيئة أبو ظبي للثقافة و التراث، أبوظبي، 2007 م، ص 173

(2)تقي الدين الفاسي، المصدر السابق، ج3، ص424

(3) إبن مريم، المصدر السابق، ص170

(4) شمس الدين محمد الذهبي ، تاريخ الاسلام, ج4، ط2، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، 1410هـ-1990م، ص 158

05	إبن معطي الزواوي ت 633هـ-1224م[1]	بجاية	علوم اللغة الشعر	دمشق مصر
06	محمد بن إبراهيم بن يحي بن منصور الزواوي ت 683هـ-1284م[2]	بجاية	الفقه	مصر-الشام
07	أبو زكريا السطايفي ت 677هـ-1278م[3]	سطيف	الفقه	الحجاز مكة - المدينة
08	يحي بن محمد التيجيبي التلمساني ت652هـ-1254م[4]	تلمسان	اللغة العربية التدريس	مصر-مكة-المدينة
09	يحي بن حسن الحسناوي الزواوي ت661هـ-1264م-[5]	أمسون - بجاية	الفقه التصوف	الحجاز-مكة المكرمة-المدينة
10	الزواوي يوسف بن عبد السلام أبو يعقوب ت693هـ1294م[6]	بجاية	الفقه	الشام- دمشق

(1) السخاوي، الضوءاللامع، المصدرالسابق، ج2، ص322

(2) إبن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، المصدر السابق، ج3,ص55

(3) الغبريني، المصدر السابق، ص103

(4) جلال الدين السيوطي، طبقات المفسرين في الطبقات الحنفية ، ج1، تحقيق:علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، 1976م، ص 124

(5) إبن قنفد القسنطيني، المصدر السابق، ص49

(6) إبن مريم ،المصدر السابق،ص305

11	عمر بن عبد المحسن الوجهاني ت691هـ-1292م[1]	بجاية	الفقه	مصر -الحجاز
12	حافي راسه محمد بن عبد الله ت693هـ-1294م[2]	تلمسان	الفقه	القاهرة – الشام دمشق
13	عفيف الدين التلمساني ت 690هـ-1291هـ[3]	تلمسان	الفقه	القاهرة-الشام
14	عبد الوهاب إبن يوسف البجائي ت 680هـ-1281م[4]	بجاية	الفقه-علم المنطق	مكة المكرمة
15	إبراهيم بن يخلف المطماطي ت670هـ-1272م[5]	بجاية	الفقه	مصر-الشام الحجاز
16	آبا إسحاق إبراهيم السبتي ت680هـ-1281م[6]	تلمسان	الفقه	القاهرة الشام

(1) أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، مطبعة بيير فونتانة الشرقية ،الجزائر ،1334هـ-1906م، ص292

(2) الصفدي، الوافي ،المصدر السابق ،ج1 ،ص204

3 المصدر نفسه،ج3،ص364

(4) الغبريني، المصدر السابق ، ص 233

(5) إبن مريم، المصدر السابق، ص66

(6) السخاوي، الضوء اللامع، المصدر السابق، ج3، ص 284

17	الشاب الظريف 688هـ-1290م[1]	تلمسان	الشعر	القاهرة- مصر
18	منصور بن يحي بن عيسي زواوي ت 689هـ-129م[2]	بجاية	الفقه	مصر
19	أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر 681هـ-1282م[3]	تلمسان	القراءات	مكة المكرمة القاهرة
20	يحي بن الحسن الحسناوي أبو زكريا الزواوي ت634هـ-1237م[4]	أمسيون - بجاية	الفقه التصوف	الشام مصر
21	التنسي إبراهيم بن يخلف ت 670هـ -1272م[5]	تنس	الفقه-اللغة العربية	مصر-الشام الحجاز
22	علم الدين بن سليمان ت645هـ-1252م[6]	بجاية	الفقه الفرائض	مصر

(1) محمد السخاوي،الضوء اللامع، المصدر السابق،ج3،ص214

(2) إبن حجر العسقلاني، انباء الغمر، المصدر السابق، ج1، ص73

(3) إبن مرزوق التمساني، المصدر السابق، ص356

(4) التنبكتي ، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ج1، ص242

(5) محمد السخاوي ، الضوء اللامع، المصدر السابق، ج3، ص244

(6) شمس الدين محمد الذهبي، تاريخ الاسلام ، ج13، ص866

23	يحي بن يحي الزواوي ت 664هـ- 1264م[1]	بجاية	الفقه	مصر
24	محي الدين الزواوي ت 675هـ- 1291م[2]	بجاية	الفقه	دمشق
25	أحمد بن محمد الزواوي ت 681هـ-1281م[3]	بجاية	الفقه-اللغة العربية- التصوف	المدرسة القمحية مصر
26	المزالي محمد بن موسي بن النعمان ت 682هـ-1284م[4]	تلمسان	الفقه- الشعر	الإسكندرية القاهرة
27	علي بن أبي نصر البجائي أبو الحسن ت 652هـ-1254م[5]	بجاية	الفقه	مكة المكرمة-دمشق القدس-الإسكندرية
28	إبراهيم إبن ميمون الزواوي ت692هـ-1293م[6]	بجاية	الفقه	مكة المكرمة-مصر

(1) السخاوي، المصدر السابق،ج3، ص260
(2) شمس الدين محمد الذهبي, معجم الشيوخ ،ج1,ط1، تحقيق: روجيه عبد الرحمن السيوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1990م، ص 528
(3) التنبكتي ، نيل الابتهاج ،المصدر السابق،ج2،ص110
(4) الصفدى، المصدر السابق، ج5، ص89
(5) التنبكتي، نيل الابتهاج ،المصدر السابق،ج2، ص329
(6) السخاوي، الضوء اللامع، المصدر السابق، ج3،ص285

29	أحمد بن عبد العزيز التلمساني ت 663هـ-1265م[1]	تلمسان	الفقه التصوف	مصر
30	أبا عبد الله محمد الحسيني ت 7هـ-13م[2]	تلمسان	الفقه	مصر-الحجاز
31	أبو بكر بن عمر بن سالم رضي الدين القسنطيني ت 695هـ-1296م[3]	قسنطينة	اللغة العربية النحو	القدس الشريف القاهرة
32	أحمد بن علي البوني ت 622هـ-1225م[4]	عنابة	الفقه- الحديث	الشام- الحجاز
33	علي أبو الحسن البجائي ت675هـ-1271م[5]	بجاية	الفقه الحديث	الحجاز الشام
34	سليمان بن علي الرقيق التلمساني ت 690هـ-1291م [6]	تلمسان	الأدب- الشعر	القاهرة-دمشق

(1) الصفدي ،المصدر السابق، ج4، ص 101
(2) إبن خلدون،الرحلة ، المصدر السابق، ص63
(3) إبن القاضي، درة الحجال، المصدر السابق، ج1،ص225
(4) التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص267
(5) إبن مريم، المصدر السابق ، ص204
(6) الغبريني، المصدر السابق، ص201

35	محمد بن عبد الله المتيجبي ت 659هـ-1263م[1]	الجزائر العاصمة	الحديث الأدب	الاسكندرية
36	أبو الحسن البجائي ت655هـ-1256م[2]	بجاية	الفقه التفسير	القدس الشريف دمشق
37	علي بن عبد الله الوهراني ت620هـ-1225م[3]	وهران	اللغة العربية-النحو	الشام-دمشق
38	أحمد التلمساني الأنصاري ت 633هـ-1283م[4]	تلمسان	الفقه-التصوف	مصر
39	البوني إبراهيم بن يوسف بن محمد وجيه الدين أبو الفرج ت612هـ-1215م[5]	بونة	القراءات	الشام دمشق
40	الزواوي عبد الرحمن بن عبد الله ضياء الدين الغماري ت644هـ-1246م[6]	بجاية	الفقه النحو	مصر-الشام مات بدمشق

(1) إبن عماد الحنبلي، المصدر السابق، ج5، ص299
(2) التنبكتي، نيل الابتهاج ، المصدر السابق، ج1، ص202
(3) إبن مريم , المصدر السابق , ص254
(4) الصفدي، المصدر السابق، ص101
(5) إبن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، المصدر السابق، ص147
(6) النعيمي الدمشقي، المصدر السابق، ج2، ص5

41	الوهراني علي بن عبد الله بن ناشر بن المبارك 762هـ-1361م [1]	وهران	التفسير-النحو	الشام-دمشق
42	محمد بن محمد أبو عبد الله التلمساني المقري ت 759هـ1358م[2]	تلمسان	الفقه النحو	مصر-الحجاز-مكة-المدينة-الشام-القدس الشريف
43	مصباح بن سعيد القسنطيني ت 748هـ-1347م[3]	قسنطينة	الفقه النحو	مصر مكة المكرمة
44	الحسن عبد الله بن ريحان أبو عبد الله الراشدي التلمساني ت 685هـ-1284م[4]	تلمسان	القراءات	مصركان عارفا بالقصيدبصيرا بالأسانيد
45	علي بن عبد السلام الزواوي ت681هـ-1282م[5]	بجاية	القراءات	دمشق

(1) السيوطي، بغية الوعاة، المصدر السابق، ج2، ص172

(2) إبن مريم، المصدر السابق، ص144

(3) إبن فرحون، الديباج، المصدرالسابق،ج2، ص345

(4) إبن الجزري الدمشقي ،غاية النهاية في طبقات القراء ،ج1 ، ط1، تحقيق: ج.برجستراسر، دار الكتب العلمية،1427هـ-2006م، ص 218

(5)شمس الدين محمد الذهبي ,معرفةالقراء الكبار على طبقات و الأعصار، ج2،تحقيق: بشار عواد معروف،شعيب أرناؤوط، مؤسسة الرسالة، سوريا، 1984م، ص350

46	زين الدين الزواوي ت 683هـ-1285م[1]	بجاية	الفقه تولي القضاء	الشام دمشق
47	محمد بن أحمدأبو الطيب التبسي ت 696هـ-1296م[2]	تبسة	الحديث نسخ كتاب ابن أبي الربيع" الأضاح"	مصر نزل بمدينة قوص و توفي بها
48	جمال الدين أبو محمد الجزائري ت 601هـ-1204م[3]	الجزائر	الحديث	مصر

(1)اليونيني، ذيل المرآة، المصدر السابق، ص175

(2)الصفدي، المصدر السابق، ج2، ص146

(3)الذهبي ,تاريخ الإسلام, ,المصدر السابق,ج15,ص89

2- علماء القرن الثامن الهجري -الرابع عشرة ميلادي 8هـ-14م

الرقم	إسم العالم	المدينة	الاختصاص	*المدن التى ترددوا عليها*
01	حسن بن عبد الله المليكشي ت778هـ-1379م[1]	العلمة	الفقه	مصر
02	محمد بن علي بن إسماعيل الزواوي ت 775هـ-1376م[2]	بجاية	الحديث	مصر
03	علي بن شرف الدين الزواوي ت769هـ-1370م[3]	بجاية	الفقه	مصر المدينة المنورة
04	محمد بن حسين صارم بن سعيد بن عبد الله ت 8هـ-14م[4]	بجاية	الفقه-مالكى ثم شافعي	مصر

(1)المقريزي , الخطط, ,المصدر السابق,ج5 , ص62

(2)الذهبي,تاريخ الإسلام , المصدر السابق ,. ج13, ص872

(3),السخاوي ,الضوءاللامع,المصدر السابق,ج3 ,ص183

(4) المقريزي, المصدر السابق, ج5,ص63

05	تقـــي الـــدين الـــزواوي ت 8هـ-14م[1]	بجاية	الفقه اللغة العربية	مصر الشام
06	بـن سـليمان بـن أحمـد بـن راشدت 8هـ-14م[2]	بجاية	الفقه	مصر
07	أحمـد بـن محمـد بـن عبـد الله الشـهاب المغـراوي ت 810هـ-1410م[3]	تلمسان	الفقه	مصر الشام دمشق
08	أحمد بن عبد الرحمان إبن الأســتاذ النــدرومي ت 830هـ-1428م[4]	ندرومـــة-تلمسان	الفقه	القاهرة
09	إبـــن يـــومن الـــزواوي ت 734هـ-1333م[5]	بجاية	الحديث	دمشق
10	عبـد الحكـيم الـزواوي ت 710هـ-1323م[6]	بجاية	الفقه الحديث	مكة المكرمة

(1) إبن حجر العسقلاني, أنباء الغمر ,ج1,المصدر السابق,ص73

(2) المصدر نفسه,ج3,ص36

(3) السخاوي ,الضوء اللامع, المصدر السابق, ج2,ص138

(4) إبن مريم، المصدر السابق ,ص44 ينظر التنبكتي ,نيل الابتهاج,,المصدر السابق, ج1,ص80

(5) إبن حجر العسقلاني، انباء الغمر , المصدر السابق,ج1 ,ص170

(6) تقي الدين الفاسي، المصدر السابق ،ج3 ،ص420

11	عبد الله بن موسي بن عمر بن موسي ت752هـ-1355م[1]	بجاية	القراءات	مكة المكرمة
12	أبي بكر محمد الزواوي ت718هـ-1318م[2]	بجاية	الفقه-الحديث القراءات	القاهرة
13	أبو الروح عيسي بن مسعود ت 743هـ-1345م[3]	بجاية	الفقه-التاريخ الحديث	مصر دمشق
14	شمس الدين بن محمد الزواوي ت 738هـ-1340م[4]	بجاية	الفقه	دمشق
15	يحي بن موسي الزواوي ت745-1347م[5]	بجاية	الفقه	القاهرة – الزاوية المالكية

(1) تقي الدين الفاسي، المصدر السابق، ج1 ،ص290

(2) إبن حجر العسقلاني ،الدرر الكامنة،المصدر السابق،ج4،ص265

3 الصفدي، الوافي،المصدر السابق،ج2،ص728

4 الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع،ج1،دار الكتاب الإسلامي، بيروت،2012م،ص353

(5) إبن حجر العسقلاني , الدرر الكامنة , ج3,المصدر السابق,ج3,ص255

16	شرف الدين قاسم بن عمر الزواوي [1]	بجاية	الفقه- التصوف	مصر
17	شعيب بن محمد بن جعفر بن شعيب التلمساني [2]	تلمسان	الفقه-المنطق الحساب-	مصر الشام
18	محمد إبن مرزوق بن أحمد الخطيب ت 1379م[3]	تلمسان	الفقه علوم اللغة	الحجاز-الشام-مصر مصر-القدس
19	محمد بن سليمان التلمساني ت 794هـ-1392م[4]	تلمسان	الفقه	الشام- مصر
20	إبراهيم بن عبد الله التلمساني ت 796-هـ1394-[5]	تلمسان	الفقه	مصر -مكة المكرمة
21	الملياني سعيد بن محمد ت771هـ-1369م[6]	مليانة	-النحو- القراءات	القاهرة دمشق

(1) السخاوي,الضوء اللامع,المصدر السابق ,ج5,ص134

(2) إبن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة, ج2, المصدر السابق, ص290

(3) إبن فرحون ,الديباج, المصدر السابق,ج2,ص270 ينظر ابن مريم , المصدر السابق ,ص180

(4) إبن طولون ,الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام المعروف بقضاة دمشق , مطبوعات المجمع العلمي العربي،2016م، ص251

(5) إبن حجر العسقلاني، انباء الغمر، المصدر السابق,ج3,,ص219

(6) المصدر نفسه, ج2,ص230

22	أحمد بن محمد أبو العباس العنابي ت 776هـ-1368م[1]	بونة	علوم اللغة القراءات	دمشق-مصر
23	إبن أبي حجلة بن يحي التلمساني ت725هـ-1328[2]	تلمسان	علوم اللغة الشعر-التصوف	القاهرة دمشق-الحجاز
24	الندرومي محمد بن محمد الكومي 777هـ-1367م[3]	ندرومة	الفقه الحديث	القاهرة-مكة المكرمة دمشق-القدس
25	منصور بن أحمد علي المشدالي ت 731هـ-1331م[4]	بجاية	الفقه الحديث	مصر الشام
26	محمد بن سليمان الزواوي ت 717هـ-1317م[5]	بجاية	الحديث	الاسكندرية دمشق

(1) إبن الجزري , غاية النهاية ، المصدر السابق, ج2,ص125
(2) إبن عماد الحنبلي، المصدر السابق,ج6,ص240
(3) الزركلي، المصدر السابق,ج1, ص255
(4) إبن القنفد، المصدر السابق ,ص54
(5) إبن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ,المصدر السابق, ج4,ص168

27	بن أحمد بن محمد بن أبي بكر مرزوق الحفيد 766هـ-1364م[1]	تلمسان	الفقه النحو- الادب	مكة المكرمة مصر
28	يحي بن صالح بن عتيق الزواوي ت710هـ-1315م[2]	بجاية	الفقه القضاء	الشام دمشق
29	أبو الفرج المنكلاتي الزواوي ت752هـ-1335م[3]	بجاية	الفقه	الشام مصر
30	محمد بن عمر بن علي البجائي ت 740هـ-1339م[4]	بجاية	اللغة العربية- الشعر	مصر-مكة المكرمة
31	محمد بن علي بن عبد النور التلمساني ت733هـ[5]	تلمسان	الفقه	مصر بغداد

(1) إبن مريم, المصدر السابق,ص212

(2) إبن حجر العسقلاني , الدرر الكامنة ,المصدر السابق,ج3,ص251

(3) المصدر نفسه,ج4,ص161

(4) التنبكتي ,نيل الابتهاج , المصدر السابق ,ج2, ص290

(5) يحي إبن خلدون,المصدر السابق,ج1,ص122

32	أحمد بن محمد أبو عبد الله المقري ت759هـ-1359م[1]	تلمسان	التفسير-الفقه-الأدب	مصر-دمشق القدس -الحجاز
33	يحي بن يحي الزواوي ت 8هـ-14م[2]	زواوة	علوم اللغة	مصر-الحجاز القدس الشريف
34	أحمد بن محمد العوكلي ت 810هـ-1405م[3]	قسنطينة	الفقه	مكة المكرمة
35	أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي ت720هـ-1320م[4]	تلمسان	الفقه	مكة المكرمة المدينة المنورة
36	محمد بن علي بن إسماعيل بدر الدين الزواوي ت 775هـ-1376م[5]	بجاية	الحديث	القاهرة

(1) إبن مريم، المصدر السابق ,ص154

(2) إبن حجر العسقلاني ,الدرر الكامنة , المصدر السابق,ج4,ص265

(3) السخاوي ، الضوء اللامع , المصدر السابق, ج1,ص315

(4) إبن حجر العسقلاني، المصدر السابق,ج1,ص319

(5) السخاوي ، المصدر السابق,ج5,ص184

37	محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحي بن عبد الرحمن التلمساني الشهير بالمقري ت707هـ-1307م[1]	تلمسان	الفقه اللغة العربية التدريس	مصر -الشام مكة المكرمة المدينة المنورة-القدس
38	قاسم بن محمد العقباني ت 768هـ-1360م[2]	تلمسان	الفقه	مكة المكرمة القاهرة
39	أبو الفرج البوني ت 14م[3]	بونة	الفقه -الامامة	الشام-حلب-دمشق
40	شرف الدين الزواوي ت 743هـ-1342م[4]	زواوة	الفقه	دمشق-مصر- الخليل
41	محمد إبن إبراهيم بن الإمام ت في حدود 749-1348 [5]	تلمسان	الفقه	القاهرة-الحجاز دمشق-القدس

(1) التنبكتي, كفايةالمحتاج, المصدر السابق ,ص326

(2) المصدر نفسه ,ص281

(3) إبن مريم,المصدر السابق ,ص207

(4) إبن حجر العسقلاني,الدرر الكامنة,,المصدر السابق,ج5,ص543

(5)يحي إبن خلدون, المصدر السابق,ص139

42	أحمد إبن مرزوق الكفيف [1]	تلمسان	الفه-التفسير الحديث	مكة المكرمة
43	أحمد بن يحي بن أبي بكر بن عبد الواحد التلمساني ت776هـ-1374م[2]	تلمسان	اللغة العربية الفقه	القاهرة الحجاز
44	بدر الدين الزواوي [3]	زواوة	الفقه	دمشق-مصر
45	علي بن عيسي لزواوي [4]	بجاية	الفقه اللغة العربية	دمشق-مكة المكرمةالزاوية المالكية
46	أبا عبد الله محمد بن ابراهيم الآبلي ت 1356م[5]	درس بتلمسان	الفقه-اللغة العربية	الحجاز
47	موفق الدين التلمساني ت 704هـ-1304م[6]	تلمسان	الفقه	مصر

(1) السخاوي ,الضوء اللامع, المصدر السابق,ج4,ص294
(2) إبن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة, المصدر السابق,ج4,ص58
(3)المصدر نفسه,ج4,ص296
(4)السخاوي، المصدر السابق,ج5,ص296
(5) إبن خلدون الرحلة ,المصدر السابق ,ص22
(6) إبن حجر العسقلاني,المصدر السابق,ج3,ص303

48	محمد بن أحمد بن زاغو ت849هـ-1445م[1]	تلمسان	الفقه	الحجاز
49	أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد النور ت780هـ-1376م[2]	تلمسان	الفقه الحديث	مكة المكرمة مات بها
50	أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد النور ت796هـ-1392م[3]	تلمسان	الفقه الكيمياء	مصر- ماردين[4] - بغداد
51	أحمد بن عثمان ابن عبد الجبار المتوسي الملياني ت 766هـ-1356م[5]	مليانة	الفقه	الشام
52	أحمد بن محمد المتيجي ت 770هـ- 1360م[6]	متيجة	الفقه الحديث	القاهرة مكة المكرمة

(1) إبن القاضي , درة الحجال، المصدر السابق,ج3,ص277

(2) إبن مريم، المصدر السابق ,ص207

(3) المقري، المصدر السابق,ج5, ص238

(4) ماردين :مدينة من بلاد الجزيرة شمال العراق وهي في جهة الشمال من الموصل و غرب حران، تابعة لدويلات ايلخانية و اليوم هي تابعة لتركيا، حسين مؤنس، أطلس تاريخ الاسلام، ص ص 225 و 227

(5) الغبيريني ،المصدر السابق , ص188

(6) السخاوي , المصدر السابق ,ج2, ص217

3-علماء القرن التاسع هجرى" الخامس عشر ميلادي "9هـ-15م

االرقم	إسم العالم	المدينة	الإختصاص	المدن التي ترددوا عليها
01	خليفة بن عبد الرحمان بن حسين الزواوي ت 9هـ-15م[1]	بجاية	الفقه -التصوف اللغة العربية	مصر-درس بالمدرسة الشيخونية
02	محمد بن أحمد بن زاغو ت812هـ-1399م[2]	تلمسان	الفقه	مكة المكرمة المدينة المنورة
03	أحمد بن أحمد بن محمد المصمودي التلمساني ت852هـ[3]-1435م	تلمسان	الفقه	الشام دمشق
04	طاهر بن زيان الزواوي القسنطيني ت 902هـ-1499م[4]	قسنطينة	الفقه التصوف	مصر الشام

(1) التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق,ج1,ص120

(2) إبن القاضي، المصدر السابق,ج2,ص289

(3) التنبكتي ،نيل الا بتهاج, المصدر السابق,ج1,ص148

(4) الحفناوي، المرجع السابق ، ص191

05	أبو النجي سالم إبن القاضي عفيف الدين بن محمود [1]	قسنطينة	علوم اللغة	الاسكندرية مكة المكرمة
06	سالم بن عبد الله بن سعادة بن طاحين القسنطيني ت 820هـ-1417م[2]	قسنطينة	الشعر الفقه	الإسكندرية
07	أحمد بن يحي بن عيسي بن عياش بن ابراهيم ت 860هـ-1455م[3]	قسنطينة	الفقه التصوف	مكة المكرمة
08	قاسم بن عبد الله بن منصور بن عيسي الهلالي ت849هـ-1445م[4]	قسنطينة	الحديث- القراءات	الحجاز
09	أبو القاسم محمد بن محمد بن عبد الرحمان ت 859هـ-1446م[5]	قسنطينة	الفقه	مكة المكرمة القدس الشريف

---

(1) السخاوي، الضوء اللامع،المصدر السابق ,ج3 ,ص243

(2)المصدر نفسه,ج5,ص256

(3) التنبكتي، نيل الابتهاج, المصدر السابق ,ج2,ص150

(4) السخاوي، الضوء اللامع، المصدر السابق، ج5، ص194

(5) التنبكتي , المصدر السابق ,ج1, ص121

10	أبو اسحاق إبراهيم بن فائد بن موسي الزواوي ت857هـ-1458م[1]	جرجرة بجاية	التفسير الفقه	مكة المكرمة
11	محمد بن المبارك القسنطيني ت 868هـ-1464م[2]	قسنطينة	علوم اللغة	مكة المكرمة المدينة المنورة
12	أبو زكريا يحي بن أحمد بن عبد السلام بن رحمون ت888هـ-1483م[3]	العلمة سطيف	علوم اللغة المنطق	مصر مكة المكرمة
13	أحمد بن يونس بن سعيد شهاب الدين القسنطيني ت878هـ-1474م[4]	قسنطينة	الحديث- الحساب المنطق	الحجاز-مصر الشام-القدس الشريف
14	أحمد بن علي ابن منصور الحميري البجائي ت 837هـ-1433م[5]	بجاية	الفقه النحو	القاهرة

(1) إبن حجر العسقلاني , الدرر الكامنة , المصدر السابق ج4,,ص105

(2) السخاوي ، المصدر السابق,ج8,ص295

(3) إبن مريم,المصدر السابق , ص208

(4) التنبكتي , نيل الابتهاج , المصدر السابق,ج1 , ص133

(5) السخاوي , الضوء اللامع،المصدر السابق,ج2,ص254

15	نصر الدين الزواوي ت 826هـ-1423م[1]	بجاية	الفقه-اللغة العربية	مكة-دمشق-القدس
16	أحمد بن قاسم بن سعيد ت 840هـ-1436م[2]	تلمسان	الفقه	الحجاز-مكة المكرمة-المدينة
17	أحمد بن عيسي الداودي الاوراسي ت1445[3]	الأوراس	الفقه-المنطق	مكة المكرمة
18	أحمد بن صالح بن خلاصة الزواوي ت 855هـ-1451م[4]	بجاية	الفقه	مصر-مكة المكرمة-المدينة المنورة
19	أحمد بن محمد الابدي البجائي ت 1457م[5]	بجاية	الفقه-التصوف المنطق	مصر المدينة المنورة
21	أحمد بن يونس الحميري القسنطيني ت[6]	قسنطينة	الفقه المنطق-الطب	مكة المكرمة

(1) ابن مريم, المصدر السابق ,ص51

(2) التنبكتي , المصدر السابق,ج1,ص78

(3)السخاوي, الضوء اللامع,المصدر السابق, ج1,ص305

(4) المصدر نفسه,ج1,ص315

(5) الزركلي، المصدر السابق , ج1,ص229

(6) السخاوي , المصدر السابق ,ج1 ,ص322

22	تقي الدين بن محمد الزواوي ت810هـ-1410م[1]	بجاية	التدريس اللغة العربية	القاهرة
23	أبو الطيب محمد النقاوسي ت848هـ-1444م[2]	سطيف	التفسير المنطق	القاهرة توفي بالحجاز
24	إبراهيم بن محمد المصعصع الصدقاوي ت 882هـ-1477م[3]	بجاية	الفقه	المدينة المنورة توفي بمكة المكرمة
25	أحمد بن علي الحميري البجائيت837هـ [4]	بجاية	الفقه- النحو	القاهرة
26	محمد بن أبي القسم بن محمد بن عبد الصمد أبو الفضل المشدالي 864هـ-1459م[5]	بجاية	الفقه-الحديث التفسير الادب	مصر درس بالأزهردمشق- حماة- مكة القدس الشريف

---

(1) السخاوي، المصدر السابق، ج3,ص260

(2) إبن حجر العسقلاني ,انباء الغمر , المصدر السابق,ج7,ص145

(3) السخاوي، المصدر السابق, ج2,ص138

(4) المصدر نفسه، ج2,ص44

(5) التنبكتي ، نيل الابتهاج , المصدر السابق ,ج1,ص110

27	حمزة بن عبد الرحمن بن حسن الزواوي ت 902هـ-1499م(1)	بجاية	الفقه-التصوف اللغة العربية	الشام مصر
28	أحمد بن عبد الرحمن النقاوسي ت810هـ-1405م(2)	بجاية	الفقه الجامع بين المنقول و المعقول كتاب في الطب سماه "تحفة القادم"	القاهرة الاسكندرية
29	أحمد بن محمد المصمودي التاجري ت 838هـ-1433م(3)	ندرومة تلمسان	الفقه	مكة المكرمة المدينة المنورة
30	أحمد بن موسي الحميري القسنطيني ت 878هـ-1473م(4)	قسنطينة	الفقه-الحديث التدريس بمكة المكرمة	الحجاز القدس الشريف الشام
31	سعيد احمد بن محمد الشهاني ت870هـ5	تلمسان	الفقه-الحديث-اللغة العربية	القاهرة-القدس

(1) السخاوي ، الضوء اللامع،المصدر السابق ,ج3,ص56

(2) التنبكتي , نيل الابتهاج ,المصدر السابق, ج1,ص76

(3)السخاوي، المصدر السابق،ج2,ص156

(4) التنبكتي , المصدر السابق,ج2، ص82

5 السخاوي،الضوء اللامع،المصدر السابق،ج8،ص277

32	أحمد بن يحي الآبدي ال ت 861-1468م[1]	بجاية	للغة – النحو – الصرف–	مصر
33	يحي بن موسي بن سعيد بن أحمد أبو زكريا الميازري الميلي ت 870ت-1450م [2]	ميلة	القراءات	مصر الشام
34	شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الرحمان التلمساني ت 830هـ-1410م[3]	تلمسان	الفقه–علم المنطق له اعمال لابن مرزوق على عمل الخوانجي في المنطق	مصر القاهرة
35	قاسم عبد الله بن منصور بن عيسي الهلالي القسنطيني ت 849هـ-1445م[4]	قسنطينة	الفقه الحديث	الحجاز المدينة المنورة و دفن بها

(1) السخاوي، المصدر السابق،ج8، ص281

(2) إبن مريم , البستان , المصدر السابق , ص 386

(3) التنبكتي , نيل الابتهاج, المصدر السابق، ج1,ص402

(4) المصدر نفسه ، ج1,ص 135

36	أبو عبد الله محمد بن عمر الهواري ت 843هـ-1439م[1]	وهران	القراءات الحديث	جاور مدة 10سنوات بمكة المكرمة
37	إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمان بن يحي بن أحمد الصدقاوي الزواوي ت 882هـ-1477م[2]	بجاية	الفقه التفسير	الحجاز توفي بالمدينة المنورة
38	رقية بنت عبد القوي البجائية ت 874هـ-1470م[3]	بجاية	الفقه	الحجاز-مات بمكة المكرمة المنورة
39	زين الدين الجزائري ت 884هـ-1476م[4]	الجزائر	الفقه- التدريس	الحجاز-مات بمكة المكرمة
40	صفية بنت محمد بن عمر بن عتيقة أم الحياء البسكرية ت 845هـ-1443م[5]	بسكرة	الفقه	الحجاز مكة المكرمة

(1) السخاوي ,الضوء اللامع، المصدر السابق ,ج5,ص274

(2) تقي الدين الفاسي، المصدر السابق , ج5,ص 352

(3)السخاوي، المصدر السابق , ج2,ص 34

4 التنبكتي، نيل الابتهاج ،المصدر السابق،ج1،ص272

(5) السخاوي , الضوء اللامع, المصدر السابق,ج12 ,ص 70

41	أبو القاسم الزواوي بن محمد 902هـ-1502م[1]	تلمسان	فقيه مالكي ألف شرحا على الرجز الضرير المراكشي	القاهرة الحجاز
42	بن عبد الله شمس الدين أبو عبد الله محمد بن يحي الطولقي ت 910هـ-1510م[2]	بسكرة	الفقه الحديث	الشام-استقر بدمشق تولي القضاء المالكي و دفن بدمشق
43	أحمد بن المصمودي التاجري ت 838هـ-1434م[3]	قسنطينة	الفقه	الحجاز-توفي بمكة المكرمة
44	أبو الطيب محمد بن محمد النقاوسي ت -1491م[4]	باتنة	الفقه-التفسير اللغة العربية	القاهرة-الحجاز توفي بمكة
45	حمزة بن حسن البجائي ت901هـ-1496م[5]	بجاية	الفقه –اللغة العربية	القاهرة-جاور بمكة المكرمة

(1) التنبكتي، المصدر السابق, ج1,ص102

(2) السخاوي، المصدر السابق، ج3, ص123

(3) المصدر نفسه،ج5، ص274

(4) السخاوي ،المصدر السابق،ج10،ص72

(5) المقري، المصدر السابق،ج5, ص167

46	إبن براهيم عبد الله البسكري ت 829هـ- 1426م[1]	بسكرة	الفقه-النحو أقرا القران بالمدرسة السلامية	القاهرة نزل فلسطين و بيت المقدس
47	حمزة بن علي التلمساني ت904هـ-1498م[2]	تلمسان	الفقه-الحديث	القاهرة-مكة المكرمة-المدينة
48	أحمد بن يونس العابدي ت880هـ-1475م[3]	العابد	الفقه الحديث	القاهرة-الشام حلب
49	عبد الرحمان بن محمد الجزائري ت860هـ-1459م[4]	الجزائر	الحديث النحو	القاهرة-الحجاز دفن بغزة
50	رقية بنت عبد القوي البجائية ت 874هـ-1466م[5]	بجاية	الحديث	الحجاز مكة المكرمة

(1) السخاوي، المصدر السابق،ج5 ،ص14

(2) المصدر نفسه,ج6 ,ص167

(3) التنبكتي ,نيل الابتهاج ,المصدر السابق, ج2,ص130

(4) إبن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، المصدر السابق,ج1 ,ص279

(5) السخاوي،الضوء اللامع،المصدر السابق,ج2 , ص34

51	زين الدين الجزائري ت 884هـ-1476م[1]	الجزائر	الفقه-التدريس	الحجاز-مات بمكة المكرمة
52	أحمد بن عبد الله المغراوي ت810هـ-1410م[2]	تلمسان	الفقه	مصر-الشام دمشق
53	أحمد عبد الرحمن الندرومي ت830هـ-1428م[3]	ندرومة	الفقه	مصر-القاهرة
54	إبن الفخار محمد بن محمد ميمون ت 1399م[4]	الجزائر	الفقه-الحديث	القاهرة-الحجاز
55	عبد الله البجائي ت803هـ-1401م[5]	بجاية	الحديث	مصر-الشام مكة المكرمة
56	أحمد بن محمد العوكلي ت810هـ-1405م[6]	قسنطينة	الفقه	مكة المكرمة

(1) المصدر نفسه,ج4,ص143

(2) السخوي، المصدر السابق,ج2,ص138

(3)إبن مريم, المصدر السابق ,ص44

(4)السخاوي، الضوء اللامع،المصدر السابق,ج10 ,ص23

(5)الفاسي، المصدر السابق ,ج5,ص326

(6)السخاوي, المصدر السابق ,ج1,ص315

57	محمد بن علي أبو زيان البجائي ت 1477م[1]	بجاية	الفقه	مصر الحجاز
58	أحمد بن محمد العقباني ت871هـ-1467م[2]	تلمسان	الفقه الحديث	الحجاز مكة المكرمة
59	محمد بن أحمد بن مسعود الجزائري ت891هـ-1486م[3]	الجزائر	الفقه النحو	مصر-الحجاز مات بالمدينة
60	شمس الدين أحمد بن محمد البسكري ت ق9هـ-15م[4]	بسكرة	الفقه الحديث النحو	مصر مكة المكرمة توفي بها

(1) السخاوي، المصدر السابق،ج5،ص234

(2) خير الدين الزركلي، المصدر السابق,ج8,ص123

(3) السخاوي , المصدر السابق,ج5,ص184

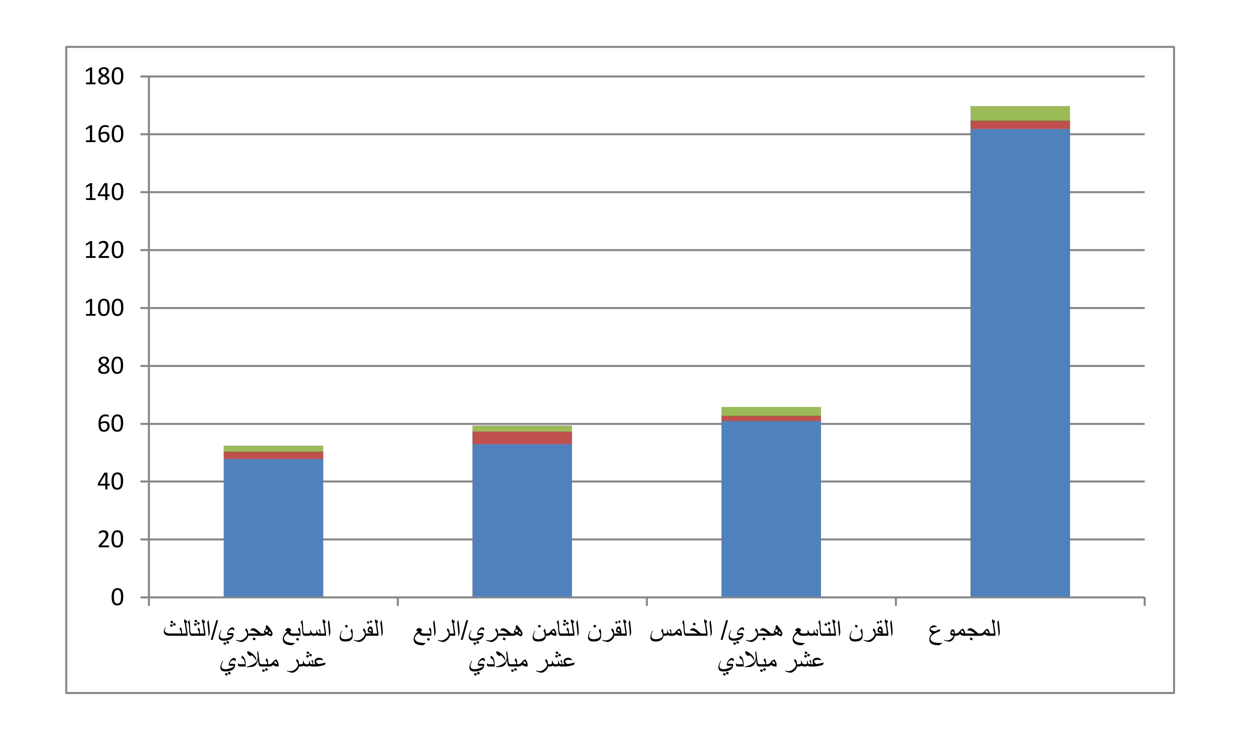
(4) التنبكتي، نيل الابتهاج, المصدر السابق,ج1,ص251

ثالثا: الــدراســة الــتحــليليــة

أ– توزيــع علمــاء المغــرب الأوســط الــراحلين إلي المشــرق الاســلإمي خــلال القــرون 7-8-9هجري /13-14-15ميلادي

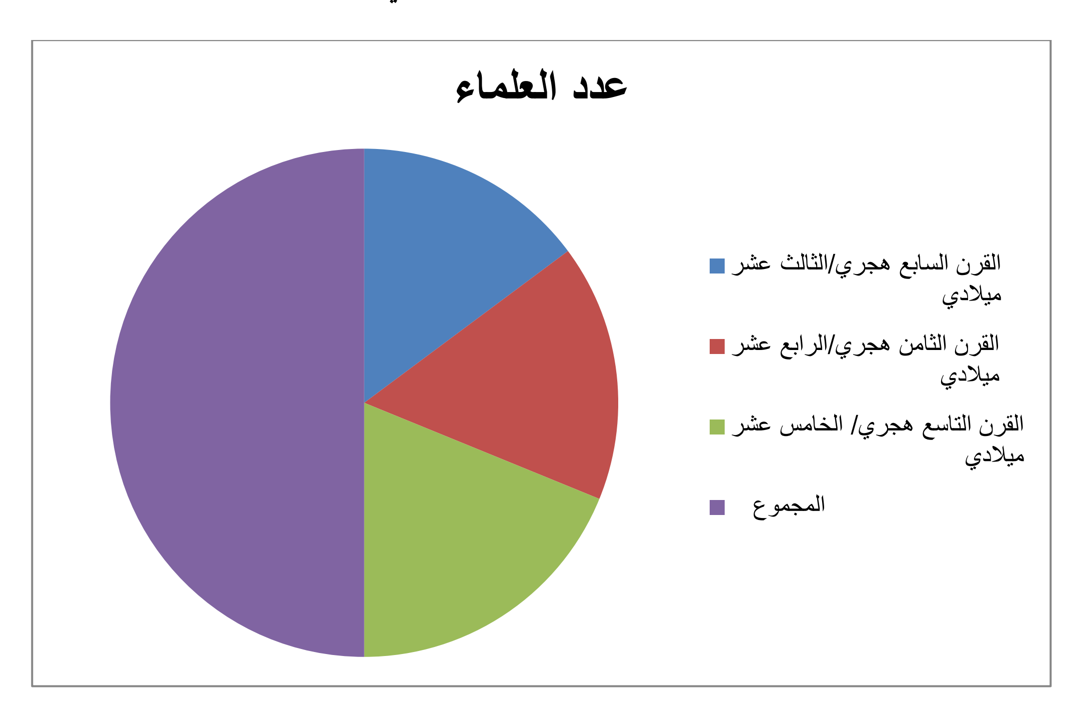
القرون	عدد العلماء
القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي	48
القرن الثامن هجري/الرابع عشر ميلادي	53
القرن التاسع هجري/الخامس عشر	61
المجموع	162

أعمدة بيانية تمثل توزيع علماء المغرب الأوسط الراحين إلى المشرق الإسلامي





دائرة نسبية تمثل عدد علماء المغرب الأوسط في المشرق الاسلامي خلال فترة الدراسة



التحليل

من المعطيات المحصل عليها من الجدول الذي يظهر أعداد علماء المغرب الأوسط الوافدين إلى البلدان المشرقية خلال فترة الدراسة نلاحظ أن أعدادهم كانت متقاربة خلال القرنين السابع و الثامن هجريين أي الثالث عشر و الرابع عشر ميلاديين بقارق سبعة علماء و هذا راجع لعدة عوامل منها:

- حاجة المغرب الأوسط الثقافية للبلدان المشرقية
- أهمية الرحلة في المسار العلمي للعالم فمكانة الأمم تقاس بما قام به علمائها من رحلات علمية و لقاء المشايخ و العلماء
- الإقبال الشديد و الكبير علي مختلف العلوم الموجودة بالمشرق الاسلامي و التنافس بين العلماء و طلبة العلم و شغف الإطلاع و التأكد مما تحصلوا عليه و

ما إقتنوه من معارف و علم خاصة العلوم الإسلامية التي كانت متداولة بكثرة و طغت على كل أصناف العلوم الأخرى

أما القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي تزايد فيه عدد العلماء و كان تواجدهم في مختلف الحواضر العلمية المشرقية الكبرى نظرا للعوامل التالية :

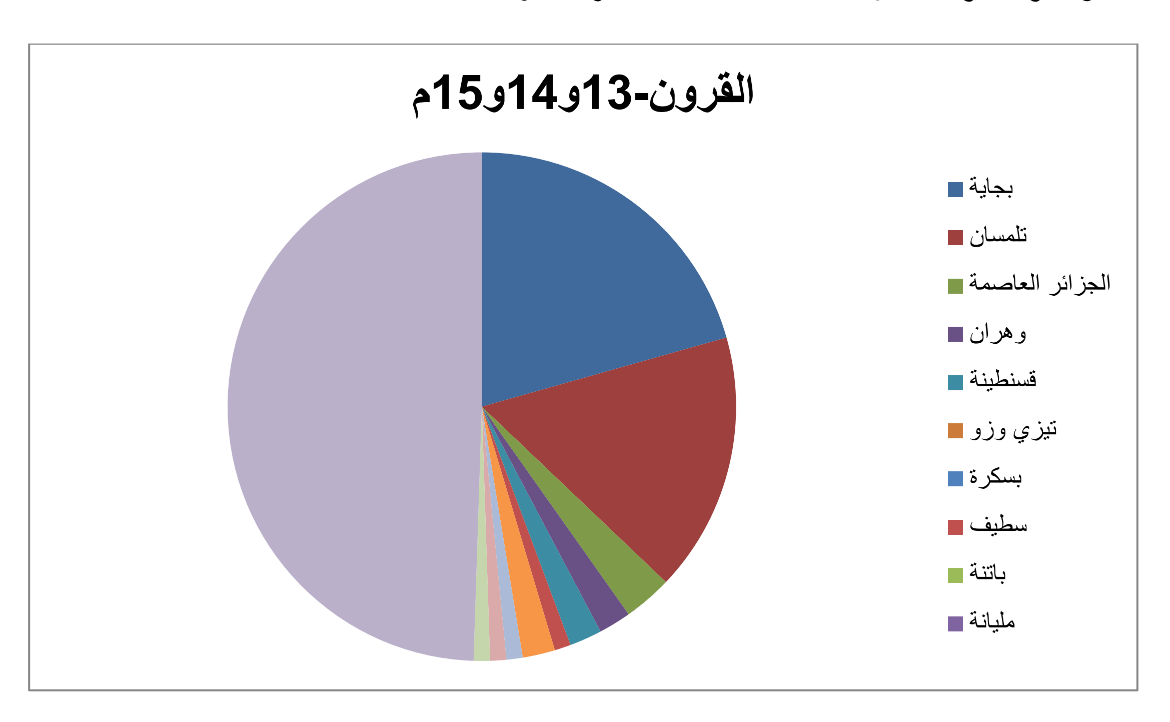
- الإضطرابات السياسية في المغرب الإسلامي عامة , و ما حصل من تفكك داخل البيت الزياني و التهديدات الصليبية الإسبانية و البرتغالية مما سرع في هجرة عدد كبير من علماء المغرب الأوسط إلى البلدان المشرقية
- التحصيل العلمي و المعرفي الذي حظي به علماء المغرب الأوسط في هذه الفترة داخل الحواضر المغربية عامة و حواضر المغرب الأوسط خاصة كفاس و تلمسان و بجايةوغيرها و محاولة هؤلاء العلماء نقل معارفهم و ثقافتهم في مختلف العلوم والتخصصات داخل الحواضر المشرقية

ب- توزيع علماء المغرب الأوسط في البلدان المشرقية حسب المدن و حواضر المغرب الأوسط

المدن	القرن 7هـ-13م	القرن 8هـ-14م	القرن9هـ-15م	المجموع
بجاية	20	21	19	60
تلمسان	16	21	13	50
الجزائر	03	/	06	09
وهران	02	/	01	03

قسنطينة	02	01	13	16
تيزي وزو	/	03	/	03
بسكرة	/	/	04	04
سطيف	01	01	02	04
باتنة	/	/	02	02
مليانة	/	02	/	02
ميلة	/	/	01	01
عنابة	02	02	/	04
شلف	01	01	/	02
البليدة	01	/	/	01
تبسة	01	/	/	01
المجموع	48	53	61	162

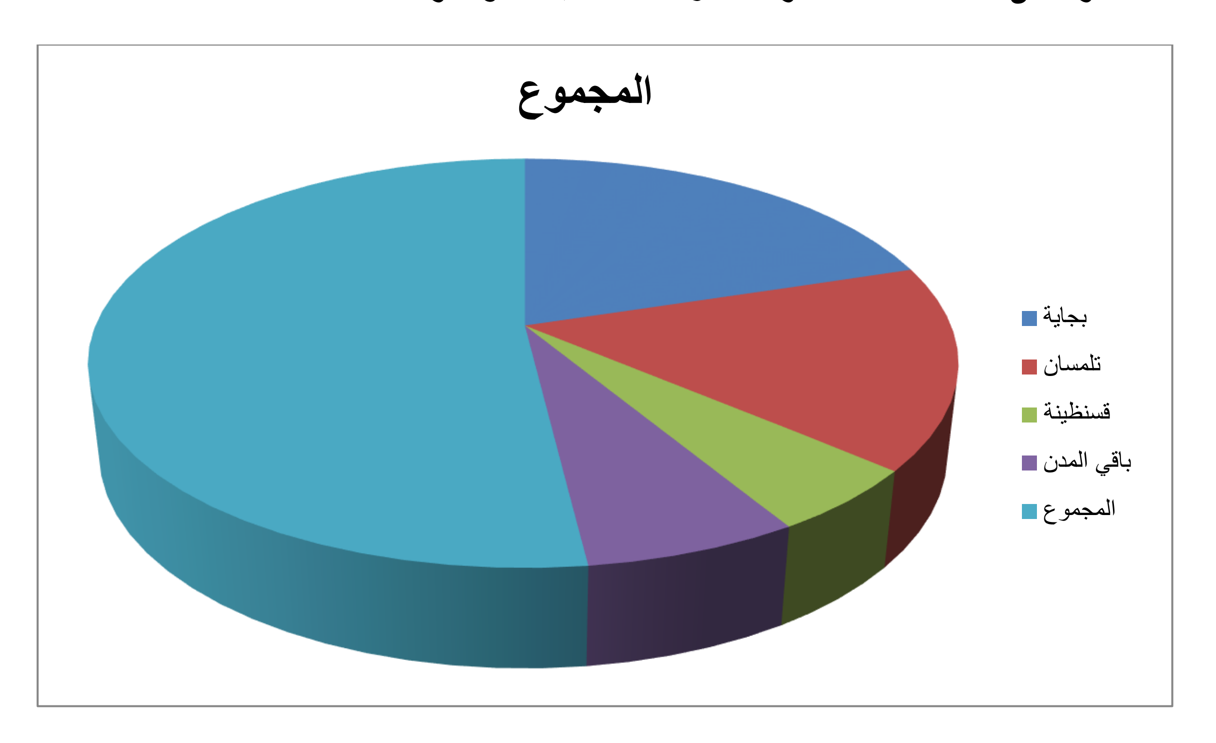
ب-1-دائرة نسبية تمثل عدد علماء المغرب الأوسط الراحلين الى المشرق الإسلامي حسب حواضر المغرب الأوسط العلمية خلال فترة الدراسة



ب:2-جدول يمثل توزيع علماء المغرب الأوسط حسب الحواضر العلمية

الحواضر الكبرى	المجموع	النسبة المئوية
بجاية	63	%38.33
تلمسان	50	%30.86
قسنطينة	16	%09.87
باقي المدن	21	%12.96
المجموع	162	%100

ب-3- دائرة تمثل نسبة لعلماء المغرب الأوسط حسب الحواضر العلمية



التحليل

من خلال الجدول نلاحظ أن علماء المغرب الأوسط الراحلين إلى المشرق الإسلامي توزعت حسب الحواضر العلمية للمغرب الأوسط و كانت مساهمة منطقة القبائل و خاصة بجاية بنسبة تقدر ب 38.88% مما يعكس إهتمام علماء بجاية بقدر كبير بمختلف العلوم و خاصة و أن بجاية تعد من الحواضر الكبرى بالمغرب الأوسط باعتبارها حاضرة الحماديين و ما شهدته من تقدم علمي و إنتعاش للحركة الفكرية بفضل إسهامات حكامها في تشيد المساجد الزوايا و مختلف دور الفكر والثقافة و إهتمامهم بالعلماء مما سمح لها بتكوين رصيد ثقافي هائل مكنها من أن تصبح رائدة وبين حواضر الغرب الإسلامي حتي المشرق الاسلامي , رغم الإضطرابات السياسية التي عاشتها بين الحفصين و الزبانيين إلا أنها حافظت على تلك المكانة و ما تصدر علماء بجاية الراحلين الي الحواضر المشرقية لدليل على مكانة هؤلاء العلماء.

وتأتي إسهامات علماء تلمسان بنسبة30.86./. لكونها حاضرة علم وعاصمة الزيانيين لفترة طويلة كان فيها المغرب الأوسط بفضل سلاطينه و حكامه يولون أهمية كبيرة للعلم و خاصة أن أغلبهم كان من أصحاب العلم و فيهم العلماء أنفسهم , مما ساهم في تقريب العلماء لهم و أسهموا في بناء كل ما من شأنه الدفع بالحركة العلمية في تلمسان و المدن الأخرى و خاصة في القرنين الثامن و التاسع هجريين حيث أصبح يعج بطلبة العلم و العلماء .

بالإضافة إلى أن أهل تلمسان كانت لديهم حفاوة الإستقبال لطلاب العلم و العلماء و ذلك بتوفير أماكن الإقامة و الكفل بحاجاتهم تطبيقا لما حث عليه ديننا الحنيف من الإهتمام بطالب العلم .

أما حاضرة الشرق الجزائري قسنطينة فتعتبر معبرا للطلاب و العلماء و الحجاج نحو المشرق الاسلامي و ما تواجد علمائها بمختلف الحواضر العلمية المشرقية الكبرى دليل على أن قسنطينة كانت تزخر ببيوتات علمية عريقة من أمثال بيت الفكون و إبن قنفد و التي لعبت دورا بالغ الأهمية في النهضة العلمية و الفكرية و كانت عامل أساسي في عملية التواصل بين أهل قسنطينة و المغرب الأوسط و مختلف الحواضر المشرقية.

وقد تصدر علماء قسنطينة للعديد من المناصب سواء القضاء و الإفتاء و و الكتابة و تصدروا للتدريس و الخطابة في المساجد و المدارس المشرقية ومنهم من طاب لهم الإستقرار في الديار المشرقية خاصة المصرية و الحجازية.

كما نلاحظ بأن المغرب الأوسط كان يزخر بالعديد من العلماء من مختلف المدن و الحواضر العلمية بالمغرب الأوسط و الذين كانت لهم إسهامات جليلة في النهضة الفكرية في المشرق الاسلامي

ج- توزيع علماء المغرب الأوسط حسب الحواضر العلمية المشرقية خلال فترة الدراسة

البلدان	علماءالقرن7هـ/13م	علماء القرن8هـ-14م	علماءالقرن9هـ/15م	المجموع
الحجاز عامة	09	10	26	45
مكة المكرمة	13	14	28	55
المدينةالمنورة	02	03	10	15
مصر عامة	22	25	17	64
القاهرة	06	11	16	33
الاسكندرية	02	01	04	07
الشام عامة	14	11	06	31
دمشق	14	15	04	33
حماة	/	/	01	01
حلب	/	01	01	02
القدس	04	06	07	17
غزة	/	/	03	03

الخليل	/	01	/	01
العراق	/	/	/	/
بغداد	/	02	/	02
المجموع	86	100	123	309

نسبة عدد علماء المغرب الأوسط في الحواضر العلمية المشرقية

الحواضر العلمية	العدد	النسبة المئوية%
الحجاز	**115**	**37.33**
مصر	**104**	**33.56**
الشام	**88**	**28.47**
العراق	**02**	**0.64**
المجموع	**309**	**%100**

دائرة نسبية تمثل عدد علماء المغرب الأوسط حسب الحواضر المشرقية



التحليل

من خلال المعطيات المقدمة في الجدولين أعلاه و المتعلقة بنسب و عدد علماء المغرب الأوسط الراحلين الي الحواضر العلمية الكبرى خلال مرحلة الدراسة نلاحظ أن هؤلاء العلماء قد زاروا مختلف المدن و الحواضر العلمية المشرقية الاسلامية عامة .

إن النسبة الكبيرة و المقدرة ب 37.33% إتجهوا إلى الحجازأي أن كل من كانت له رحلة إلى المشرق الإسلامي إلا و زار البقاع المقدسةبلكثيرا من كانت وجهتهم الرئيسية و الوحيدة لأداء فريضة الحج أولا التي هي واجبة على كل مسلم و مسلمة.

كما أن الحجاز لوحده كان يكفيهم عناء السفر إلى المناطق الأخرى بسبب ظاهرة المجاورة, حيث أن نسبة المجاورين للحرمين الشرفين من علماء المغرب الأوسط الذين إستقروا و أكملوا باقي حياتهم في الحرم المكي و المدني قدرت نسبتهم ب 15.65% من مجموع الراحلين إلى الحجاز عامة تليها من حيث الصدارة مصر ب 33.56% لكونها كانت تقع في الطريق المؤدي إلى الحج , و كل قوافل الحج تمر عبر مصر .

كما إهتم علماء المغرب الأوسط في إنعاش الحياة الثقافية و الفكرية في مصر من خلال مجالس العلم و حلقات الدروس و المناظرات العلمية بين علمائها و فقهائها سواء أثناء ذهابهم و بعد عودتهم من الحجاز بفضلهم حافظت مصر خاصة القاهرة و الإسكندرية على دورها الريادي في العالم الاسلامي.

وتأتي الشام كوجهةآخري لعلماء المغرب الأوسط ب 28.47% وهذا راجع لكون الشام إستقطبت عدد كبير من العلماء بفضل حواضرها الكبرى كدمشق و التي واكبت النهضة الثقافية و خاصة أن فترة الدراسة عرفت و جود المماليك الذين إهتموا بالعلم و العلماء في كافة البقاع الإسلامية .

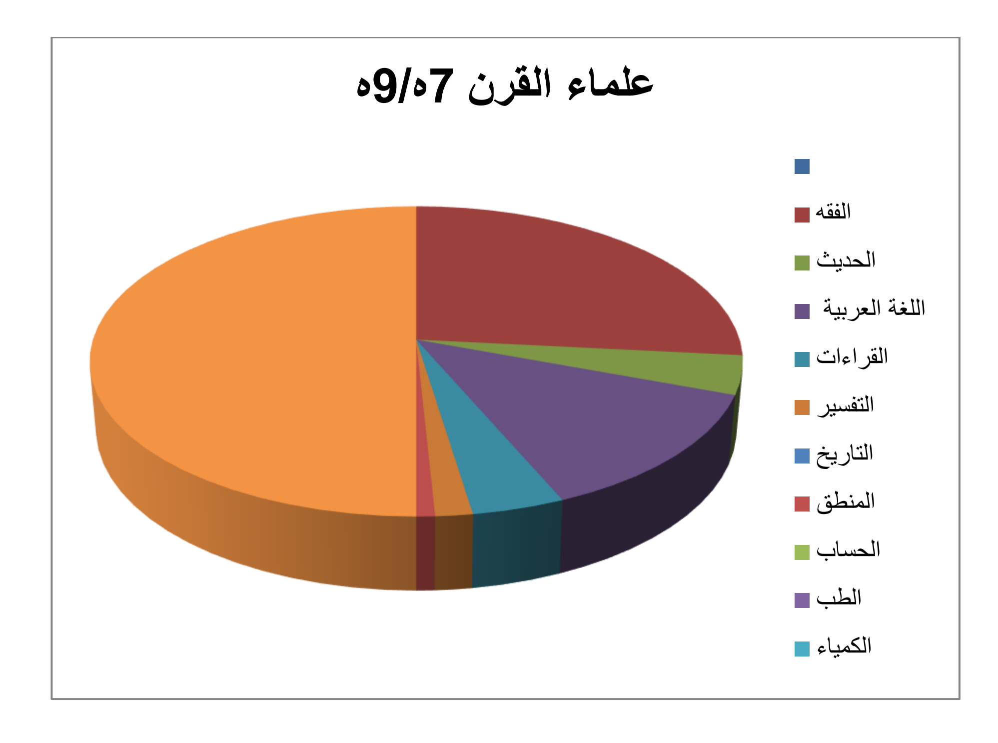
وتأتي حاضرة القدس الشريف من المناطق المحببة لطلبة العلم و علماء المغرب الأوسط باعتبارها ثالث الحرمين الشرفين و كذا للأهمية الدينية في نفوس المسلمين عامة و نفوس أهل المغرب الأوسط خاصة.

د- توزيع علماء المغرب الأوسط الراحلين إلى البلدان المشرقية حسب التخصص

العلوم	القرن 7هـ-13م	القرن8هـ-14م	علماءالقرن9-15م	المجموع
الفقه	33	41	43	119
الحديث	05	13	17	35
اللغة العربية	16	14	20	50
القراءات	05	04	03	12
التفسير	02	02	05	09

التاريخ	/	02	01	03
المنطق	01	01	06	08
الحساب	/	01	01	02
الطب	/	01	01	02
الكمياء	/	01	/	01
المجموع	62	80	97	189

دائرة نسبية تمثل علماء المغرب الأوسط حسب الإختصاص



التحليل:

من خلال الجدول نلاحظ أن علماء الدراسات الدينية جاءوا في مقدمة أهل المغرب الأوسط الذين كانت لهم رحلة إلى البلدان المشرقية بنسبة تقدر 74.07% و ذلك راجع إلى طبيعة أهل المغرب الأوسط الذين عرفوا بإقبالهم الكبير علي دراسة العلوم الدينية.

وجاء الفقهاء في المرتبة الأولي في هذا الإختصاص بنسبة تقدر ب62.96% وهذا يدل على أن جل علماء المغرب الأوسط كان لهم شغف التفقه في أمور دينهم و معرفة كل التفاصيل المتعلقة بالدين الحنيف , ثم جاءت الدراسات اللغوية في المرتبة الثانية بنسبة 26.45% من حيث إهتمام علماء المغرب الأوسط بمجالات تخصص اللغة العربية خاصة النحو و الصرف و الشعر و كان خير دليل وجود علماء أثبتوا قدراتهم العالية في هذا التخصص و على رأسهم إبن معطي الزواوي وهو قامة من قامات العلم في النحو في المشرق و المغرب الاسلاميين و من الشعراء إبن عفيف التلمساني و غيرهم ممن تصدروا هذا الإختصاص في المشرق الإسلامي .

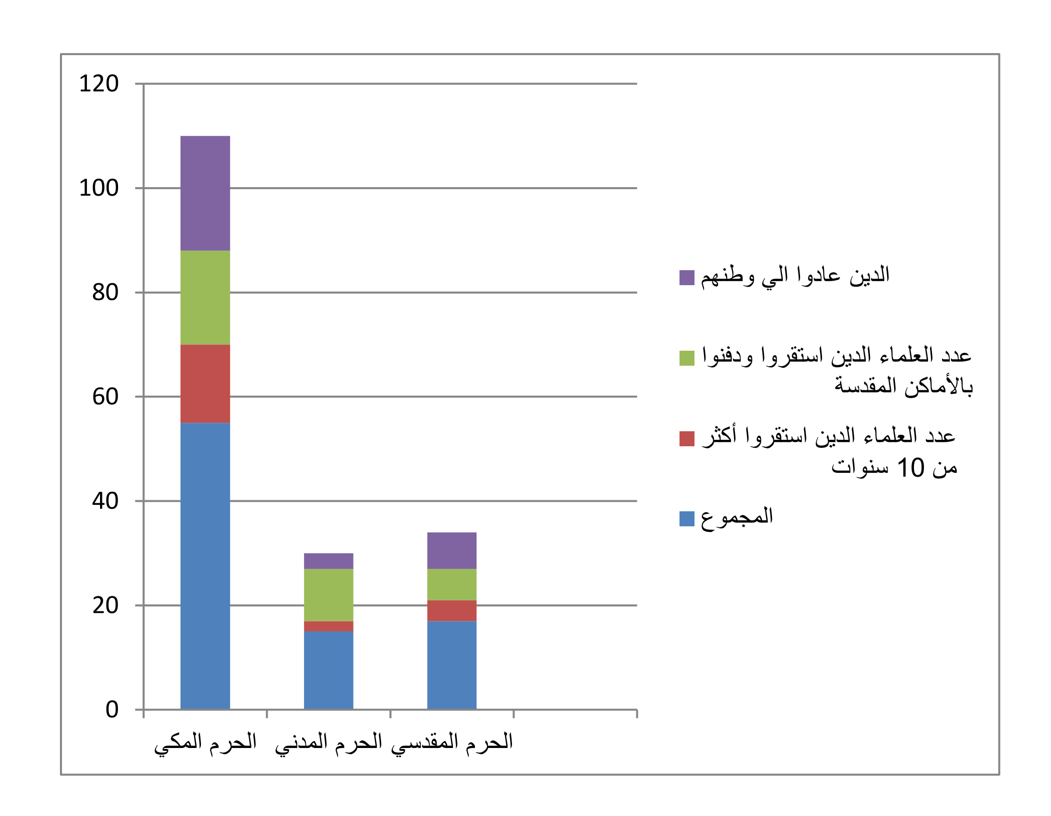
أما المحدثون فقد جاءوا بنسبة تقدر ب18.51% و هي نسبة معتبرة لأهل المغرب الأوسط مقارنة بالمحدثين الكبار المشارقة خاصة الموجدين بمكة المكرمة و المدينة المنورة و باقي الحواضر المشرقية الكبرى هذا دليل على أهل المغرب الأوسط كان لهم روح سماع و حفظ الأحاديث النبوية و تلقينها لطلبة العلم ببلداهم حينما يرجعون ، يأتي علم التفسير و القراءات بنسبة 11.12% و هو مجال و تخصص قلما برز فيه علماء من الأمصار الأخرى و كان معظم القراء و المفسرين من المشارقة و رغم هذا فإن أهل المغرب الأوسط تمكنوا من فرض أنفسهم في هذان المجالان و أثبتوا أنهم أهلا لذالك و كان منهم القراء مثل بن عمر بن سيد الناس الزواوي المالكي الذي برع في علوم القران و التفسير , و عيسي بن مسعود بن منصور بن يحيي شرف الدين الزواوي و إبن يومن الزواوي و غيرهم ، أما العلوم

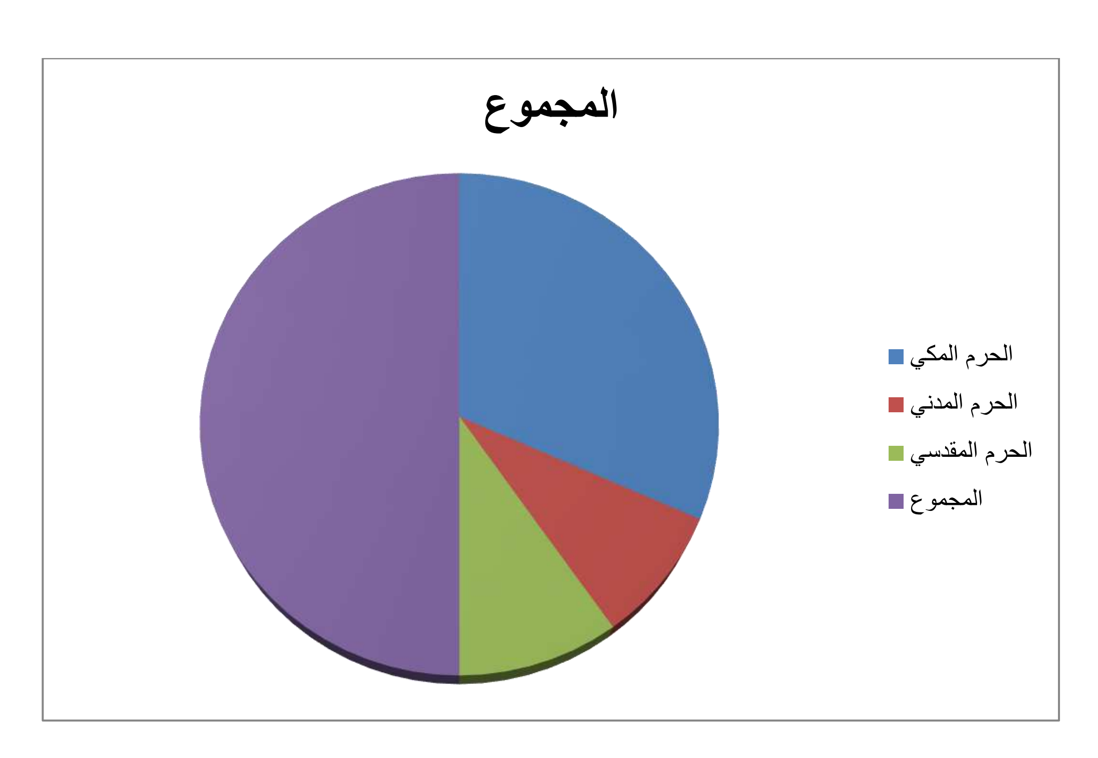
العقلية فتبدوا قليلة عدا الطب و الحساب و المنطق لأن علماء المغرب الأوسط الراحلين إلى المشرق الإسلامي برعوا أكثر في العلوم النقلية و بخاصة الدراسات الدينية

جدول يمثل علماء المغرب الأوسط المجاورين للحرم الثلاثة

الحرم الثلاثة	المجموع	علماء جاوروا مافوق من 10 سنوات	العلماء المستقرون بالأماكن المقدسة	العائدون عادوا إلى وطنهم
الحرم المكي	55	15	18	22
الحرم المدني	15	02	10	03
الحرم المقدسي	17	04	06	07
المجموع	87	21	34	32

أ –عمدة بيانية لعلماء المغرب الأوسط المجاورين للأماكن المقدسة





الفصل الثالث

إسهامات علماء المغرب الأوسط ببلاد المشرق الإسلامي في الحياة العامة خلال القرون

7-8-9هـ/13-14-15م

أولا: إسهاماتهم في الميدان السياسي والاداري

لم تذكر المصادر التاريخية تقلد العلماء المغاربة والأندلسيين زمام الحكم والسلطة في المستوى الإسلامي، إلا أن هناك مجموعة من المغاربة من تدخلوا في شؤون الحكم والسياسة رغم قلة عددهم[1]، وكان لهم رأيهم الخاص في مجال الحكم والسياسة وخاصة في فترة حكم المماليك، وكان لواحد منهم طموح في تولي السلطة، وأعتبر تدخلهم في شؤون السياسة، التي كانت تنتهجها طبقة الحكم أنذاك من أشد الامور مساساً بمركز السلطان، لأنه لم سبق لأحد أو جماعة أن تدخلت في شؤون السلطنة مع أهل البلد الأصلين فالمشاكل من هذا القبيل تصدر في المماليك أنفسهم.[2]

ويذكر الأستاذ الحاج عيفة ثلاث حوادث مباشرة لنظام الحكم أولها وقعت زمن الأيوبيين قام بها اليسع بن علي بن حزم الجياني (ت595هـ-1198م)، حيث تجرأ وخطب باسم العباسيين في أواخر الفاطميين في مصر نجح في ذلك ونال مكانة مرموقة عند صلاح الدين الأيوبي .

والحادثة الثانية قام بها مغربي لم يذكر إسمه على تحريض العامة ضد السلطان قطلوبغا الفخري ولكنها لم تنجح وكان مصيره الفشل[3]، أما الثالثة والتي تعتبر هي الأخطر خلالها تدخل بعض المغاربة في أمور السياسة حيث بادر أحد المغاربة بالتخطيط مع بعض أمراء العرب للإطاحة بالسلطان المملوكي والتخلص من حكم المماليك نهائيا وكان صاحبها هو جمال الدين محمد العنابي (ت796-1394هـ)، وكانت نهايتها قتل العنابي، هذه

---

[1] الحاج عيفة ، إسهامات المغاربة والأندلسيين في مصر و بلاد الشام من بداية القرن السادس إلى نهاية القرن التاسع الهجري، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف: أ.د عبد الحميد حاجيات، قسم التاريخ ،جامعة الجزائر، 2009-2010م، ص246

[2] المرجع نفسه، ص246

[3] نفسه،ص246-247

الحوادث تدل على مدى الوعي في الأوساط الشعبية وكذا عدم رضاهم بحكم المماليك[1]، وتذكر المصادر التاريخية أسماء لبعض العلماء المغاربة والأندلسيين الذين لعبوا دوراً هاماً في المجال السياسي من خلال تقلد الوساطة وهذا ما سنلمسه في عالم جليل **من المغرب الأوسط**:

إسهامات إبن مرزوق الخطيب[2]

هو محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن مرزوق، لقب بشمس الدين و الجد و الحطيب، ولد و نشأ في تلمسان سنة 710هـ-1310م، وحفظ القران الكريم و تعلم اللغة العربية و مبادئ العلوم الدينية، إرتحل إلى بجاية وطلب العلم بها ثم إلى تونس ثم طرابلس و الاسكندرية و القاهرة ثم إلى الحجاز[3]، و يعد من العلماء البارزين في القرن الثامن هجري (8هـ-14م) طارت شهرته شرقاً وغرباً.

لذا لم يغفل المؤرخون والمترجمون عن ذكر سيرته وأخباره في مؤلفاتهم، ومنهم صاحب كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة[4] وكذاك المقدمةلإبن خلدون[5]،و بحكم أن إبن الخطيب وإبن خلدون عاصر إبن مرزوق.

كما أفرد له المقري ترجمة وافية في كتابة نفح الطيب[6]، فابن مرزوق يعد أنموذجا للتفاعل بين المغرب والمشرق في الميادين الثقافية والسياسية،فقد كان له أثر بين المشارقة خاصة مصر

(1))الحاج عيفة، المرجع السابق، ص247

(2)أنظر الملحق رقم 10، ص335

(3) المقري، المصدر السابق ، ج5، ص 392

(4)إبن الخطيب، المصدر السابق ، ج3، ص103

(5)إبن خلدون، التعريف، المصدر السابق، ج7، ص396

(6) المقري، المصدر السابق، ج5، ص393

وهذا راجع لمكانته لدى العلماء بعد إحتكاكه بهم والسلاطين والأمراء المملوكين حين وفوده عليهم وذاع صيته بمصر وهو إبن التاسعة عشرة سنة ، فعرضت عليه وظيفية معيد الدروس بجامع الحاكم بأمر الله وجامع إبن طولون غير أن هذا العرض قوبل برفض والده الذي كان يصحبه في أكثر رحلاته التي قادته إلى المشرق[1]

وتحصى المصادر التاريخية لإبن مرزوق عدداً من الرحلات، بداية بالرحلة الأولى سنة (717هـ-1317م) وهو إبن ست أو سبع سنوات، والثانية سنة (724هـ-1324م)ودامت خمس سنوات، زار مكة والمدينة والقدس والخليل، والثالثة سنة (734هـ-1334م) قادته إلى القاهرة والإسكندرية لمدة سنتين، تلقى خلال كل تلك الرحلات، ذات الطابع الديني والعلمي، مختلف العلوم الدينية على أيدي كبار علماء البلاد التي وطئتها قدماه، ورحلة رابعة ذات طابع سياسي سنة (737هـ-1337م)، وذلك حين وفد على السلطان المملوكي لأمر يتعلق بالسلطان أبي الحسن[2] ورحلة أخيرة سنة (773هـ-1373م)، كانت لأسباب سياسية إضطرته للإنتقال إلى المشرق بنية الإستقرار وهذا بعد أن قلب له الزمان ظهر المحن، وضاقت عليه أرض المغرب بما رحبت فقد شهد في حياته العديد من النكبات بين سجن ونفي ونهب للأموال بسبب مواقفه السياسية.

أ-الأثر العلمي و الديني:

لا تسهب المصادر التي بين أيدينا في تفصيل حياة ابن مرزوق التعلمية في المشرق، إلا أنها تفصح عن توليه الوظائف العلمية بالمدرس المملوكية، إذ تم تكليفه بالتدريس في بعض

---

[1] عبد العزيز فيلالي، تاريخ تلمسان ، المرجع السابق ،ج2 ، ص33

[2]ابن مرزوق، المصدر السابق، ص241- 242

المدارس والزوايا و الخوانق[1] منها : المدرسة الشيخونية والمدرسة الصرغتمشية والمنصورية[2]، والذي أهله للتدريس في هذه المعاهد كفائته العلمية، وتوفر الشروط التي وضعها واقفها في شيوخها وهي: التصوف والمعرفة بالتفسير والأصول، وألا يكون قاضيا، وهذا الشرط سار على جميع الشيوخ القائمين على عملية المواد العلمية (فقه، حديث، قراءات، إسماع الصحيحين وكتاب الشفا للقاضي عياض)، فعين لتدريس الحديث في المدرسة المنصورية سنة (773هـ-1373م).[3]

كانت هذه المدارس أحدى قنوات العطاء العلمي لإبن مرزوق، فقد درس عليه خلق كثير وإنتفع بعلمه جلة العلماء، فمن تلاميذه بالقاهرة التي إستقر بها يحي بن محمد بن عبد الرحمن الأصبحي[4]، حسين بن علي البوصيري القاهرة المالكي[5] .

وبمكة جمال الدين إبن ظهيرة المكي[6] وغيرهم ويبرز أثر إبن مرزوق في الحياة العلمية بالمشرق عن طريق الإجازات، بإعتبارها طريقة من طرق تحمل الحديث ونقله، وتكون شفوية ومكتوبة، وتأخذ صورا عدة، أعلاها إجازة معين لمعين، ومنها أو الإجازة، وهذا ما يشير إليه عنوان كتابة (عجالة المتسوفز المستجاز في ذكر من سمع من المشايخ دون من أجاز، من أئمة المغرب والشام والحجاز)، وهو من المسندين للحديث النبوي وهذا ما

---

[1]الخوئق: جمع خانقاه وهي كلمة فارسية معربة معناها بيت الأكل ، ثم صارت البيت الذي يقيم فيه الصوفية، وفي العهد المملوكي أضحت تشابه المسجد والمدرسة، يدرس فيها الفقه والحديث والقراءات والتصوف، كما كانت مأوى الموافدين من الغرباء على مصر، محمد علي كرد ، خطط الشام، ج6، ط3، مكتبة النوري، دمشق، 1403هـ-1983م، ص130

[2]السيوطي، حسن المحاضرة ، المصدر السابق، ج2، ص264

[3]إبن حجر العسقلاني، انباء الغمر، المصدر السابق، ص 11

[4]السيوطي، بغية الوعاة، المصدر السابق، ج2، ص 343

[5] السخاوي، الضوء اللامع، المصدر السابق، ج3، ص 150

[6]إبن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ج7، ص157-159

صرح به قائلا:" ...أنه ليس اليوم يوجد من يسند الأحاديث الصحاح سماعا من باب الإسكندرية إلى ....الأندلس غيري" [1].

عمل إبن مرزوق على توريث مروياته لطلبة العلم، بالمغرب والأندلس والمشرق العربي سماعا وإجازة، ولقد أخذت إجازاته صورا متعددة، منها إجازة غير معين، فأجاز لمن أدرك حياته[2]، وإجازة غير معين لمعين كإجازته بالمدنية المنورة لأحمد بن محمد بن الجلال بن الجمال الخجندي ولولديه بعد والديه بعد أن أرسل إليه يسأله الإجازة سنة (779هـ-1379م) فكتب له إبن مرزوق قائلا [3]:

أَجَزْتَ السَائلَ الأَرْضَي المُجَاز اَجَلاَلَ الدْين خَيْرُ مَنْ اسْتَجَازاَ

امَامَ مَعَارف وَكَفي امَامـــــا لعلْم مَذاهبَ النُعْمَان جَــــازَا

وَانْ كُنْتُ أَحَقُ بدَالكَ منْـــــهُ لتَقْصيري حَقَا لاَ مجَــــاَزَا

وَلَكني اْئتَمَرْتُ لَهُ اْمتثـــــاَلاَ وَ مُقْتَفيَا مَنَاهجَ مَنْ أجــَـازاَ

ويظهر أثر إبن مرزوق باديا من خلال مؤلفاته التي لقيت قبولا حسنا عند العلماء المشارقة، وكانت رافدا من الروافد المعرفية في كثير من الميادين (الفقه، السيرة، العربية، التاريخ...)، ففي التاريخ تعد مؤلفات إبن مرزوق مصدرا مهما لكثير من الأحداث التاريخية بالمغرب الإسلامي ، بمؤلفاته (المسند الصحيح) و(المناقب المرزقية) وكتابة (عجالة المستوفر)، الذي يعد من أهم المراجع في تراجم العلماء والمحدثين والفقهاء والصالحين خلال القرنين السابع والثامن الهجري في كل من المغرب والشام والحجاز.

---

[1] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ج1، ص 453

[2] إبن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، المصدر السابق، ج2، ص 20

[3] السخاوي، التحفة اللطيفة ، المصدر السابق، ج1، ص152

وممن إستعان من العلماء بمؤلفات إبن مرزوق هو إبن حجر العسقلاني، وخاصة في كتابة (الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة)، إذ يصرح بإطلاعه على مؤلفات إبن مرزوق، متخذا إياها عمدة في ترجمة الأعلام ،ونقل كثير من الأخبار ولا يغفل تلك التعليقات المهمة، (تعليقات بخط المؤلف نفسه في كتبه أو كتب غيره، أو بخط غيره كتعليقات إبن الخطيب) التي ألفاها على حواشي تلك الكتب، والتي شكلت مادته غنية ذات شأن وقيمة تاريخية [1].

ومن آثار ابن مرزوق يظهر أيضا من خلال إستصحابه لمؤلفاته التي كتبها قبل نزوله إلى مصر، وكذلك نقله لكتب العلماء المغاربة والأندلسيين إلى المشرق في رحلاته وخاصة في رحلته الأخيرة والتي إستفاد منها العلماء وطلبة العلم بالمشرق، فمن مؤلفاته (برج الخفا في شرح الشفا) شرح لكتاب (الشفا للقاضي عياض) كتبه بخط يده، وقد وقع الكتاب بيدا إبن حجر الذي لقي إبن مرزوق الحفيد فأطلع على مؤلف جده، فسر الحفيد لذلك كثيراً ومن ذلك نقله لكتاب (الاحاطة في أخبار غرناطة) لابن الخطيب[2]

ب- الأثر السياسي

لقد إنخرط ابن مرزوق في الحياة العامة والعمل السياسي في سن مبكرة من حياته، فبعد عودته من المشرق إلى تلمسان (737هـ-1337م) صادف وقوعها بيدي السلطان أبي الحسن المريني، فما إن وصل إبن مرزوق حتى إتصل بالسلطان عن طريق عمه الذي كان قائما على مسجد العباد والخطابة فيه، تحقيقا لوصية والده، وإمتثالا لأمر الشيخ المرشدي، فما كان من السلطان إلا أن قربه منه وأدناه لمكانة أسلافه وثقلهم الديني

---

[1] إبن حجر، الدرر الكامنة، المصدر السابق، ج4، ص 409-410

[2] المصدر نفسه، ج3، ص 362

لإرتباطهم الوثيق بخدمة أبي مدين شعيب[1]، هذه الصلة أتاحت له أن يقوم بأدوار سياسية في سن مبكرة وأصبح من رجالات الحكم والإدارة ، تقلد عدة مناصب سياسية ووزارية ودبلوماسية، أيام بني مرين إستطاع أن ينال ثقة السلاطين في معالجة كثير من القضايا الخطيرة الداخلية والخارجية، كتلك القضايا العالقة بين الدولة المرينية والدول الأخرى (الصديقة والعدوة) شارك في التحضير لواقعة طريق بالأندلس.

وأسهم في إطلاق سراح ولد السلطان وفكاكه من أيدي القشتاليين وإبرام معاهدة صلح مع الملك القشتالي وحاول الصلح بين أبي الحسن وأبي سعيد الزياني، ولعل أهم ما قام به من أدوار سياسية أيام بين مرين تحضيره لتولي السلطان أبي سالم مقاليد الحكم فتم ذلك الأمر، فكافأه السلطان بأن جعله وزيراً بين يديه أسلم ليه كثيرا من المهام والمسؤوليات.[2]

هذه المكانة التي بلغها إبن مرزوق لدى الملوك في المشرق والمغرب والأندلس(بفاس وتلمسان وغرناطة وتونس والقاهرة)، راجعة إلى جملة من المواصفات توفرت فيه أهليته ليتبوأ بمهامه السياسية منها: خلابة اللسان، وحسن الخطاب وتخير الكلمات والوصول إلى دسائس النفوس بحكمة وقراءة صفحات الوجوه حسن الدب مع الملوك.

وفي هذا يقول إبن الخطيب:" خلوب اللسان، طيب الحديث، مقدر الألفاظ، عارف بالأبواب، درب على صحبة الملوك والأشراف ...يسحرهم بخلابة لفظة، ويفتلهم في الذروة والغارب بتنزله، ويهتدي إلى أغراضهم الكمينة بحذقه، ويصنع غاشيتهم بتلطفه، ممزوج الدعابة بالوقار، والفكاهة بالنسك، والحشمة بالبسط".[3]

---

[1] إبن حجر العسقلاني ، المصدر السابق ، ج4 ، ص405

[2] إبن الخطيب، المصدر السابق، ج3، ص 99

[3] المصدر نفسه، ج3، ص104

- إسهاماته في الحقل السياسي بالمشرق الإسلامي

يظهر من خلال علاقة المرينين بدولة المماليك فقط تلك العلاقة الموسومة بالود والمحبة من أيام السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني والسلطان المنصور قلاوون، ومن أسباب التواصل السياسي هو المصالح المشتركة بين الدولتين، تمظهرت في إفاد السفراء والتعاون العسكري، وتبادل المعلومات والقيام بالوساطات لعقد الصلح بين الدولة المملوكية ودول أوروبا، وتبادل الهدايا ومهام تتعلق بمناسك الحج، وهذا ما يفسر كثرة السفارات وعظم الهدايا وكثرتها بين الطرفين.[1]

ويبدو أثر إبن مرزوق السياسي بالمشرق في تلك المهمة التي دعاه إليها عثمان بن جرار (قائد ركب الحجاج إلى مكة) وهما بالحجاز لأداء مناسك الحج للقاء الملك الناصر سنة (737هـ-1337م)، ليستأذنه في مقدم والدة السلطان أبي الحسن لتأدية مناسك الحج، وفي الواقع كانت هذه الوفادة من أفكار عثمان بن جرار وبإجتهاد منه[2].

حين علم بعزم والدة السلطان على الحج بعد فتح مدينة تلمسان مباشرة، ولم تكن الوفادة بإذن السلطان وقد سأله إبن مرزوق وهو العارف بالترتيبات الدبلوماسية :" وهل كتب لك مولانا بشيء، أو خاطبهم فيه؟" فأوهمه أن قد وقع الامر، وقد إستتب كتابا بإسم السلطان ودفعه إلى الملك الناصر الذي قابل الوفد بالحفاوة، وكتب رسالة بليغة إلى السلطان أبي الحسن يعلمه فيها بوصول كتابه وإطلاعه على مقدم والدته إلى الحج..[3]

---

[1] عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من اقدم العصور إلى اليوم، ج7، مطابع فضالة، المحمدية، 408هـ-1988م، ص 209

[2]بدليل أن السلطان أبا الحسن لما اطلع على تفاصيل القضية، من تزوير للرسائل والتدليس لم يعاقب عثمان بن جرار و من معه، إبن مرزوق، المصدر السابق، ص 242

[3]المصدر نفسه، ص ص241، 242

ثـانيـا : إســهامـات علماء المغرب الأوسـط في الميدان الإداري

تتنوع الإشارات وتختلف مظاهر التأثير المغاربي في الحياة المشرقية كواقع تاريخي، فبغض النظر عن تواجدهم وتشكلهم في فئة ذات بنية إجتماعية و سياسية و فكرية ، داخل النسيج المجتمع العام يسير شؤونها متوليها أو رئيسها حسب الطوائف النشيطة في المجتمع، و كذا التمازج في دائرة العلاقات مع باقي الطوائف لقد رافق تعدد نشاطات المغاربة بالبلاد المشرقية تزايد أعداد الجالية المغربية خاصة في الفترتين (8-9/14-15م) وهذا راجع للأوضاع السياسية التي شهدها المغرب الإسلامي عامة والأندلس خاصة بعد سقوط غرناطة (897هـ-1492م)[1].

فقد شغل المغاربة والأندلسيين عامة عدة وظائف في مختلف المجالات خاصة التجارة أما فئة العلماء من المغاربة فكانت لهم حظوة لدي الحكام والسلاطين فأسندت لهم وظائف رفيعة[2]، مثل الكتابة والقضاء ولكن الذين شغلوا هذه المناصب الإدارية كانوا قليلي العدد رغم أن المغاربة والأندلسيين أبناء بنية خيرة بهذه الشؤون، فلم يعرف أن أحدا تسلم نائبا في الحكم في أية منطقة في البلاد المشرقية أو أصبح وزيرا أو غير ذلك من المناصب الإدارية الكبيرة التي لها مساس بالحياة السياسية.[3]

وهذا راجع لكون المغاربة والأندلسيون لم يكن ذلك الإهتمام الكبير بالبحث عن هذه المناصب بالإضافة إلى كون هذه المناصب كانت توزع على حاشية الحكام والمقربين على إعتبارهم طبقة مميزة عن عامة الشعب خاصة في فترة حكم المماليك[4]، ورغم هذه

---

[1] الحاج عيفة، المرجع السابق، ص 253
[2] المرجع نفسه، ص 253
[3] علي أحمد، الأندلسيون والمغاربة ، المرجع السابق، ص 298
[4] الحاج عيفة، المرجع السابق، ص 254

فقد شغل المغاربة مناصب هامة في مجال الإدارة ففي مصر لم تخلوا ميادين الكتابة من وجود مغربي على الرغم من أن أعمال الكتابة كانت توكل لأبناء البلد بخبرتهم وإنتقائهم لها والقيام بأعبائها خاصة المدن المصرية الكبرى مثل القاهرة مقر السلطان والمدن الشامية مثل دمشق وحلب [1].

وهناك سبب أخر هو وجود شخصيات إدارية لا تجاري في مجال عملها مثل ما حدث بعضهم أيام حكم صلاح الدين الأيوبي بمصر **فأبو عبد الله محمد بن محرز الوهراني** قدم مصر وكله أمل بالتوصل إلى منصب إداري في ميدان الكتابة والإنشاء على إعتبار أنها كانت محور إختصاصه ، لكنه عدل عن ذلك عندما وجد نفسه لا شيء بالمقارنة مع القاضي الفاضل عماد الدين الأصفهاني الكاتب كاتب صلاح الدين[2].

ومن المغاربة نزلاء مصر محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري من قلعة بني حماد أقام في بلدة بوصير من أرض مصر تسلم كتابة ديوان المنطقة الشرقية حتى وفاته سنة (697هـ/1298م)، فشهد له بالأخلاق الحسنة كالصدق والأمانة والنزاهة والإندفاع في العلم[3]، وفي دمشق إشتغل شمس الدين محمد بن عفيف الدين سلميان التلمساني المعروف بالشاب الظريف كاتبا صغيراً في خزانة بيت المال حتى وفاته سنة (688هـ-1289)[4]

أما أهم الأعمال الإدارية التي برز فيها العلماء المغاربة عامة وعلماء المغرب الأوسط بالخصوص، فهو القضاء مثلت وظيفة القضاء إحدى أهم المناصب الدينية الرفيعة في العالم الإسلامي إذا أن ظهوره كان تلبية لمقتضيات العصر والواقع فظهر منصب القضاء مع

---

(1) المقري، المصدر السابق، ج2، ص 639
(2) أحمد علي، المرجع السابق، ص299
(3) الحاج عيفة، المرجع السابق، ص 254
(4) المرجع نفسه، ص 258

الخلفية عمر بن الخطاب للنظر في مشاغل الرعية وكان للقضاء أثر كبير في المجتمع نظرا لطبيعة عملهم وكثرة إختصاصاتهم وتنوع المهام المناطة بهم[1]، وشيئا فشيئا بدأت مؤسسة القضاء تتبلور فظهرت وظيفة قاضي القضاة وهي أعلى رتبة في ميدان القضاء وذلك في العهد المملوكي ، عمد السلطان المملوكي، الظاهر بيبرس (عام 663هـ-1265م)إلى تعيين أربعة قضاة[2] للمذاهب السنية الأربعة [3]، وقد جاء هذا التعيين على حساب المذهب الشافعي، المذهب الرسمي الوحيد للدولتين الأيوبية والمملوكية.

وهناك أسباب مباشرة وغير مباشرة دعت السلطان الظاهر بيبرس إلى تعين أربعة قضاة للمذاهب الأربعة، فالأسباب غير المباشرة هي أن البقاء على قاضي القضاة الشافعية وحده فيه إجحاف لبقية المذاهب الإسلامية فجاء هذا التغيير[4] ، كذلك إزدياد أبتاع المذاهب الثلاثة وإنتشارهم إلى جانب المذهب الشافعي فأقتضى هذا الإنتشار للمذاهب وجود قضاة كبار للتشريع والفتوى فيما يستجد من أمور وقضايا[5]

ولعل السبب المباشر لتعيين القضاة الأربعة فقد صرح به إبن تغرى بردي عن حديثه في أحداث نفسه 633هـ-1231م فقال: وسبب ذلك كثرة تخوف قاضي القضاة تاج

---

[1] إبن سيد الناس، الانباء المستطابة في مناقب الصحابة والغرابة، تحقيق : علي أحمد ، دار حسان، دمشق، 1992م، ص155

[2]القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص63

[3]المذاهب السنية الأربعة هي المذهب الحنفي، والمذهب المالكي، المذهب الشافعي، والمذهب الحنبلي، المذهب الحنفي ينسب إلى غمامه أبي حنيفة النعمان بن ثابت، وهو فارسي الأصل ويسمى الإمام الأعظم ولد سنة 80هـ وتوفي سنة 150هـ وكان إمام العراقيين ووطد طريقة الاستحسان وإشتهر بقوة الحجة وسرعة الجواب المفحم، والفهم ومن تلاميذه أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي في عهد الخليفة الرشيد العباسي، ومحمد بن الحسن الشيباني وقد لقبا (بالصالحين)، وقد دونوا فقه أبي حنيفة، وقد إنتشر المذهب الحنفي في بلاد فارس واسيا الصغرى والعراق وقليل منهم في الشام ومصر ينظر: الذهبي، سير الأعلام النبلاء، المصدر السابق، ج6، ص 390

[4]عاشور سعيد عبد الفتاح، العصر المماليكي في مصر والشام، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1965م، ص372

[5] حياة ناصر الحجي، صورة من الحضارة العربية الإسلامية في سلطنة المماليك، ط1، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1992م، ص68

الدين عبد الوهاب إبن بنت الأعز في تنفيذ الأحكام التي لا توافق مذهبه، وكثرة الشكاوي منه بسبب ذلك فلما كان يوم الإثنين شكا القاضي المذكور الأمير جمال الدين في المجلس وكان يكره القاضي تاج الدين المذكور،فقا ل أدغدي بحضرة السلطان تاج الدين ترك مذهب الشافعي وحولي معك من كل مذهب قاضيا فمال الظاهر سيرس إلى كلامه[1]، وقرر نصب أربعة قضاة من المذاهب الأربعة[2].

ولقوة المذهب الشافعي آنذاك إختص السلطان الشافعية النظر في الأوقاف وأموال الأيتام دون المذاهب الأخرى[3]، ،ثم ما لبث هذا التقسيم في المذاهب، إلا أن طبق في الشام سوى القدس، فقد إقتصر القضاة فيها على الشافعي، حتى عهد السلطان برقوق، الذي أضاف إليه المذهب الحنفي عام 784هـ -1382م[4].

وأضيف بعد ذلك المذهب المالكي، نتيجة هجرة الكثير من المغاربة و الأندلسيين إلى القدس والمناطق المجاورة لها[5]، على أن المذهب الحنبلي تأخر وجوده في القدس، حتى عام 804هـ -1401م، وكان ذلك التأخير ناتج عن قلة أتباع المذهب الحنبلي، في الدولة المملوكية خاصة في مصر وأجزاء واسعة من بلادالشام سوى دمشق[6]، على أن المدن الشامية الأخرى، عين فيها القضاة على المذاهب الأربعة كما الحال في مصر، وقد إستأثر القاضي الشافعي، بدمشق بتعيين القضاة الشافعية، في باقي المدن الشام حتى في مدينة

---

[1]إبن تغريبردي، النجوم الزاهرة، المصدر السابق، ج7، ص109

[2] القلقشذي، صح الاعشى، المصدر السابق، ج4، ص 36

[3] المصدر نفسه، ج4، ص36

[4]المقريزي، السلوك، المصدر السابق، ج2 ، ص31

[5]سهيل زكا ر، فلسطين في عهد المماليك في أواسط القرن السابع الهجري إلى مطلع القرن العشر الهجري، مكتبة المهتدين، (د.ت)، ص588

[6]العليمي، المصدر السابق، ج2، ص 119 .

القدس إلى أن صار السلطان يعين قضاة القدس بنفسه[1]، وقد إرتبط وجود المذاهب الفقهية الأربعة في الشام بوجود المدارس التي حرص الأيوبيين والمماليك، على إنشائها لمحاربة ذيول التشيع، وإحياء المذاهب السنية الأربعة[2]، فكانت أغلبها تدرس المذاهب الأربعة ومنها من تخصص في تدريس مذهب معين أو مذهبان أو أكثر[3].

ومما يجدر ذكره أن وجود المذاهب السنية في الشام، إرتبط غالبا بسياسة الدولة المملوكية حيال الشام، من باب تنظيمها دينيا وإداريا لتأكيد السلطة المملوكية فيها، خاصة أن الأيوبيين قبلهم، عززوا وجود المذهب الشافعي، في الشام دون المذاهب الأخرى.

وهذا ما لم يفعله المماليك حيت شجعوا وجود المذاهب الأربعة في الشام، من خلال المدارس والقضاة الاربعة[4]، وإشترط السلاطين فيمن يدرس المذاهب الفقه والعلم، إمعانا في نشر المذاهب الأربعة وتقويتها وألزموا القضاة بالعمل ضمن هذا الاطار.[5]

ويذكر الباحث سهيل زكار أن أكثر المذاهب إنتشارا في الشام المذهب الشافعي، يليه المذهل الحنفي وكان الحنابلة والمالكية أقلية[6]، وقد بلغ المذهب الشافعي نفوذ كبير حتى وصل الأمر بأن يجمع القاضي الشافعي بين قضاء القدسوالرملة ونابلس في الشام، كما أتاحت لهم هذه المناصب جمع أموالا طائلة، مما دفع بالكثير من أتباع المذاهب الأخرى،

---

(1)إبن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، المصدر السابق ، ج1، ص 38ينظر: عاشور، العصر المماليكي، المرجع السابق، ص207

(2) عاشور عبد الفتاح، المرجع السابق ، ص 349

(3)العليمي، المصدر السابق، ,ج1، ص34

(4)القدسي، دول الاسلام، تحقيق : صبحي لبيب و أولريش هارمان، سلسلة النشرات الاسلامية، بيروت، 1997م ، ص35

(5)المقريزي، السلوك، المصدر السابق، ج2، ص31

(6)سهيل كاز، المرجع السابق، ص536

لتحول للمذهب الشافعي بسبب حظوته عند السلطة المملوكية[1] وكان تعين القضاة الأربعة غير مرضى عنه من قبل العامة فقال بعضهم .

أَهْلُ دمَشْق اْسَتَرَابُــــوا   منْ كَثْرَة الحُكَــام

إذاْ هُمْ جَميعًا شُمُــوسٌ   وَحَالُهُمْ في الظَلَام[2]

والجدير بالذكر أن القضاة الأربعة الذين ولاهم الظاهر بيبرس كان لقبهم الأول شمس الدين مما أثر سخرية أهل الشام[3]، ومع تزايد عدد المغاربة إزداد أتباع المذهب المالكي نتيجة الحج إلى الديار المقدسة في مكة والمدينة والقدس الشريف، ونتيجة لحروب الإسترداد المسيحي لذلك أستحداث منصب قاضي قضاة المالكية بالنسبة للمغاربة[4]، فقد شغلوا هذا المنصب طول فترة الحكم المملوكي، وكانت معظم الجرائم الكبرى تحال إليهم كجريمة شتم الدين الإسلامي أو الإرتداد عن الاسلام، والتقليل من شأن الرسول (صلي الله عليه و سلم) وبقية الأنبياء وغيرهم من الأمور.

فقد أسهم العلماء المغاربة بتشكلهم مجموعة هامة في التشكيل الإداري المشرقي وشغلوا منصب القضاء المالكي طول فترة الحكم المملوكي، أي فترة بحثنا هذا وعلماء

---

[1] القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص 216

[2] المقريزي، السلوك، المصدر السابق، ج2، ص 32

[3] كان يلقب كل من القضاة الاربعة شمس الدين وعرف منهم قاضي الشافعية : شمس الدين أحمد بن خلكان

قاضي الحنفية: شمس الدين عبد الله محمد بن عطا الحنفي

قاضي المالكية : شمس الدين أبي محمد عبد السلام بن علي الزواوي

قاضي الحنابلة: شمس الدين عبد الرحمن بن الشيخ أبو عمر بن قدامة الحنبلي ، ينظر: المقريزي، السلوك، المصدر السابق، ج2، ص31

[4] إبن تغري بردي، النجوم الزاهرة، المصدر السابق، ج7، ص 134

المغرب الأوسط جزء من العلماء المغاربة وكانت لهم إسهامات جليلة في ميدان القضاء بالبلاد المشرقية نذكر منهم :

القاضي المالكي **أبو محمد عبد السلام بن علي بن عمر بن سيد الناس** شيخ المقرئين الملقب بزين الدين الزواوي (589هـ-681هـ/1193-1283م) ولد بمدينة بجاية[1]، قدم مدينة الإسكندرية فدرس بها القراءات ثم إنتقل إلى دمشق وأكمل علم القراءات ، وبرع في الفقه وعلوم القرآن والزهد والاخلاق.[2]، كذلك أصبح رئيس منتجة الإقراء بقرية أم الصالح[3] لمدة (22) إثنين وعشرين سنة، قرأ عليه كثير من طلبة العلم [4]، أصبح أول مغربي يتولى منصب قاضي قضاة المالكية بدمشق ويقت في منصبه لمدة تسعة أعوام إلى أن عزل نفسه يوم أن مات رفيقه القاضي شمس الدين بن عطاء وبقى بلا ولاية لمدة ثمانية أعوام قضاها في التدريس والإقراء إلى أن توفي[5]، هذه السيرة الحسنة لذلك القاضي هي التي جعلت المصادر تشيد به ولا تسجل عليه أية كلمه خلال التسعة أعوام في منصبه.

جمال الدين أبو يعقوب يوسف بن عبد الله بن عمر الزواوي ت 683هـ-1285م وهو إبن عم القاضي زين الدين الزواوي توفي قاضي قضاة المالكية بدمشق كان في بداية أموره نائبا عنه فاستقل بعده بالحكم وصف بأنه"كان عالما فاضلا قليل التكلف[6]، توفي وهو

---

[1]الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج5 ، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1984م، ص336

[2]إبن العماد، المصدر السابق، ج7، ص 653

[3]قرية أم الصالح: هي واحدة من كبريات دور الحديث الشريف بدمشق واقفها الصالح إسماعيل بن المالك العادل سيف الدين أبي بكر وهي قرية والدته التي دفنت فيها فسبت إليها ، ابن كثير، المصدر السابق، ج17، ص 348

[4] إبن طولون، المصدر السابق، ص 268

[5] بدر الدين بن محمود العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج2، تحقيق : محمد محمد أمين، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1988م، ص334

[6] المصدر انفسه، ج2، ص335

في طريق الحج فبقى القضاء شاغرا لمدة ثلاث سنوات[1] ، تم آل الأمر إلى قاضي القضاة **جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان الزواوي** (630هـ-717هـ/1233-1318م)، قدم مصر فأشغل بها وأخذ عن مشايخها ومنهم الشيخ العز بن عبد السلام .

ثم إنتقل بعدها إلى دمشق أصبح قاضي قضاة المالكية سنة 687هـ-1289م وأقام شعار مذهب الإمام مالك وحدت بصحيح الإمام مسلم والموطأ للإمام مالك وكتاب الشفا " للقاضي عياض"[2] .

ومن أبرز أحكامه قيامه بإراقة دم الكثيرين ممن تعرضوا للنبي (صلى الله عليه وسلم) وصحابته بالشتم و التهكم[3]، قلد منصب القضاء في دمشق لمدة 30 سنة وهي مدة طويلة.

وشهدت على الجهد الكبير والعبء الثقيل الذي تحمله مع الإستقامة والنزاهة والعدل في مهامه ، وإلى جانب العمل القضائي ومشاغله كان القاضي جمال الدين الزواوي يضطلع بهمام أخرى ، حيث إشتغل بتدريس المذهب المالكي[4] ، وظهرت في أيامه مالم

---

[1]إبن كثير، المصدر السابق ، ج17، ص 305

[2]إبن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، المصدر السابق، ج4، ص 68

[3] تذكر المصادر أن هذا القاضي حكم من قبل الشمس محمد بن جمال الدين عبد الرحيم بإراقة دمه، حتى وإن تاب وإن أسلم، وحجته في ذلك أنه تم إثبات كفره في محضر عقده بحضور الشهود ، إبن طولون، المصدر السابق، ص 269

[4]إبن كثير، المصدر السابق، ج17، ص 96

يكن المالكية يعرفونه، وأقدم على تجديد عمارة مدرستين في دمشق[1] هما المدرسة الصمصامية [2], والمدرسة النورية[3].

كما تصدر للقضاء **محي الدين البجائي** (ت 842هـ-1446م) في منصب قاضي القضاء المالكية بدمشق، وهو من القضاة المعروفين بجرأتهم في إصدار الأحكام دون التأثر بآراء وضغوطات بعض الأمراء فكان حق قاضيا شجاعاً[4]، وهناك قاضي أخر مثل قضاء وعلماء المغرب الأوسط في المقدس وكان قاضي القضاة بها وهو **شرف الدين بن شمس الدين الزواوي** (ت854هـ-1454م) وهو مثال للقاضي العادل إذا سعي بكل ما أوتي من قوة أن يكون القضاء مستقلا وبعيداً عن إرادة وأهواء المتقديين من بعض الحكام وكانت له هيبة في قلوب الناس وكان لا يخاف في الله لومة لائم، وحادثته الشهيرة مع نائب بيت المقدس (مبارك شاه) أصدق شاهد فعندما أصبح نابئا للمدنية، وألبس خلعة السلطان، قام بالقبض على جماعة من الفلاحين و وصل بهم إلى باب الخليل وقصد شنقهم أو حتى شنق واحد منهم، فتقدم إليه القاضي (شرف الدين) وقابلة بكل شجاعة وحاوره بشأن ذلك ما الذي تريد أن تفعل بحضورنا، فقال له أشنق هؤلاء قال : بأي طريق قال: لصوص قاتلون للنفس، فقال له:هل ثبت عليهم بهذا[5] الطريق الشرعي،قال النائب: نحن لا نحتاج إلى ثبوت، فقال له القاضي تقبل مسلماً عذراً بحضوري بغير حق، هذا لا سبيل

---

[1]النعيمي، الدارس في المدارس ، ج2، تحقيق: إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1440هـ-1990م ، ص 08

[2]المدرسة الصمصامية، بقع بمجلة حجر الذهب وهي إحدى ا لمدارس المالكية الواقعية بدمشق، المصدرنفسه،ج2، ص 08

[3]المدرسة النورية: تقع بخط الخواصيين انشأها الملك الصالح إسماعيل بن العادل نور الدين محمود بن رنكي، وهي إحدى المدارس الحنفية بدمشق ، النعيمي ، المصدر السابق، ج2، ص 263

[4] إبن طولون، المصدر السابق، ص 278

[5] السخاوي، الضوء اللامع، المصدر السابق، ج1، ص307

إليه ولكن تدخل المدينة وننظر في أمرهم فإن ثبت عليهم ما يقتضى فقتلناهم و إلا فلا سبيل إلى قتلهم، فشدد النائب في أمرهم وقال: لابد من قتلهم، فقال له القاضي: والله لو قتلتهم بحضوري لكنت أقتلك بيدي واغلقك إلى جانبهم كما أنت بخلعه السلطان، فلم يقدر النائب على مراجعته لهيبته ودخل المدينة ولم يستطع قتلهم[1]

هذه الحادثة تدل على عدم تورع بعض النواب في إرتكاب بعض الإنتهاكات وعدم معرفتهم بأصول إثبات البينة على المتهمين بل يقتل على الشبهة وبدون دليل، ثم أنها بينت شجاعة وعدالة وجرأة القاضي وإصراره ولكي لا تحصل العملية وهو قاضي المدينة فتحسب عليه، فأصدرأمرا إلى إبطال ذلك، وتكرر تدخل السلاطين في القضاء الذي وصل إلى أسوء حالاته على الرغم من الهالة التي كانت تحيط به بسبب تلك التدخلات الشخصية، ففي سنة (852هـ-1453م) تغير السلطان الظاهر جقمق سيف الدين على شخص أعجمي يدعي أسد الدين الكيماوي بسبب الكذب عليه في بعض الأشياء البسيطة، والتي كلفته بعض المال، فطلب من القاضي المالكي بإصدار حق القتل بحقه ووجه له تهمة أخرى غير الأولى وهي أنه ينكر مسألة البعث والحشر، فتوقف القاضي عن الحكم عليه في مجلسه لما رأه من أن الامر كان تعصبنا من السلطان وبسبب الكذب عليه فقال: القاضي" إن مذهبي قبول توبته"[2]، وإستطاع بعض القضاة المالكية برفض إرادة الحكام من تنفيد مآربهم ومصالحهم الخاصة على القضاء، وهناك قاضي أخر من أهل تلمسان نشأ وتعلم بها تم رحل إلى المشرق هو **محمد بن يحي التلمساني** (ت 894-1392م) تولى منصب قاضي قضاة

---

[1]مجبر الدين الحنبلي العليمي، المصدر السابق، ج2، ص 580

[2]السخاوي، التبر المسبوك في الديل على السلوك، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، (د.ت)، ص 213

حماة ثم طرابلس الشام ، ثم مدينة دمشق ودخل مصر ثم نفي لمدينة الرملة بفلسطين ومات بها[1].

ومن علماء المغرب الأوسط الذين ساهموا في خدمة القضاء بالبلاد المصرية نجد **شرف الدين عيسى بن مسعود الزواوي** (743هـ-1326م):

فقد تولي نيابة القضاء المالكي بمدينة القاهرة عن القاضي زين الدين بن مخلوف ، ثم عن القاضي تقي الدين الاخنائي[2]، كما إشتهر بالتدريس بالأزهر الشريف، فهو من تعداد الفقهاء والمحدثين وإليه إنتهت رئاسة الفتوي في مذهب مالك بالديار المصرية والشامية[3] علماً بأن بدأ عمله في القضاء كنائب بمدينة دمشق، ليشتغل بالتضيق بعد ترك المناصب الإدارية.[4]

ومن قضاة القرن 9هـ-15م **سالم بن ابراهيم بن عيسي المشدالي** (ت873هـ-1474م) فقيه من علماء بجاية [5] ، ثم رحل إلى تونس وإشتغل بها في تدرس الفقه[6] إلى أنه غادرها سنة 834هـ-1435م حاجاً إلى بيت الله الحرام، فزار بلاد الشام ثم تسلم منصب قاضي قضاة المالكية بدمشق[7]، فكانت له الكلمة النافدة مع العفة والنزاهة كما إشتغل إلى جانب القضاء في ميدان تدريس الحديث بالمدرسة الشرابشية وإهتم بالإفتاء

---

(1) إبن طولون، المصدر السابق، ص 251

(2) التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ج1، تحقيق:محمد مطيع، وزارة الشؤون الإسلامية بالمغرب، مطبعة فضالة,المحمدية، 1421هـ-2000م، ص 60 ينظر: إبن حجر العسقلاني ،الدرر الكامنة، ج3، المصدر السابق، ص 210

(3) محمد إبن فرحون، الديباج، المصدر السابق، ج1، ص 283

(4) إبن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ، المصدر السابق، ج2، ص 210

(5) السخاوي، الضوء اللامع، المصدر السابق، ج3، ص 240

(6) النعيمي، المصدر السابق، ج4، ص 20

(7) المصدر نفسه، ج2، ص 21

بالمسجد الأموي[1] ورغم ما تميز به من صرامة وعدالة في أحكامه إلا أنه عزل من منصبه[2] فتوجه إلى قضاء القدس[3]، ثم عاد إلى دمشق لمزاولة نشاطه كقاضي القضاة بأمر من السلطان خلفا لشهاب الدين التلمساني الذي عرف بمحدوديته وقلة معرفة بالمذهب و إستمر في منصب حتى وافته (سنة 873هـ-1474م)[4].

وهناك نموذج أخر من القضاة الدين تمسكوا بالحق وتطبيق العدالة وبرهن على قوة المذهب المالكي و مدى صلاحيته في أحكام الناس رغم كل المعوقات هو **سالم بن إبراهيم بن عيسى الصنهاجي** الملقب بأمين الدين المالكي ولد سنة (777هـ-873م/1366-1462م)، في مدينة مشدالة نشأ ببجاية واشتغل بتونس مدة تم رحل سنة (834هـ-1428م) إلى بلاد الشام[5]، كان عالماً حافظ سمع بالحجاز ومصر ودمشق وغيرها من بلاد المشرق الاسلامي و حدث بالبخاري وقام بالتدريس، والإفتاء وكان يحفظ (الشفا) للقاضي عياض[6]، وأصبح قاضي قضاة المالكية بدمشق سنة (842هـ-1436م) ، ثم ولي قضاء القدس ثم عاد إلى بلاد الشام، وسار في ذلك سيرة حسنة بحرمة وصرامة وكانت كلمته نافذة مع عزته وعفته ونزاهته، وبقى كذلك إلى أن توفي بالمدينة الشوايشبة[7] وصلى عليه بالجامع الاموي[8] .

---

(1) النعيمي،المصدر السابق، ج1، ص 360

(2) إبن طولون، المصدر السابق، ص218

(3) النعيمي، المصدر السابق، ج2، ص 21

(4) المصدر نفسه، ج2، ص21

(5) إبن طولون، المصدر السابق، ص 279

(6) المصدر نفسه، ص 282

(7) النعيمي، المصدر السابق، ج1، ص 286

(8) العليمي، المصدر السابق، ج2، ص 56، ينظر: إبن طولون، المصدر السابق، ص 282

وهناك نموذج أخر للقضاة الشرفاء وهو **أحمد بن سعيد التلمساني** (ت845هـ-1442م) فأصبح قاضي القضاة المالكية بالإسكندرية وقد حقق في مساره الإستقامة وإلحاق الحق [1]، لقد كان أغلب القضاة المغاربة ممن تولوا وظيفة قاضي القضاة المالكي قد أشتهروا بالعدل و النزاهة وأنصفوا بالإستقامة والسلوك الحسن وعرفوا باستقلاليتهم في إصدار أحكامهم، وتميزوا عن قضاة المذاهب الآخرى بشدتهم وصلاحيتهم إتجاه الزنادقة و الرافضين.

فإن بعضاً منهم يستطيع مواجهة الضغوطات المادية، والمؤثرات الإجتماعية و إ ستسلموا لتعاطي الرشوة (البرطلة) شأنهم في ذلك شأن غيرهم من قضاة المذاهب الأخرى[2] وقد عرفت الرشوة بصورة ملحوظة زمن السلطان الصالح عماد الدين اسماعيل بن الناصر محمد قلاوون (743-746هـ/1342-1345م) إذا عرف في عهده أول ديوان للبراطيل (البذل) وصار من له حاجة يأتي صاحب الديوان المذكور ويبذل فيما يرومه من وظائف.[3]

من هؤلاء القضاة المغاربة الجهلة المنحرفين **محمد بن محمد الدمشقي** المالكي الملقب بعلم الدين الفقهي وهو من النماذج الغير صالحة بمنصب القضاء ، وفقد عبر عنه إبن العماد صاحب الشذرات بشكل واضح في قوله:" مع قصور فهم وقلة عقل وعناية بالعلم[4]، فإستطاع أن يصل إلى منصب قاضي القضاة في ثلاث مدن هي حلب ودمشق وحماة[5].

---

(1) أحمد علي، **العاملون في ميدان الإقتصاد والخدمة في المشرق العربي من الأندلسين والمغاربة منذ نهاية القرن الخامس حتى ناهية القرن التاسع الهجري، مجلة التراث العربي**، إتحاد الكتاب العرب دمشق، العدد 41، 1990م، ص 286

(2)محمد بن معمر، المغاربة ومنصب قاضي القضاة المالكي بدمشق المملوكية، مجلة جامعة دمشق للأدب و العلوم الإنسانية ،عدد خاص عن دمشق عاصمة الثقافة العربية، 1427هـ-2008م، ص 158-159

(3)عمار مرضى علاوي، **أثر المغاربة في بلاد الشام خلال العصر المملوكي"القضاء انموذجا"** ، مجلة ديالي ، كلية الادب، قسم التاريخ، جامعة العراق ، العدد56، 2012م ، ص15

(4)إبن عماد، المصدر السابق، ج4، ص120

(5)علي أحمد، المرجع السابق، ص204

ومن نماذج قضاة المغرب الأوسط نجد **عمر بن سعيد بن يحي التلمساني** (ت856هـ-1453م)، قاضي المالكية في حلب وهو مثال القاضي الجاهل بالأمور الشرعية وسعيه الشديد لدي السلطان من أجل الحصول على منصب القضاء فحصل عليه في سنة 852هـ- 1449م ، بعد أن كان يعمل بطاحون إشنان في دمشق ثم إتصل بخدمة (الطنبغا) نائب الشام[1]، وهكذا أصبح قاضي حلب وسط تعجب الآهالي من إقدامه على ذلك لما عرفوه من جهله المفرط، ويبدوا أنه استفاد من منصبه حين خلف أمولا كثيرة[2].

وهناك قاضي آخر **هو شهاب الدين التلمساني أحمد بن سعيد بن عثمان بن محمد بن إبراهيم التلمساني** قاضي قضاة المالكية بدمشق هو مثال للقاضي المرتشي والذي أعطى إنطباعاً سيئا لقضاة ذلك العصر من خلال دفعه وبذله للرشا من أجل توليه القضاء ، وأول مرة سلم فيها القضاء سنة (845هـ-1442م)و صل إلى دمشق وباشر أعماله قاضيا للمالكية ، ولم يلبث أن حول (سنة 846هـ-1446م) وأرسل حافيا إلى مدينة الإسكندرية بما فيه من الحماقة وقلة المعونة[3]، ثم أعيد إلى منصبه كقاضي (سنة 852 هـ -1472م)، وإستمر بمنصبه إلى أن حول سبب خلاف بينه وبين الحاجب الثاني للسلطان، إذا أن القاضي طلب غريما عند الحاجب فأمتنع من إرساله إليه، فقام القاضي بإستدعاء الحاجب و لما حضر إليه أهانه ووبخه فتعصب الأمراء لذلك الإجراء وكتبوا إلى السلطان الظاهر دمقمق بمصر بتفاصيل الأحداث فلم يتنواه[4]، السلطان برد الفعل لصالح الحاجب حيث أصدر مرسوماً يقضي فيه " بأن القضاة لا يطلبون أحداً من عند حكام

---

(1) إبن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، المصدر السابق، ج3، ص167

(2) المصدر نفسه، ج3، ص167,

(3) إبن طولون، المصدر السابق، ص 279

(4) المصدر نفسه، ص 281

السياسة ولا يحكمون بما سبقت إليهم، وكذلك حكام السياسة لا يأخذون أحداً من مجالس الشرع الشريف ولا يحكمون فيه، ونودي ذلك بدمشق [(1)].

هذه الحادثة تؤكد تدخل السلاطين في عمل القضاء فيما إذا تعارضت أحكامه مع مصالح ورغبات الحكام، بل وحتى من أجل الأمراء والحجاب ثم إن القضاء رغم قبول بعضهم الرشا إلا أنهم كانوا حريصين على تطبيق الأحكام ولو على مقربي السلاطين، إلا أن هذا القاضي إمتدت عليه الرشوة فعندما أعيد إلى منصبه (سنة 860هـ-1458م) بذل له مبلغ خمسمائة دينار من أجل العودة إليه[(2)]، وأعيد عزله من منصبه سنة 61هـ ثم قام بلبس تشريف القضاء لكنه أعيد (سنة 869هـ-1467م)، بطريقة الرشوة إذا بذل لذلك خمسمائة دينار أيضاً.[(3)]

ثالثا :إسهاماتهم في الميدان الاقتصادي

أ-الميدان الزراعي

تزخر البلاد المشرقية بمؤهلات إقتصادية يتضح ذلك من خلال المصادر التاريخية وخاصة الجغرافية ، فإبن جبير يتحدث عن بلاد الحجاز بذكره الآبار المتوفرة في مكة وفي بطن مرو، وخليص وبدر، وينتج عن هذه الآبار الإستفادة في المحلات الزراعية كالبساتين المنتشرة في منطقة المستقلة المزروعة بالنخيل والرومان والعنب والحناء[(4)]، ويذكر إبن بطوطة أنها توجد أراضي زراعية في بطن مرو آدم [(5)].

[(1)] ابن طولون، المصدر السابق ، ص279

[(2)] النعيمي ، المصدر السابق، ج2، ص 21

[(3)] المصدر نفسه، ج2، ص 22

[(4)] إبن جبير، المصدر السابق ، ص88-89

[(5)] إبن بطوطة، المصدر السابق، ص 332

وقد ذكر الرحالة المغاربة في يومياتهم عن البلاد المصرية في المجال الزراعي والذي يعتبر مصدر من مصادر الإقتصاد في مصر فيقدم لنا البلوي وصف دقيقا في قوله: فخرجنا من الإسكندرية في يوم الثلاثاء الثامن من يوم رجب، وسرنا في بسيط من الارض عريض مواده لا يخترقه النسيم بمساواة، يكاد البصر يقف عند مداه، بين مدائق عليها نظرة النعيم وبساتين إعتمارها من التعميم، وسرحات مونقة، ودوحات مورقة ونخلات طلع، وخامات زرع تموج بدائعها موج البحر، وتلوج طلائعها بين كتائب الزهر ولم يرى أرض مصر في أوان ربيعها وإبان زرعها ، ولم يري منظرا نظيراً[1].

ومن هنا تتضح لنا أن مصر كانت غنية ببساتين والنخيل ما يؤكد أنها رض زراعية ، وتشير المصادر التاريخية أن مصر من الأقاليم الكبرى المعروفة بالزراعة وذلك لتوفر المياه[2]، وبالأخص مدينة الاسكندرية التي تعد من المدن الكبرى وذلك لتوفرها على معامل الغزل والنسيج.[3]

أما بلاد الشام فقد تحدث عنها الرحالة والجغرافيين المغاربة بانها أقاليم عظيم الخيرات، جسيم البركات ذو بساتين وجنات وروضات ومتنزهات وفواكه رخيصة ولحوم كثيرة.[4] ويذكر ابن بطوطة ان مدينة القدس أكثر بلاد الشام زيتونا وزيتها يحمل إلى مصر،

---

[1]البلوي ، المصدر السابق، ج1، ص 215

[2]مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 45

[3]العفيفي عبد الكريم، موسوعة ألف مدينة اسلامية، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000م، ص 48

[4] إبن الوردي سراج الدين، فريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق: أنور محمود زياني ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ،2008م، ص 97

ودمشق[1]وقد وصف ابن خبير مدينة دمشق بأنها جنة المشرق وذلك لما فيها من بساتين وخيرات زراعية.[2]

من خلال ما ذكره الرحالة المغاربة في وصفهم لخيرات البلاد المشرقية خاصة في فترة بحثنا هذا (7-9هـ/13-15م) كانت إسهامات المغاربة والاندلسيون عامة في الحياة الاقتصادية للبلاد المشرقية واضحة .

فقد اشتغل المغاربة في الزراعة والبستنة، من بين الصور المشكلة في يوميات كبار العلماء المغاربة في البلاد المشرقية، إذا مارس عدد كبير منهم هذا النشاط ولا سيما في الايام العصيبة[3]فالعمل في البستنة يعد من اهم الحرف التي تضمن للغرباء المغاربة بعض ما يوفر لهم حاجتهم فالوافدين من المغاربة خاصة طلبة العلم أو من لا يحسن حرفة أخرى توفر لهم هذه الحرفة قوتهم أو تضمن لهم موردا زائد تحقيق لهم زيادة التحصيل العلمي[4].

وخير مثال المتصوف المغربي **أبي موسى الدكالي** (ت632هـ-1250م) الذي عمل في حراسة الكروم وحفظها بمدينة الاسكندرية[5]، وهناك من إمتلكوا الأراضي وإستزرعوها، أو الذين عملوا عند مالكين مصريين وغيرهم.

---

[1]حسين مؤنس، إبن بطوطة ورحلاته، دار المعارف، القاهرة ، 1980م، ص 49

[2]ضيف شرقي، الرحلات نقلا عن إبن جبير، ط4، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص 86

[3] علي أحمد ، العاملون في ميدان الاقتصاد، المرجع السابق، ص 151

[4]لما هممت بالرحيل من بلدي إلى المشرق في طلب العلم، كنت لا أعرف التجارة ولا لي حرفة أرجع إليها، فجزعت من الخروج، وكنت أقول إذا ذهبت لفقيه فماذا أفعل؟ وكنت أقوي الآمال في نفسي أن أحفظ البساتين بالأجر، أدرس العلم باليل، ثم إستخرت الله فرحلت، هي إشارة لطيفة لأبي بكر الطرطوش، في سراج الملوك، من أوائل المطبوعات العربية، مصر، 1289هـ-1872م ، تاريخ الاضافة 14 نوفمبر2010م، ص 293

[5]التادلي، الشوق إلى رجال التصوف، نشره، آدولق فور، الرباط، 1958م، ص 186

فقد ذكر المقريزي في كتابه الخطط، طبيباً باسم (البرهان ابن المغربي) كان يمتلك بستاناً بمدينة القاهرة إشتراه منه القاضي كريم الدين(ت733هـ-1333م)[1]، ناظر الخاص للأمور سيف الدين طشتمر الساقي(ت743هـ-1343م)[2]، بنحو مائة ألف درهم فضبة، زهاء خمسة آلاف مثقال ذهبا[3]، وقد سيقت للإشارة إلى البرهن المغربي وقد وصفه بقارون، لما يحصل عليه من عائدات وظيفته وهدايا السلاطين و وأصحاب الجاه[4].

وكانت الزراعة على ما يبدو الملجأ الأمين، أو بمعنى آخر الاحتياطي، الذي يغني من يعمل به ويساعده على العيش محفوظ الكرامة إذا ما أحدقت به الصعاب.

فعلى الرغم من علم إبن خلدون (ت808هـ-1406م)، ومكانته الرفيعة بإعتبار منصبه قاضياً للمالكية بالقاهرة، كان يلجأ إلى العمل بالزراعة، عندما يصرف عن وظائفه العلمية والإدارية، يذكر عن نفسه أنه في سنة (801هـ-1398م)، توفي القاضي المالكي أحمد بن محمد التبسي[5]، فبعث إليه ليخلفه في القضاء يقول وكنت مقيماً بالفيوم لضم زرعي هنالك [6].

---

(1) كرم الصغير ناظر الدولة بالديار المصرية، ولي نظر الدولة لما قدم الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك، عندما ولى خاله كريم الدين الكبير ناظر الخاص، وكان كاتباً ضابطاً، ذا سطوة ومهابة على الكتاب، لا يحابي أحداً، ولا يدع أحداً يلتمس شيئاً، تهابه الناس ويعظموه، إبن تغري بردي، المنهل الصافي، المصدر السابق، ج3، ص، 33

(2) الصفدي، المصدرالسابق، ص254.

(3) المقريزي، الخطط، المصدر السابق، ج 3، ص 97

(4) المصدر نفسه، ج 3، ص 98

(5) ناصر الدين التنسي: هو أحمد بن محمد بن عطا الله بن عوض الزبيري الإسكندري، قاضي القضاة بمصر، أختلف في إسم شهرته بالتنسي، والتونسي، والتنيسي، السخاوي، الضوء اللامع، المصدر السابق، ج2 ، ص 192ينظر: السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر السابق، ج2، ص189

(6) ابن خلدون، العبر ، المصدرالسابق، ج7،ص ص609- 610.

ومثل إبن خلدون كمثل القاضي المالكي حسام الدين محمد المعروف بإبن حريز المغربي(ت873هـ-1469م)[1]، الذي توسع في أمور الزراعة والري بمضر، فشملت نشاطاته عدة وجوه وكانت له إهتمامات مختلفة، وقد فتح عينيه بإستغلال عامل الملاحظة، في الكتابة في شأن المنتجين الزراعيين المرموقين في عصره، كانت له فائق العناية بالسقاية والري، الذي هو عمود الزراعة، نقل المياه إلى الأراضي التي أراد سقيها عبر مسافات كبيرة، كما أنه أولى عناية كبري بتربية النحل وإنتاج العسل، وصناعة السكر والقنود[2]، إلى غير ذلك يقول السيوطي: .. وحبب إليه الزراعات ودولبة السواقي وعمل القنود والسكر و الأعسال، واتسع أمره في ذلك حتي صار في أمر كبير من المتحصل في السنة، يكون ذلك آلافاً مؤلفة...[3].

وقد كان محمد بن محمد المالقي أبو عبيد الله المتوفى سنة (878هـ- 1474م)، يمتلك في مدينة للإسكندرية غيطين من الاراضي، يشرف بنفسه على زراعهما، حيث أنه ترك ثروة هائلة انتفع بها.

ب- في المجال الصناعي:

أما ما يتعلق بالمنتج الصناعي ونشاط المغاربة فيها فأكثر المصادر تتحدث عن إزدهار صناعة الأنسجة الحريرية في بلاد الشام و مصر هذه الأخيرة إرتبطت بدار الكسوة[4]،أما

---

[1]ولي قضاء المالكية بعد وفاة القاضي السنباطي في(861هـ/1457م)، وتدريس المالكية بالشيخونية، وكان رئيسا شهما جواد جامعا للفضائل، السيوطي، نظم العقيان في أعيان الأعيان، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ت)، ص142

[2]يستخرج من قصب السكر، يعصر ثم يصنع منه القند، ومن القند السكر ، إن قصب السكر يوجد منه بمصر بكثرة، كما أنه ينتج بجزائر بني مزغنان وبسلا ومراكش، القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص176.

[3] السيوطي، نظم العقيان، المصدر السابق، ص 143 ينظر:إبن مريم ، المصدر السابق، ص206

[4] السخاوي، الضوء اللامع، المصدر السابق، ج9، ص ص 199-200

بلاد الحجاز فالصناعة كانت غالباً ما توجب لها المواد عن طريق التجارة و المبادلات كالجواهر والياقوت وغيرها من الأحجار الكريمة[1]، وقال إبن بطوطة أنها تتوفر على الفضة والذهب في مكة وقد استخدمت في تزين المسجد الحرام.[2]

لقد إهتم المغاربة بتطوير صناعة الأنسجة الحريرية، إذا أدخلوا القماش في صناعة الفساطيط " الخيام" ضمن نطاق المنسوجات فضلا عن المخاد والمراتب والستور التي بحلونها في بعض الاحيان بالديباج وجعلوها ثروة وكنزا مدخراً لقيمتها[3]، بل كان الإهتمام بصناعة الحرير من نوع السقلاطون والذي كان بشكل واسع في البلاد المشرقية غير أن المغاربة طوروه بشكل لافت، وقد إشتهر أحد المغاربة بصناعة هذا النوع من الحرير في مدينة القاهرة هو أحمد الحرار التيجني من أعلام القرن 7هـ-13م وكانت هذه الصناعة مصدر رزقه الرئيسي.[4]

وفي صناعة النسيج العادية إشتغلت إحدى المغربيات، التي لا يذكر إسمها إبن حجر العسقلاني، لأنه كان في صدد الحديث عن أخيها عبد الله المغربي المتوفى سنة (749هـ-1349م) إشتغلت بغزل الثياب، فكان أخوها المذكور لا يلبس إلا من إنتاجها[5] وتوصل بعض المغاربة بمدينة القاهرة إلى أن إنشأ معملاً ، أو ما يشابه ذلك لصناعة الغزل والنسيج، فقد ذكر المقريزي في صدد حديثه عن منطقه الميدان الصالحي:"...أن الميدان الصالحي ظل باقياً إلى سنة (740هـ-1339م)، فأدخله صلاح الدين المغربي في فيسارية الغزل التي أنشأها هناك ومن هذا القول يستنتج أن هذه المنشأة كانت كبيرة وواسعة، ولابد أنها كانت غزيرة الإنتاج[6].

---

[1] العبدري، المصدر السابق، ص 162

[2] إبن بطوطة، المصدر السابق، ص 161

[3] فاتن البندري، الحياة الإقتصادية و المظاهر الإجتماعية للمغاربة في القاهرة في العصر الفاطمي، شركة نوابع الفكر، القاهرة، 2008م ، ص 59

[4] الحاج عيفة، المرجع السابق، ص 399

[5] إبن حجرالعسقلاني، الدرر الكامنة، المصدر السابق، ج2، ص 419

[6] المقريزي، الخطط، المصدر السابق، ج 3، ص 117.

وتتمة لصناعة المنسوجات فقد تمكن أحد المغاربة من إمتلاك مصبغة بالفسطاط، وإتصل بفضلها حتى الهند، و يذكر أن مغربيا من المهدية بإفريقية يعرف بإبراهيم بن بيجو، إستقر بالهند خلال(1132-1149م) ، يمتلك مصنعا للنحاس الأصغر، وتربطه علاقة وطيدة مع وكيل تجار الفسطاط, وموطنه من المغرب حسب جواتيااين[1]،وقد إشتغل الأندلسيون والمغاربة حرفاً أخرى وهامة من أماكن الخدمة العامة، مثل النقل البحري، ويذكر إبن بطوطة أنه شاهده بمدينة جدة(سنة 732هـ-1332م)، وقال أنه كان يمتلك مركباً يعمل فيه لحسابه الخاص، وينقل الركاب والمسافرين من مدينة جدة إلى ناحية القصير التابعة لمدينة قوص المصرية وهكذا [2]، وخدم بالأماكن المقدسة محمد بن محمد المتوفى سنة (868هـ- 1464 م) و إستطاع أن يجمع من وراء عمله هذا بعض المال، على الرغم من أنه كان يتظاهر دائماً بالحاجة والفقر[3].

إ شتغل بحرقة الدهان عبد الله بن إبراهيم المغربي المعروف بالزعبلي، وكانت هذه الحرفة مصدر عيشه، مع بعض الأعمال الأخرى، التي كان يقوم به وهي خدمة الحجاج في أيام موسم الحج، وظل هكذا حتى مات سنة(885هـ-1481م)[4]

وفي مصر كثر هؤلاء ولاسيما في المدن الكبرى مثل القاهرة والإسكندرية وبعض الحواضر، التي كانت محطة للمسافرين من مصر و القادمين إليها، مثل مدينة قوص التي عرفت كثيراً من هؤلاء، مثل محمد بن أحمد الجزيري (ت 639هـ-1242م)، الذي سكن

---

[1] جواتيااين. س.د، التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية، تحقيق:عطية الفوصى وكالة المطبوعات، الكويت، 1980م، ص 260

[2]إبن بطوطة، المصدرالسابق، ص 28.

[3] السخاوي، الضوء اللامع، المصدر السابق، ج7، ص203.

[4] محمد السخاوي،الضوء اللامع، المصدر السابق، ج5، ص12.

هـذه الناحيـة وعمـل فيهـا بحرفـة تجليـد الكتـب وترتيهـا وتصـفيفها، وهـو مـن شخصـيات مدينـة بلنسية للأندلسية المعروفة[1].

وإشـتغل أحـدهم بحرفـة الخياطـة بمدينـة القـاهرة هـو **محمـد بـن يوسـف الـزواوي** المتـوفى سـنة(807هـ-1405م)، الـذي وصـفه السـخاوي، أنـه كـان خبـيراً ومتسـامحاً[2] وبالحرفـة نفسـها إشـتغل محمـد بـن عبـد الله التونسـي أبـو عبـد الله المتـوفى سـنة(888هـ-1483م) بمدينـة الإسـكندرية، علـى الـرغم مـن تضـلعه في العلـوم الدينيـة واللغويـة والحسـاب، وهـذا يـدل علـى أن هـذه الحرفة كانت من الحرف، التي تدر على صاحبها المال والذروة وكان يمارسها في بينه الذي يسكنه[3].

وقـد إشـهرت عائلـة الـزواوي المغربيـة بمدينـة القـاهرة خـلال القـرن 9هـ/15م، بعمـل جديـد مـن أعمـال الخدمـة العامـة، وهـو العمـل في مجـال القبـان[4]، الـذي يسـتخدم عـادة لمعرفـة الأوزان المختلفـة، ويـرتبط عـادة بـوزن غـلال الفلاحـة، وقـد يوضـع في السـوق الكـبرى لمعرفـة وزن المحاصـيل، بحسـب السـخاوي فـإن المشـتغلين في هـذا الميـدان مـن قبيلـة زواوة، تـوارث أفرادهـا هـذه الحرفـة ونبغـوا فيهـا وطـوروا منهـا، وأصـبحوا ينتجـون أعـدادا كـبرى منهـا، تصـل إلى بضـعة عشـرة قبـانا ألفيـا، يرأسـهم **شـعبان بـن علـي بـن أحمـد الـزواوي** القبـاني المتـوفى ستة(895هـ-1490م)، ورث الحرفـةعن أبيـه وأخيـه غـبر أنـه كـان أحـذقهما وأسـرعهما مـن حيـث المنتـوج[5]، وتطـورت بـه الأمـور حـتى أصـبح رئـيس هـذه الحرفـة، لمهارتـه وحذقـه فيهـا بـل

---

(1) المقري، المصدر السابق، ج4، ص 285. ينظر: علي أحمد، العاملون في الإقتصاد، المرجع السابق، ص66
(2) السخاوي، المصدر السابق، ج10، ص88.
(3) نفسه، ج8، ص117
(4) قبـان: وهـو مـبرزان ذو ذراع طويلـة، يـوزن عليـه الأوزان الثقيلـة، مقسـمة أقسـاما ينقـل علهـا جسـم ثقيـل يسـمى الرمانة، لسان العرب، يارجع، مخطوط رسالة في صناعة القبان، أنظر ملحق رقم 11، ص336-339
(5)السـخاوي، الضـوء اللامـع ، المصـدر السـابق، ج8، ص 800 ينظر:علـي أحمـد، العـاملون في ميـدان الإقتصـاد، المرجع السابق، ص151

كان مرجعا لأهل الحرفة إذا حصل بينهم الخلاف، فلا مناص من الرجوع إليه ، كما أن خبرته الواسعة جعلت منه يباشر إصلاح هذه القبابين، ويقطع لأصحابها الأميال لغرض تصليح ما تعطل منها، خارج نطاق القاهرة، مثل منطقة الوجه البحري خارج نطاق وغيرها[1]، ولم يمنعه هذا من السفر وأدا ء مناسك الحج.

وقد أثارت شهرته هذه حقد كثير من الناس عليه، كان منهم قسم من أقربائه المقربين، مثل أخيه **محمد بن علي الزواوي** الذي كان قبله معلماً ، فإدعى عليه ببعض أشياء لم تكن فيه، فأوقف لفترة وجيزة وأطلق وإستطاع صرف أخيه من زعامة المشتغلين بالقبابين، وأصبح هو زعيمهم من سنة(850هـ-1447م) حتى وفاته، أي قرابة خمسين عاماً، وهو يشبه ما يسمى في أيامنا هذه رئيس حرفة من الحرف المتنوعة[2].

ويبدو أن حرفة التجليد توريق الكتب، كانت من الحرف المحببة للأندلسيين والمغاربة وأنهم كانوا لا يرون في ذلك أية إحراجا أو متاعب معنوية، وخاصة منهم الذين كانوا من عائلة علمية معروفة أو غنية إلى غير ذلك، مثل **عبد العزيز بن علي بن محمد بن فرحون،** إشتهر عن أبيه أنه كان علامة عصره، وعلى الرغم من ذلك، فقدكان كإبنه يمارس حرفة التجليد وبالأجرة[3]، بقيت للإشارة في الأخير أن طائفة من المغاربة من النخبة العالمة، مارست فضلا عن تخصصها العلمي كفقهاء بعض الحرف التي إنتسبوا إليه.

رابعا: إسهامات أهل المغرب الأوسط في الحروب الصليبية :

في الوقت الذي إنكفأ العالم الاسلامي على نفسه، وأشاح بوجهه عن الفتح والتوسع، لم تلقى من ضربات موجعة سددها له شرق بدوي، يركب ظهر جواده، والفرنجة من الشمال

---

[1] السخاوي، الضوء اللامع ،المصدر السابق، ج3 ، ص 300.

[2] نفسه، ج3، ص 300

[3] السخاوي، التحفة اللطيفة ، المصدر السابق، ج3، ص 33.

إستردوا ما كان لهم من قبل في شبه جزيرة إيبيريا ،حيث بدأت مدن الأندلس تتهاوى ومجالاتها تضيق، أمام توسع المد المسيحي، وحيث ملامح ذلك تتجلى في ركوب التصوف ومظاهر الزهد وإتخاذ الرباط لفرض الجهاد في سبيل الله، مغربا أو مشرقا.

فكان أن تواجد المغاربة في المشرق وتحديدا في جيوش مصر بعد أن تواجدوا بأربطتها، مشاغرين يجندون أنفسهم لمحاربة أو مراقبة الصليبين في مناطق الثغور الحدود فعرفوا ب المجاهدين ، أو المرابطين نسبة للمواقع المحصنة، وهي الرباطات[1] يحدوهم شرف الجهاد ومحاربة الصليبين، لكن لا ينبغي بسط الحديث ومعالجة الإشكالية من منظور وفادة مغربية للمشاركة ضد الصليبين مؤقتا، وهي محل توثيق لكن العناية الكبرى ستتحقق وفق إثبات صحة فرضية التواجد المغاربي في الجيوش الاسلامية منذ الفتح الفاطمي و خلال الأيوبيين والمماليك وهذا لإعتبارات منها:

- المغاربة هم في شبه حروب دائمة مع المسيحيين في بلادهم قبل أن تنشب الحروب الصليبية في المشرق[2]، فهم بذلك أهل ربط ومثابرة وسواحلهم معرضة لخطر الغزو من صقلية وسردينيا وجنوب إيطاليا، فإعتبر المغاربة وجودهم على الساحل يعد الرباط فيه جهاد في سبيل الله وقربة إليه[3] لذلك حرصت الدول المغربية في تعبئة السواحل وإقامة المحارس والريط، و شحنا بالحراس، فتفوقت البحرية في الغرب الإسلامي مع نهاية القرن (2هـ-8م)، وزادت قوتا أمام تراجع قوي البيزنطيين، فأصبحت السيادة البحرية المغربية خلال القرن الثالث والرابع الهجريين، (09و10) الميلاديين[4]

---

[1]كلود كاهن، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة أحمد الشيخ، دار سينا للنشر، مصر، 1995م ، ص223-224.

[2]علي أحمد، دور الأندلسيين و المغاربة في الحروب الصليبية على مسرح الشام ومصر، الإطار التاريخي للحركة الصليبية، منشورات إتحاد المؤرخين العرب، 1996م، ص209

[3] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص126

[4]رفيق بركات، فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الإسلامي، منشورات جامعة حلب، سوريا، 1995م، ص34

- تغير الوضع السياسي في المشرق والمغرب في أواخر(ق5هـ-11م)، ففي المشرق نفذ الصليبيون هجوما كاسحا على المشرق مكونا إمارات صليبية ، وفقدان بيت المقدس من أيدي الفاطميين، وفي المغرب كانت دويلات الطوائف بعد سقوط دولة الأمويين بالأندلس، أعقبتهما دولة المرابطين التي إنشغلت بالجهاد ضد الإسبان في الشمال و الوثنيين في الجنوب[1]

يرى معظم المؤرخين أن المغاربة بحكم وجودهم على الساحل البحري، الذي ينفتح على أوروبا طبعت بأمور البحر، وعلى أنهم من ضمن أمم البحر الرومي، الذي وسيلة الحرب والاتجار هي السفينة، فكانوا مهرة في ركوب البحر[2]، حتى أن مؤرخي مصر أشادوا بهم، فالجيش الفاطمي ظل مؤلفا لفترة طويلة من المغاربة بصفة خاصة[3] رغم أن عملهم في البحر في العصر الفاطمي حسب زعم أ حدهم من قبيل الإكراه[4]، فأصبحوا محل مدح وإشادة خاصة منهم أهل افريقية[5]، وهذا ما أهلهم ليكونوا قادة الأساطيل في المشرق، لما لهم من مهارة في هذا الفن، وكذا إهتمام صلاح الدين بالملاحين المغاربة، حتى أنه طلب المعونة من سلطان المغرب السلطان يعقوب المصور، وبأسطوله وطلب منه المدد لقطع دابر الفرنجة من الصليبيين عن سواحل الشام، وبعث له سفيرا يحمل هدايا وألطافا[6]

لقد دون إبن جبير خلال زيارته لبلاد الشام في الربع الأخير من القرن السادس

---

(1)أحمد مختار العبادي، **دور المغاربة في الحروب الصليبية في المشرق العربي البحرية الإسلامية في العصر الأيوبي و المملوكي**، بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية، ندوة الحضارة الإسلامية في ذكرى الأستاذ أحمد فكري 16-20 أكتوبر1976م، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 2000م، ص81.

(2)إبن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج1، ص266

(3) كلود كوهن، المرجع السابق، ص222

(4)المقريزي، الخطط، المصدر السابق، ج1، ص368

(5)جواتياين، المرجع السابق، ص245ينظر: المقري، المصدر السابق، ج3، ص105.

(6)إبن خلدون، الرحلة، المصدر السابق، ص263.

الهجري بأن التواجد المغاربي و الأندلسي كان على شكل مجموعات كبيرة العدد، اللأمر الذي جعل الصليبين يلجؤون إلى إتخاد إجراءات مضادة للمغاربة و الأندلسيين، تجسدت بفرض ضريبة عليهم دون غيرهم و ذلك جزاء إشتراكهم مع العرب المشارقة ضدهم، يقول إبن جبير عندما زار حصن تبنين:" وكان مكانا تجتمع فيه القوافل ... ولا إعتراض على غيرهم ، وسببها أن طائفة من أنجادهم غزت مع نور الدين أحد الحصون، فكان لهم في أخذه غني ظهر و إشتهر فجازاهم الافرنج بهذه الضريبة المكسية وألزموها رؤوسهم، فكان مغربي يزن على رأسه الدينار في إختلافه على بلادهم[1].

وقد إزداد عدد المغاربة بشكل كبير على عهد صلاح الدين الأيوبي، فظهرت مشاركتهم على وجهين الأولى كمحاربين أساسيين، و الثانية كمرافقين للجيش يقومون بتقديم الخدمات المختلفة التي لا تقل عن غيرها في ميدان الحرب، فقد كانت القيمة و الدور الذي شغله المغاربة على الصعيد العسكري, كمقاتلين أشداء حيث نذروا أنفسهم لتنفيذ مهمات في غاية الخطورة[2].

يقال إن أول تدخل مغربي في الحروب الصليبية يصعد إلى عام 543هـ-1148م، وهو التاريخ الذي أستشهد فيه الإمام المغربي يوسف بن دوناس الفندلاوي الفاسي [3]، و يذكر ممدوح حسين عن صلاح الدين منجد صاحب كتاب المشرق في نظر المغاربة و الأندلسيين أن عدد المغاربة في جيش صلاح الدين أثناء حصار عكا سنة 583هـ-

---

[1] إبن جبير، المصدر السابق ، ص 274

[2] أحمد علي، دور الأندلسين و المغاربة في الحروب الصليبية، المرجع السابق، ص 325

[3] يلقب بأبي الحجاج المغربي، قدم الشام وسكن بلدة بانياس في محافظة القنيطرة العربية السورية مدة ثم انتقل إلى دمشق و إستوطنها ، ودرس بها على مذهب الإمام مالك، وحدث بكتاب الموطأ وقد وصف بأنه شيخ حسن المفاكهة , حلو المناظرة كريم النفس، قوي القلب ، صاحب الكرمات ، محمد كرد، المرجع السابق، ج5، ص203

1187م ما بين ألفين إلى ثلاثة ألاف[1]، إن هؤلاء المغاربة هم كالكثير من الشامين و المصريين الذين شاركوا بهذه الحرب من غير الجيش النظامي، الذي لم يكن يشكل كل القوة المحاربة .

و قد وضح الانجليزي هاملتون جب أن جيش صلاح الدين في موقعة حطين لم يتجاوز الأربعة عشر ألف جندي[2]، أما المحاربون الآخرون فكانوا متطوعة و متصوفة من الأندلسيون و المغاربة[3].

و أشهر الحوادث المعروفة عن الأندلسيون و المغاربة في ميدان الحرب ما ذكره إبن الاثير في حوادث عام 543هـ-1148م عندما حاول الصليبيون إحتلال مدينة دمشق، وأثناء حصار الفرنج لها إجتمع أهلها لتدارس الطرق و الأساليب لمواجهتهم و كان من خرج للجهاد الفقيه المغربي المالكي أبو الحجاج الفقيه[4]، وكان طاعنا في السن فتقدم للقتال حتي قتل.

وكان الفقيه ابو الحجاج يوسف بن دوناس الفندلاوي المالكي أشدهم حماسا و إستعدادا للحرب و ظل يقاتل حتي أستشهد بأرض النيرب بالقرب من الربوة نحو نصف فرسخ من دمشق ، و حمل جثمانه إلى مقبرة باب الصغير حيث دفن[5] و قد قيل فيه أشعار كثيرة منها ما قاله إبن الحكم الاندلسي:

---

(1) حسين ممدوح، الحروب الصليبية في شمال إفريقيا و أثرها الحضاري، دار عمان ، 2007م، ص183

(2) السير هاملتون ا.ر. جب ، صلاح الدين الأيوبي ، ط2، ترجمة، يوسف إياس ، بيسان للنشر و التوزيع ، بيروت، 1996م، ص161

(3) عمر عبد السلام تدمري، " **الاندلسيون و المغاربة في طرابلس الشام** " **مجلة التاريخ العربي** ، عدد12، المغرب ، 1999م، ص21

(4) إبن الاثير، المصدر السابق، ج9، ص353,

(5) إبن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ط1، تحقيق:سهيل زكار، دار احسان ، دمشق ، 1983م، ص461

بَــــشْطَ نَـهْــر دَارَيَــا **أمــــوُرُ مَا تــوَاتـيَـنَــــا**

أتَــانَا مَـائَــتاَ ألــــف **عَــدَيـــدًا أَوْ يَـزِيــدُونـَا**

ورَايَــا ت وصَـلْبَــــان **على مَسْـجــــد خَـاتوُنَـــا**

فَقُلْـنَـا إِذَا رأيَنَاْهَـــا **و قــدْ جَـاءوا يُرِيــدُونـاَ**

وشَـيْخـاً فــلنداوي **فَـقيـهًا يـعَضَــد الْدنيْــا**

ولكن غادروا القسيس **تحت الارض مدفونـــا** [1]

أشـار إبـن جبـير علـى أن الحمـلات البحريـة، تواجـد فيهـا المغاربـة، فلقـد قـاد حسـام الـدين لؤلـؤ ضـد الصـليبين علـى عهـد صـلاح الـدين واحـدة منهـا، حيـث كانـت تضـم عـددا كبـيرا مـن أجنـاد المغاربـة البحـريين[2]، وأكثـر مـن ذلـك أن وحـدات الأسـطول المصـري الـتي هاجمـت أسـاطيل الصـليبين في مدينـة صـور أيام صـلاح الـدين، كانـت بقيـادة قائـد مغـربي يدعى عبد السلام المغربي [3].

وهـذا مـا يـدل على علـو مكانـة المغاربـة وبخاصـة عنـدما تسـند إلـيهم مناصـب قياديـة في معـارك حاسمـة ضـد االصـليبيين منـذ وقـت مبكـر، فـإدارة الأسـاطيل البحريـة مـن طـرفهم كـان منـذ العصر الفاطمي وبعده الأيوبي والمملوكي[4].

ولا يسـتبعد أن تكـون أعـداد كبـيرة مـنهم، قـد شـاركت إلى جانـب الجهـاد في أعمـال

---

(1) محمد كرد، المرجع السابق، ج1 ، ص 52

(2) إبن جبير، المصدر السابق، ص260

(3) محمد كرد، المرجع السابق، ج2، ص119

(4) تذكر المصادر المغربية والمشرقية على السواء بالعديد من الإشارات الني تخص إشتراك المتطوعين المغاربة فى جيش نور الدين محمود بن زنكي، و فى جيش صلاح الدين الأيوبي في حروبهما البرية ضد الصليبيين، ينظر: إبن جبير، المصدر السابق، ص247 ينظر: إبن الاثير، المصدر السابق، ج9، ص353.

أخرى، مثل الطبخ و تجهيز الطعام للجيش[1]، وحتى سفارة صلاح الدين الأيوبي لسلطان المغرب يعقوب المنصور (586هـ/1190) والتي ترأسها عبد الرحمن بن منقذ، لطلب مساعدات بحرية، توحي على دراية المغاربة وتضلعهم في العمل البحري الذي إختصوا به[2].

أ- دورهم في الدفاع عن الاسكندرية

إرتفعت مكانة المغاربة في العصر المماليك البحرية، وكان يلبغا الخاصكي (ت802هـ-1391م) يقدر دورهم ويعتبرهم فرسان البحر وكان الكثير من المغاربة على المراكب، في حين كان رئيس دائرة الصناعة بالإسكندرية، إبراهيم التازي الذي عرف ببطولاته في الجهاد ضد الصلبيين[3]، وقد إشترك الكثير منهم في الدفاع عن الاسكندرية و أستشهد الكثير منهم و كان الأمير يقدرهم و يعتبرهم فرسان البحر[4].

وبحكم الموقع الجغرافي للإسكندرية فقد كانت هدفا للحملات الصليبية التي ترعمتها جزيرة قبرص بدافع المنفعة الإقتصادية[5]، التي تجنيها من الحروب الصليبية بإعتبارها مركز تجاري هام و سوق كبرى للماليك في حوض البحر المتوسط،وكل ذلك دفع بملوكها آل لوزجنان إلى تبني الفكرة الصليبية ومن أبرز ملوكهم المتحمسين ملكها بطرس لوزجنان و يرتبط اسمه بالغارة الوحشية التي شنها على الاسكندرية[6] في محرم 768هـ-أكتوبر 1365م.

---

[1] المقريزي، السلوك، المصدر السابق، ج1، ص 94

[2] العبادي، دور المغاربة، المرجع السابق، ص89

[3] العبادي وآخرون ، تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت، 1969م، ص 30

[4] سعد زغلول عبد الحميد، **الأثر المغربي والأندلسي في مجتمع السكندري في العصور الوسطي**، ضمن ندوة تاريخية مجتمع الإسكندرية، مطبعة جامعة الإسكندرية ، الإسكندرية ، أفريل 1973م، ص207

[5] أحمد حطيط، **دور قبرص في العلاقات بين المماليك و الغرب الأوروبي في أواخر القرون الوسطي** ، مجلة تاريخ العربي، ع18، المغرب، 2001م، ص309

[6] سعد زعلول، المرجع السابق ، ص 262

وقد كانت الإسكندرية على صلة وثيقة بالمغرب حتي عرفت بباب المغرب فقد بلغ عدد فقراء المغاربة في المدينة اكثر من الف شخص يتقاضون جوامك من الحكومة المصرية ، و هذا دليل على أن عدد المغاربة كبير بالإسكندرية[1].

يروي النويري (ت بعد 775هـ-1372م) وهو أندلسي الأصل حسب رواية إبن حجر في الدرر الكامنة[2]، حيث نجح الصليبيون في إقتحام المدينة وقتلوا عددا كبيرا من رجالها ونسائها وعاثو في المدينة تخريبا ونهباً لمدة أسبوع كامل،وإنسحبوا بعد النهب والسلب[3]، وكانت واقعة عظمة حركت مشاعر الخزن لدى الأدباء والشعراء ومنهم الشاعر أحمد بن أبي حجلة التلمساني (725هـ-1325/776-1375م)[4] الذي عبر عن ذلك مشيدا بالمغاربة في الإسكندرية.

وَحقَقْ عنْدي للْفرَنْجَ مَكَائـدُ   ولْيَتولى الأمـْرَ يـَدْري مَا أَدرْى

فَمَنْ لي بفُرْسَان الجَزيرَة عْندَمَا   تعَامَلَ أَهْلُ الكُفْر في البَحْر بالْفَجْر

ومنْ لي بأُسْطوُلَ اهْلَ سَبْتةَ   برَغبَاتهُم مثلَ السُور إذْا تَسْري

فكان أن إستشرى الغضب وعم المشرق والمغرب، وبات واجب المماليك الحد من نشاطها وقطع دابر الصليبين الغزاة وهذا ما يؤكده النويري في كتابه الإمام بالأعمال أن

---

[1] أحمد حطيط، المرجع السابق، ص 92

[2] إبن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ،ج4، المصدر السابق، ص 142

[3] محمد بن القاسم بن محمد النويري، كتاب الإلمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في واقعة الإسكندرية، ج4، تحقيق: عزيز سوريال عطية، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الدكن حيدر أباد، الهند، 1970م، ص 179

[4] حاجي خليفة، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1941م، ص 994

المغاربة دفعوا حياتهم ثمنا عن المدينة عندما نزلوا إلى المياه أمسكوا القبارصة و جعلوا أجسادهم عرضة للنيران(1).

و في 29 رجب 769هـ- مارس 1368م ، أقلع **إبراهيم التازي** من ثغر الإسكندرية في مركبين حربيين بهما خمسمائة مقاتل متجها إلى جزيرة قبرص، فغنم سفينة للعدو أرسلها إلى الإسكندرية بعد أن حجز معه رجالها، و إستمر التازي في غاراته ثلاثة و عشرون يوما عاد بها محملا بالغنائم و الاسرى فإرتجت الإسكندرية لقدومه و خرج أهلها إبتهاجا لاستقباله(2).

وفي السنة 770هـ-1369م حاول الأسطول القبرصي إعادة الكرة فتصدت له المراكب بقيادة إبراهيم التازي حيث خاض معركة بحرية ضارية ألحقت الآذي بالأسطول القبرصي الذي فقد عدد من سفنه و عدد كبير من رجاله(3)، يقول النويري :" لأن الفرنج ليس بقهرهم سوي المغاربة، وذلك لمخالطتهم لهم بجزيرة الأندلس، يعرفون طرق حربهم و طعنهم و ضربهم في البر و البحر، فلو كان منهم بالإسكندرية من المغاربة جمعا كبيرا بجوامك مرتبة، و غربان مجهزة بعددها و أزوادها كانوا يخربون جزر كثيرة , وصارت الفرنج معهم في جزيرة(4)، لتحين بعد ذلك الفرصة للملك بيرساي لفتح المدينة وأسر ملكها لوزجنان سنة (829هـ/1426م)(5)

---

(1) النويري، المصدر السابق، ص146

(2) بن خيرة أحمد ، دور المغاربة و الأندلسيين في الحروب الصليبية ما بين القرنين الخامس و التاسع الهجريين، رسالة ماجيستير، جامعة الجزائر 2 ،كلية العلوم الانسانية، قسم التاريخ، 2010-2011م، ص151

(3) المرجع نفسه، ص152

(4) النويري، المصدر السابق ، ص 277

(5) Heyed (W), Histoire du commerce de levant à la moyenne âge, société de l'orient latin, Paris, 1959, P23

أما خلال التاسع الهجري أى الخامس عشر ميلادي فقد إقتصر دور المغاربة في الأسطول المملوكي أيام السلطان الغوري :"... وكان العسكر الذي خرج في هذه التجربة مكون ما بين أولاد الناس وبعض مماليك سلطانية ، و الغالب منهم المغاربة و عبيد سود رماة و تركمان و غير ذلك.

و أرسل السلطان صحبتهم جماعة كثيرة من البنائين و النجارين بسبب تلك الأبراج التي أنشاها السلطان وأمر بإنشأ الصور ..." ولم نجد ذكر حول التواجد المغاربي في هذه الفترة و هذا راجع لما آلت إليه الإسكندرية من إضمحلال نتيجة تحول الطريق التجاري إلى رأس الرجاء الصالح، لذلك إهتم السلطان الغوري ببناء أسطول كبير في السوس ليتعقب به الفرنجة في البحر الأحمر [1].

ب – دورهم في فتح بيت المقدس

لقد إهتم صلاح الدين الأيوبي بالمغاربة وأسكنهم بيت المقدس بعد إنتصار المسلمين في معركتي حطين وفتح بيت المقدس وأسكنهم بجانب الحائط الغربي للمسجد الأقصى المعروف بحائط البراق، وحين سئل صلاح الدين الأيوبي من قبل حاشيته عن سبب إسكان المغاربة بهذه المنطقة[2] أي عند سور الغربي للمسجد الاقصى، وهي منطقة سهلية يمكن أن يعود منها الصليبيون مجدداً أجاب بقوله" أسكنت هناك من يثبتون في البر، ويبطشون في البحر من أستأنسهم على هذا المسجد العظيم[3].

[1] إبتسام مرعي خلف الله، العلاقات بين الخلفة الموحدية و المشرق الاسلامي 524-936هـ/1130-1529م، دار المعارف، القاهرة ، 1985م ، ص 225

[2] علي حسن عمار، الصوفية والسياسة في مصر، مكتبة الأسرة، القاهرة ، 2007م، ص 106

[3] جواد المرابط، التصوف والأمير عبد القادر الحسني، دار اليقظة، دمشق، 1995م، ص 109

ومن أشهر العلماء الذين شاركوا في الحرب ضد الصليبين **أبومدين شعيب بن الحسن الانصاري** الذي دفن ذراعه التي قطعت أثناء قتال الصليبين قرب حائط البراق، وأقام قرب البراق مدرسة وأوقف سكن للقادمين من المغرب الإسلامي، وهكذا أصبحت حارة المغاربة كوقف منذ(سنة 583هـ-1187م)[1].

وكان لفتح بيت المقدس أثر كبير في نفوس المسلمين و يشير عبد المنعم بن عبد الله بن حسان الغساني الأندلسي الجلياني(ت 604هـ- 1207م)، إلى مدي التفاعل الثقافي بين الغرب الإسلامي و أحداث القدس العربية و الاسلامية [2].

لاسيما حادثة التحرير من الإحتلال الصليبي التي أثارت المشاعر، و دفعت بها الأديب إلى التأليف، و لتخليد تلك الذكرى العزيزة على قلوب المسلمين في مشرق العالم الإسلامي و مغربه، وقد عبر عن فرحته بالإنتصار على الصليبين من خلال قصيدة بعثها إلى صلاح الدين الأيوبي سنة 582هـ/1186م قال فيها :

فيَا ملكاً لمْ يبقَ للديُن غيرهُ وهم ... عمد الإسلام فأشدد لها د عمًا

فشؤم فريق الشرك في الشام طائر ... فقص جناحيه بأقصى القوي قصما

---

[1] سهيل الخالدي، **مكانة الجزائريين في الحركة الفكرية (التصوف) ببلاد الشام مهاجرو تلمسان نموذجا** ، مجلة أفكار وأفاق، العدد 03، 2012م، ص 107

[2] هو عبد المنعم عمر بن حسان الأديب الشاعر الجلياني نسبة إلى جليانة الاندلسية من أعمال وادي ياش ، سكن دمشق، و إستقر بمصر و عاصر صلاح الدين الأيوبي خصص جانبا من شعره عن بيت المقدس، موفق الدين بن أبي أصبيعة، عيون الانباء في طبقات الاطباء، ج2، تحقيق: نزار رضا ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت، 1965م، ص657

خُصِّصَت بِتَمْكِين فَعَمّ العــدا رُدِّي **فانــهم يــأجوج أفـرِغ بـهم ردمـا**

إذَا أصــفرت مِن الأصــفر ساحـــة **المقدس ضـاهت أَم الْقُرّيّ قــدما**

فِدًا الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى و هِمَّتك الْعَدِي **وعزمتك القصـوى ورميـتك الصمـا**

و مَا كُلُّ حِينٍ تمـــكن الْمَرْء فرصـة **ولَا كُلُّ حـال أَمْكَنَت تَقْتَضِي غـنما**

ولـيس كَفَتْح القـــدس منـــية قَادِر **وَمَا إنْ تلقاها سوي يـوسف جزمــا** [1]

ويبدو أن أهل المغرب الأوسط وجدوا الفرصة لمساندة أخواتهم في المشرق ضد الصليبين، كيف لا وقد عرفوا بجهادهم في الأندلس مع محمد بن أبي عامر، ثم مع المرابطين بل مع كل الدول التي خاضت حركة الجهاد في الأندلس.

وما من شك أنهم أسهموا في المعارك ضد الصليبين[2],سواء مع نور الدين زنكي[3] ، أو مع صلاح الدين الأيوبي، وهو ما نلمسه من كثرة من وقع في الأسر لدي العدو، وقد ذكرإبن جبير أسير من مدينة بونة[4] لكن لم يذكر إسمه.

ج: جهودهم في تقــديم الخــدمات للجيـــش

1: دورهم في المجال الطبي

(1) محمد كرد، المصدر السابق، ج3، ص ص 260-261

(2)أحمـد مختـار العبـادي، في تاريـخ المغـرب والأنـدلس، دار النهضـة العربيـة للطباعـة و النشـر ، بـيروت ، 2008م، ص 118

(3) مـن المعـارك الـتي يكـون قـد شـارك فيهـا المغاربـة وقعـة بانيـاس ضـد الإفـرنج سـنة 522هـ- ابـن القلانسـي ، المصـدر السابق، ص 340

(4)إبن جبير، المصدر السابق، ص 244

لم يقتصر دور المغاربة على أداء خدمة الجندية فقط بل شمل نواحي آخرى لا تقل أهمية مما يبين مدي إسهاماتهم و رغبتهم في التعاون و التكامل مع المشارقة ، حيث قدم المغاربة و الأندلسيون خاصة الأطباء خدمات جليلة للجيوش الإسلامية و المجتمع الشامي و جيش صلاح الدين حيث وقفوا صفا واحدا ضد الصليبين منذ النصف الأول من القرن السادس الهجري – الثاني عشر ميلادي بدأ الأطباء خاصة الأندلسيون يتوافدون إلى دمشق[1]، و من هؤلاء الأطباء أبو الحكم تاج الحكماء عبد الله بن المظفر الباهلي درس الطب بالأندلس و بمصر حتي إشتهر كطبيب معروف ثم توجه إلى بغداد و فيها إشتغل طبيب البيمارستان[2].

ولما سمع بتهديد الصليبين رجع إلى دمشق يداوي الناس بدكان عند باب جيرون بالقرب من المسجد الاموي الكبير ، وكذلك فعل إبنه أبو المجد محمد بن عبد الله الباهلي الملقب بأفضل الدولة [3]، الأمر الذي جعل نور الدين زنكي يعتمده كمسؤول عن إدارة البيمارستان , الذي أنشاه في دمشق ,كما قام الطبيب عمر بن علي البذوخ القلعي بممارسة المداواة العامة، و إختلف عن بقية زملاءه من الأطباء بتصنيع الدواء بنفسه[4].

كما ساهم عدد من الأطباء في الحروب الصليبية منهم عبد المنعم الجلياني أبو الفضل عبد المنعم بن عمر عبد الله الغساني إشتغل منذ وقت مبكر في ميدان الطب، كان علامة زمانه في صناعة الطب و الكحل"طب العيون و الأدب"، و تفوق فيهما بشكل ملحوظ رحل إلى المغرب ثم إلى بغداد ثم إلى دمشق لما سمع هجمات الصليبين حيث كان طبيبا رئيسيا في البيمارستان السلطاني في السفر و الحضر أيام صلاح الدين الأيوبي خدم

---

[1] عمر عبد السلام تدمري، المرجع السابق، ص 24

[2] بن خيرة أحمد، المرجع السابق، ص 136

[3] إبن أبي أصبيعة، المصدر السابق، ج2، ص 190

[4] علي أحمد، مساهمات الأندلسيين و المغاربة، المرجع السابق، ص84

صلاح الدين فترة طويلة من الزمن، كان معظمها في ساحات الحرب و المعارك التي دارت رحاها بين المسلمين و الفرنجة على أرض فلسطين[1]، وهو يشبه في عمله إلى حد كبير رئيس المجموعة الطبية، التي ترافق في العادة آية فرقة أو قطعة عسكرية من الجيش [2].

2: دورهم في التبرع بالمال

لقد أسهم المغاربة و الأندلسيين في الذود و الدفاع عن البلاد المشرقية عامة، و ديار مصر و الشام بشكل خاص بجميع ما يملكون حيث كانت لهم مساهمات تجسدت بتقديم الأموال من أجل تجهيز المقاتلين بالسلاح و العتاد و غير ذلك.

منهم محمد بن محمد أبو الوليد التيجيبي إمام محراب المالكية بدمشق و الذي يقول عنه إبن حجر العسقلاني في كتابه الدرر الكامنة :" و كانت له عدة كاملة من السلاح و الخيل أعدها للغزاة من ماله..." لذلك فليس غريبا أن يكون جزءا كبيرا من تصرفات الحكام المماليك الإيجابية إتجاه المغاربة و الأندلسيون في البلاد المشرقية خاصة ديار مصر و الشام، مثل تخفيض الضرائب على البضائع التجارية و التي يأتي بها التجار المغاربة إلى الشام و مصر و غيرهم تكون بسبب موقفهم العسكري ضد الصليبين[3].

بالإضافة إلى دعم المغاربة إلى البلاد المشرقية بمادة ضرورية و لازمة لصناعة السفن الحربية و هي الخشب، نظرا لإفتقار مصر لهذه المادة و وقوع بلاد الشام تحت سيطرة الصليبين، فكان المغرب الإسلامي أكبر مزود لمصر من الخشب و إزداد الحاجة إليه زمن الحملة الصليبية الثالثة لصلاح الدين الأيوبي، و لهذا جاء طلبه للمنصور الموحدي في إمداده

---

(1) علي أحمد، **بلاد الشام في نظر المغاربة و الاندلسيين مند بداية القرن السادس حتي نهاية القرن التاسع الهجري** ، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، العدد 15، المغرب، 2000م، ص 39

(2) المرجع نفسه، ص 39.

(3) علي أحمد، مساهمات الأندلسيين و المغاربة، المرجع السابق، ص84

بأسطول بحري، و حينها لم يسع المنصور تلبية طلبه إتجه إلى افريقية للحصول على ما يحتاجه من الخشب و الملاحين المهرة لتدعيم بحريته[1].

ومن مظاهر دعم المغاربة لإخوانهم المشارقة في أعقاب غارة القبارصة على الاإسكندرية إذا أقاموا بجمع الاموال و إعداد الأساطيل و الأسلحة، فهناك أعداد كبيرة من المغاربة وضعوا أنفسهم لخدمة إخوانهم ضد الصليبين [2].

خامسا :إسهامات علماء المغرب الأوسط في مجال التصوف

أ-علماء المغرب الأوسط المتصوفة بالمشرق

- مفهوم التصوف[3]

لقد تعددت التعريفات والمفاهيم في تحديد لفظ التصوف ولعل أهمها ذلك الذي تناوله العلامة ابن خلدون في قوله عن التصوف أنه العكوف على العبادة والإنقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيها مما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال، وجاه وانفرد عن الخلق والعباد في خلوة، فكان ذلك معروفا في عهد الصحابة الأخيار

---

(1) بن خيرة أحمد، المرجع السابق، ص 139

(2) أحمد مختار العبادي ، دور المغاربة، المرجع السابق، ص96

(3) ظهور كلمة التصوف: إن أول من إستعمل لفظة صوفي هو الجاحظ في كتابه البيان و التبيين حيث قال:(الصوفية من النساك) كما قال أن الصوفي كان لا يلبس إلا الصوف الأبيض، أما أول من أطلق عليه كلمة صوفي فهو أبو هاخم الكوفي الذي في نكبة أرملة بفلسطين، لكن هناك من يرى أن لفظ صوي ورد لقبا مفردا لأول مره في التاريخ خلال الصف الأول من القرن الثامن ميلادي (ق08 م)، إن لقب به جابر بن حيان وهو كمياش شيعي من أهل الكوفة ، أما صيفة الصوفية فظهرت عام 199هـ/ 814 م، ومنه فغن بذور التصوف الإسلامي ظهرت في بداية القرن الثاني للهجرة (ق02، متمثلة في الزهد هيئة زهد نتيجة ما حدث في العالم الإسلامي من ترفي وملذات ثم نوعا من التطور خلال القرنين الثالث و الرابع للهجرة حيث شاع مصطلح التصوف وتداوله كثير من العلماء والفقهاء والمتصوفة، .ينظر : علي محمد فرغلي، محاضرات في التصوف، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1975م، ص7

والسلف الصالحين حسب رأيه، فالتصوف عند إبن خلدون هو عبادة ومعاهدة النفس ومحاولة لإدراك الحقيقة، وذلك من خلال محاسبة النفس في كل ما تفعله وتتركه على حد السواء كما أن الغاية التي يرجوا المتصوف بلوغها هي التوحيد والمعرفة[1]

لقد إحتضنت البلاد المشرقية عدداً لابأس به، خلال فترة هذا البحث من الزهاد المتصوفة المغاربة وقد إنقسم هؤلاء إلى قسمين متباينين إنطلاقا من فهمهم وتطبيقهم لأساليب الزهد والتصوف فتمثل جال القسم الأول بأولئك الذين عرفوا بزهدهم ومرابطتهم في أمكنة متعددة كالزوايا والخناقاها، وأحيانا بالمجاورة في المسجد الأقصى بالقدس الشريف وإنحصر نشاطهم في العبادة والورع والدعوة إلى تمثل السلف الصالح في الحياة، كالبساطة في العيش وقهر النفس وإن كان بعض هؤلاء قد إنفرد بميزة إضافية، تجلت بالدفاع عن ثغورهم التي ربطوا بها، ضد الأخطار التي أحدقت بها من جراء الزحف الصليبي باتجاهها.

أما القسم الثاني فإن التصوف عندهم، كان غير ذلك بحيث يمكن تسميته تصوفا فلقد خرج عن الحدود المعروفة لدى الفريق الأول إلى درجة توصل بعضهم إلى حد القول، بأن التصوف و الزهد ضرب من الذوق يستطيع صاحبه من خلاله، أن يتعرف حقيقة وجود الله عز و جل، و هذا الفريق من المتصوفة، لم يلق أفراده القبول الشامل في بلاد الشام، بالرغم من العبقرية التي إتصف بها بعض أفراده مثل إبن عربي[2]، و كانت علامة فارقة بالنسبة لهم، و ذلك بعكس الفريق الذي لاقى أفراده قبولا شعبيا ورسميا[3].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي "1500-1830م"، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1980م، ص8

[2] إبن عربي: هو أبو عبد الله محمد بن علي الطائي الحاتمي، المعروف بإبن سراقة ويلقب بمحي الدين ويعرف بأبي عربي (560-1165م)، وصفه العربي بالشيخ الجليل الحافظ المتصوف المحقق، الغبريني، المصدر السابق، ص 158

[3] علي أحمد، بلاد الشام في نظر المغاربة، المرجع السابق، ص 125-126

وفي كل حال فالتصوف بالمشرق دان في جزء كبير منه، رد فعل ضد عقلنة الثقافة الإسلامية على يد الفلاسفة الذين خاضوا في الدين أكثر مما إهتموا بالإنسان نفسه، لكن في الجزء الأكبر، كان التصوف في سعة إمتداده و تشكيلاته رافضا لواقع سيء: الترف و الفساد الإجتماعي والسياسي،ودخول العلاقات العامة في عالم الماديات بشكل سلبي.[1]

ومن زهاد المغرب الأوسط الذين كان لهم تأثيرهم، سواء من حيث المهتمين بحلقات الدرس التي كانوا يعقدونها أو من حيث عدد الاتباع أو المريدين في الربط والخانقاهات ومدى مساهمة صوفية المغرب الأوسط في تنشيط وإثراء الحركة الصوفية بالحواضر المشرقية ونذكر منهم.

أبو الحسن علي بن يخلف بن معزوز الكومي التلمساني (ت599هـ-1201م) أخذ عن علماء مكة فسمع عن أبي جعفر أحمد بن أبي بكر القرطبي، ومن بغداد عن القاسم يحي بن ثابت بن بندار وأبي محمد عبد الله بن أحمد الخشاب، وأبي بكر بن محمد بن أحمد النقور، وإستقر به المقام بالإسكندرية مدرساً ومحدثا، حيث إنتفع به كثير من الناس، وكانت طريقته في التصوف تقوم على الزهد في الدنيا والجنوح إلى الخلوة.[2]

يحي بن الحسن الحسناوي الزواوي (ت611هـ-1214م) الشيخ الفقيه الصالح العابد الولي الزاهد، أو زكريا يحي إبن علي الشهير بالزواوي من أهل أميسون خارج مدينة بجاية دفين باب البحر، وزاويته هناك معروفة وهو من معاصري أبي مدين الغوث رحل إلى المشرق فلقي الفضلاء والأخيار والمشايخ من المتصوفة مثل الفقيه إسماعيل بن مالك بن عوف الزهدي روي عنه الموطأ وغيره إسوطن بجاية بعد رجوعه من المشرق فكان يجلس

---

(1) إراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج3، دار الرشاد الحديثة، 2000م، ص56
(2)تقي الدين الفاسي، المصدر السابق، ج6، ص 157

لعلوم الحديث والفقه وعلوم التذكير والتصوف[1]، تعتبر زاويته من أقدم الزوايا التي عرفها المغرب الأوسط دفن بزاويته ببجاية سنة 611هـ-1214م.[2]

أبو العباس أحمدبن علي يوسف البربي (ت622هـ-1225م)

من أهل بونة (عنابة) صوفي متعبد[3] من أشهر المهتمين والدراسين للعلوم الغيبية[4]، هاجر إلى المشرق وإستقر بالقاهرة وأظهر في بداية تجربته الصوفية جنوحه إلى وحدة الوجود على نمط إبن عربي وإبن برجان، فألف في هذه المرحلة كتابين هما:" موضح الطريق وقسطاس التحقيق من مشكاة أسماء الله الحسنى، والتقرب بها إلى المقام الأسني" سلك فيه مسلك ابن برجان في شرح أسماء الله الحسنى، وكتاب آخر سماه " علم الهدى وأسرار الإهتداء في فهم معنى سلوك أسماء الله الحسنى[5]

ألف البوني بحثا في علم المكاشفة من أجل الوصل إلى كشف أسرار الكون والعلوم الالهية والتنبؤ بالظواهر قبل حدوثها، معتبرا أن طبائع الحروف وأسرارها سارية في الأسماء والأكوان منذ الإبداع الأول[6].

ومن هذا المنطق أخذ يبحث في أسرار الحروف والعلوم الخفية، ووضع لأجل ذلك عددا كبيرا من المؤلفات فاقت (50 مؤلف)[7]، نذكر منها " فصول شمس المعارف الكبرى في

---

[1]إبن خلكان، المصدر السابق، ص 197

[2]الغبريني، المصدر السابق، ص 420

[3]عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية في ما بين القرنين التاسع والعشرون الميلادين (3هـ/14هـ)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م، ص 169

[4]هذا النوع من العلوم ليس في متناول أي كان لآنه يتطلب مهارة في العلوم الرياضة والتنجيم وغيرها، المرجع نفسه، ص 287

[5]عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية ،بيروت، لبنان، 2011م، ص 48

[6]إبن خلدون، شفاء السائل و تهذيب المسائل، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، 1996م، ص 53

[7] عمار هلال، المرجع السابق، ص 169

الخواص وأسرار الحروف[1] تحفة الأحباب ومنية الإيجاب في أسرار بسم الله وفاتحة الكتاب"، "شمس الأسرار وقمر الأنوار في السماء" " أسرار الحروف والكلمات"، " إظهار الرموز ونداء الكنوز" ، " بحر الوقوف في علم الأوقاف"[2]، وكتاب شمس المعارف ولطائف العوارف" وعلم الهدي وأسرار الإهتداء".[3]

ومن خلال هذه المؤلفات التي إنتشرت في المغرب والمشرق الاإسلامي[4] إن البوني كرس الجزء الأكبر من حياته في ميدان البحث عن أسرار الحروف، فأعتبر رائد العلوم الغيبية في المشرق والمغرب، إلا أن مبالغة البوني في الإعتناء بهذا العلم أوقعه في الإنحراف إلى علم السحر والطلسمات فإبن خلدون يعرف الطلسمات " بأنها علوم كيفية إستعدادات، تقتدر النفوس النسوية بها إلى التأثير في الإنسان والكائنات والجماد بمعين من مزاج الافلاك أو العناصر أو خواص الأعداد، أما السحر يطلع فيه السحرة على الغيبيات بقوي شيطانية دون الإستعانة بعناصر الكون.

وهناك علم السيماء وهو وثيق الصلة بالسحر وحاصله إحداث أنواع من الخيالات والمحاكاة، وصور في الجو لاوجود لها في الحس، ثم ينزلها إلى الحس من الرائين بقوة نفسه المؤثرة فيه فينظر الرؤون كأنها موجودة في حوادث الكون وسر الجمال ولطائف الجلال في الطلسمات"[5]، ففتح بذلك باب السحر والشعوذة على مصراعيه أمام المشغلين بالسحر والتعويذ، بل أن هذه المؤلفات أصبحت الاكثر شهرة، وإنتشارا من غيرها في المشرق والمغرب.

---

[1]حاجي خليفة، المصدر السابق، ج2، ص1270

[2] المصدر نفسه، ج2، ص 1060

[3] عادل نويهض، المرجع السابق، ص48

[4] إبن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 311

[5]حاجي خليفة، المصدر السابق، ج2، ص 896

يحي بن محمد التيجيبي التلمساني(ت 662هـ-1264م) : يحي بن محمد التيجيبي التلمساني ولد تلمسان و تعلم بها، رحل إلى المشرق حج و جاور و أخذ عن أبي الحسن بن البنا، تولي التدريس بالإسكندرية، قال الذهبي:" حج و جاور و سمع بمكة من أبي الحسن بن البناء، و سكن الإسكندرية ووعظ و صنف التفسير و الرقائق مات في تاسع شوال سنة إثنين وستين وستمائة"[1]

أبو زكريا السطايفي (ت 677هـ-1278م):

الشيخ الفقيه الولي الصالح، أبوزكريا بن محجوبة القرشي السطيفي، رحل إلى المشرق و لقي مشايخ و إقتصر على أبي الحسن الحرالي، و إستفاد منه علم الظاهر و الباطن، لقيه بالديار المصرية و صحبه هناك مدة طويلة [2]، ومن فضائله و زهده أنه عرض عليه في مدة الأمير أبي يحيي أن يجعل له مرتب في أعشار الديوان في كل شهر، فإمتنع عن ذلك وقال :" إن إسمي في ديوان الوجود المطلق، فلا أجعله في الديوان المقيد لأن الإطلاق أوسع من التقييد و هو في ديوان الحق فلا أجعله في ديوان الخلق"، وكان ممن تركا الدنيا، وكانت له كرامات مستجاب الدعوة و يقول عنه الشيخ الحرالي:" أصحابي ثمانية و عشرون، منهم أربعة تستجاب دعوتهم و عين من الأربعة الشيخ أبو زكريا السطايفي "و كان متقدما في علم التصوف و له مؤلفات جليلة منها تأليف حسن فيه هو شرحه لأسماء الله الحسني و له أشعار صوفية جليلة المعاني نذكر منها:

أتت و اللَّيْلُ مَمْدُودَ الجَنَاح   تَعوُدُ مَسْهدًا رَطْبَ الجراَح

فَقَاَلَتْ كيفَ انتَ وَ لاَ جَنَاح   فقُلْتُ العُودُ يَذْهبُ بالْجَنَاح

---

[1] جلال الدين السيوطي، طبقات المفسرين، المصدر السابق، ج1، ص 124

[2] الغبريني، المصدر السابق، ص103

فَوَا لَهَفي على الشَكْوَىَ لسَار وَ وَاَجزاعي للإعجَال الَصَباح[1]

محمد بن موسى بن النعمان التلمساني (ت683هـ-1284م)

هاجر إلى القاهرة وإستقر بالقرافة، يقول عنها المقريزي بأنها معظم مجتمعات أهل مصر، وأشهر منتزهاتهم يقيم بها الصوفية وفيها يدفنون، وقبورهم محل زيارة النساء والرجال على مختلف مستوياتهم الإجتماعية، بالقرافه جامع يعرف بجامع الأولياء إلى جانب طاحونة لها صوفي يديرها، ويرعي فيها متطلبات أبناء السبيل ويحمل على الضعفاء كلفة الطحين[2]، وقد إشتهر بن النعمان التلمساني بالزهد والعبادة من المتطلعين في المذهب المالكي، ولما توفي حضر جنازته خلق كثير مما يدل على منزلته في القاهرة.[3]

عمر بن عبد المحسن الوهجاني الصواف (ت690هـ-1291م)

توجه نحو الحجاز وتحديد مكة(سنة 660هـ-1261م)، ثم إستقر بالقاهرة التي إشتهر فيها بالزهد والاعتناء بالفتاوي، فكان إذا أفتى ترجح فتواه على فتوي غيره، ولعلوا شأنه في التصوف إعتقد فيه حكام المماليك وصاروا يتبركون به ويتسابقون لخدمته، غير أنه كان يتحاشاهم للعفة في نفسه.[4]

مصباح بن سعيد الصنهاجي القسنطيني (ت 748هـ-1347م):مصباح بن سعيد الصنهاجي القسنطيني أبو هادي و إسمه بالبادية "يسوافت" الصوفي الزاهد أحد إخوان إبن الملاري و خليفته من أقطاب التصوف بالشرق الجزائري مؤسس عدة زوايا بها[5].

---

(1) أبو القاسم الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص 592,

(2)المقريزي، الخطط، المصدر السابق، ج3، ص 275

(3)الحنبلي، المصدر السابق، ج5، ص 384

(4)الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص 221

(5) إبن فرحون، الديباج، المصدر السابق، ص345

أخذ عن أبي لقمان المراكشي، ثم إرتحل إلى المشرق و جاور بمكة المكرمة و المدينة المنورة، وعند عودته هم بالإقامة في طرابلس، ثم إنتقل إلى قسنطينة و تولي التدريس بها، ومما أشتهر به أنه كان يؤول المسائل العلمية إلى معني التصوف بالوجه المستحسن(1)

محمد بن محمد المقري الجد (ت759هـ-1358م):

محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحي بن عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي، أبو عبد الله التلمساني الشهير " بالمقري " وكان جده عبد الرحمن بن أبي بكر المقري صاحب الشيخ أبي مدين.

و هو أول من إستقر بتلمسان، و قد ألف إبن مرزوق الخطيب تأليفا عرف بالمقري الجد بعنوان " النور البدري في التعريف بالفقيه المقري"(2) .

إسهامـــات و رحـــلات أبو عبد الله المقري المشرقية

أ-رحلـــته إلى الحـج

لقد كانت رحلة المقري الثالثة بعد رحلته إلى بجاية و تونس و التي و أخذ الكثير منها ومن علماء إفريقية، ثم عاد إلى تلمسان و ما لبث أن غادرها إلى فاس و ثم عاد إلى تلمسان و منها إلى المشرق، حيث قام بأداء فريضة الحج سنة 744هـ-1343م بناء على قول المقري حيث أخبرنا أنه وصل إلى الحجاز و أدي مناسك الحج في هذه السنة فقال " شهدت الوقفة سنة أربع و أربعين و سبعمائة و كانت جمعة"(3).

---

(1) إبن الابار بن أبي بكر القضاعي، التكملة لكتاب الصلة، ج1، تحقيق:عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان، 1415هـ-1995م، 258

(2)عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر من البدايات إلى غاية الحرب العالمي الاولي "دراسة احصائية و تحليلية،" ط1، دار الجليل القاسمي للنشر و التوزيع، المسيلة، الجزائر، 2005م، ص368

(3) إبن خلدون ، التعريف، المصدر السابق، ص247

و من المرجح " أن يكون المقري قد حج حجة سابقة لحجه سنة 744هـ-1343م على قول ابن خلدون :" سألت صاحبنا قاضي الجماعة بفاس آبا عبد الله المقري مقدمه من الحج سنة أربعين"[1] .

كما يقدر الباحث عبد القادر زمامة إن رحلته هذه إستغرقت ثلاث سنوات [2]، وقد وفرت هده الرحلة لأبو عبد الله المقري لقاء كبار العلماء بمكة و المدينة، فكان ممن لقي بمكة المكرمة و أخد عنهم كثيرين، غير أنه ذكر إثنين فقط ، سمي أحدهما مالكيا و هو الفقيه " أبو عبد الله محمد المنوفي التوزري المعروف بخليل مفتي مكة و عالمها و خطيبها بالحرم الشريف.

كان من أئمة الدين المعروفين بالزهد و الورع و الصلاح، حيث أعجب المقري بسعة إطلاعه على أحكام مناسك الحج فقال :" ما رأيت أعلم المناسك منه " [3]، أما الثاني الذي أخد عنه و ذكره في رحلته " الامام أبو العباس بن رضي الدين " وقد سماه بالشافعي، وممن لقي بالمدينة المنورة " أبو محمد عبد الوهاب الجبرتي" الذي وصفه في رحلته " بأعجوبة الدنيا"[4]

ب- رحـــلته إلى مـــصر

كانت مصر الوجهة الأولي التي زارها الإمام المقري من بلاد المشرق أي قبل وصوله إلى البقاع المقدسة بالحجاز، وذلك لمكانة مصر و أهميتها العلمية في نفوس المغاربة ما تتوفر

---

[1] ابن خلدون، التعريف، المصدر السابق، ص280

[2] عبد القادر زمامة ، **المقري الجد** ، مجلة المجمع العربي، مج46، دمشق، 1971م، ص99

[3] أحمد المقري، أزهار الرياض، المصدر السابق، ج5 ، ص 75

[4] إبن قنفد، المصدر السابق، ص358 وينظر: إبن تغري بردي، النجوم الزاهرة، المصدر السابق، ج10، ص333

عليه من مدارس ومساجد، الخانقاوات و الزوايا، أو لنسخ الكتب و المؤلفات ذات الصيت الذائع في العالم الإسلامي[1].

ومما حفز العلماء و الطلبة التوجه إلى مصر وجود دار المغاربة بالإسكندرية التي كانت عبارة عن جامعة إسلامية، فقد كانت شاملة لجميع المذاهب السنية و جميع فروع العلم المختلفة, وفي ذلك يقول إبن خلدون:" ولا أوفر اليوم في الحضارة من مصر، فهي أم العالم و إيوان الإسلام و ينبوع العلم و الصنائع"[2].

و قد زارها أبو عبد الله المقري سنة 745هـ-1344م حيث يقول :" و قد تركت سنة خمس و أربعين بمصر رجلا يسمي عثمان معه تسعون حديثا يزعم أنه سمعها من المشاييخ و قد أخدت عنه و كتبت منه "[3]، وأعجب بالقاهرة و إعتز بمظاهر التدين فيها حيث قال عنها لإبن خلدون لما سأله عنها :" من لم يرها لم يعرف عز الإسلام"[4]، و هناك إعتكف للدراسة و إتصل بعلمائها المشهورين و منهم أثير الدين أبو الحيان الغرناطي، شمس الدين محمود الأصبهاني، وتاج الدين علي التبريزي[5].

ج-رحلاته إلى الشام

قصد المقري بلاد الشام و إجتمع ببعض علمائها و أخذ عن إبن القيم الجوزية، العلامة الكبير المجتهد المفسر النحوي الأصولي، وقد حضر الإمام المقري مجالسه العلمية و إستفاد

---

[1] عبد العزيز الفيلالي، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق ، ج2، ص329

[2] إبن خلدون، التعريف، المصدر السابق، ص246

[3] أحمد المقري، المصدر السابق، ج5، ص240

[4] إبن خلدون، التعريف، المصدر السابق، ص247

[5] السيوطي، بغية الوعاة ، المصدر السابق ، ج2 ، ص121 ينظر : الكتاني، فهرس الفهارس، ج3، ط2، تحقيق: عباس إحسان، ,دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م، ص264

منها ما تعلق بتأويل الحديث، وإستفاد بدمشق من العلامة صدر الدين الغماري المالكي و الشيخ أبي القاسم محمد بن السلماني الشافعي.

قصد بيت المقدس بفلسطين و زار من خلالها مزارات الأنبياء و الرسل و المسجد الأقصى، فإلتقي بالعالم أبي عبد الله بن مثبت و القاضي شمس الدين بن سالم و الفقيه آبا عبد الله بن عثمان [1]

نستنتج من خلال هذه الرحلة التي قام بها أبو عبدالله المقري إلى الحواضر الإسلامية المشرقية، أنه إستفاد من علوم مختلفة عن أعلام مذاهب متنوعة دون الغقتصار على من شاركوه المذهب الفقهي.

و كما حرص من خلال الرحلة على لقاء الصالحين و ذوي النزعة الصوفية و إحتك بألمع أصحاب إبن تيمية، فكانت هذه الرحلة مصدر تكوين علمي للمقري مكنته و أهلته لتولي عدة مناصب بحواضر المغرب الإسلامي، و كذا المساهمة في نشر الحركة العلمية بالمشرق و المغرب الإسلامي.

-**محمد بن عمر الهواى** (ت843م -1439م) :عالم وهران و عاملها و قطب الأولياء والزهاد والاتقياء، هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن عمر بن عثمان الهواري[2] ينسب إلى قبيلة هوارة[3]، ولد بهوارة شرق مدينة مستغانم سنة 751هـ-1350م تربي بين أهله و عشيرته وحفظ القرآن، وإتجه إلى بجاية (سنة 767هـ-1366م) التي

---

(1) أحمد المقري، المصدر السابق، ص216

(2) السخاوي، الضوء اللامع، المصدر السابق، ج8، ص 272 ينظر : التنبكتي ، نيل الإبتهاج، المصدر السابق، ص 516

(3) هوارة :قبيلة من بطون البرانس تنتسب إلى هوار بن أوريغ بن برنس، وبطون هوارة كثيرة كانت مواطنهم في منطقة طرابلس برقة و منهم من سكن في اقصي الصحراء، إبن خلدون، العبر، المصدر السابق ، ج5، ص 282

إشتهرت بعلمائها و نشاطها العقلي و العلمي و كان كثير الثناء على أهلها لمحبتهم للغرباء فأخذ عن أحمد بن غدريس البجائي و عبد الرحمن الوغليسي[1]

إنتقل إلى فاس ودرس بها على يد علماء أجلاء كالقباب[2]، و العبدوسي و حفظ المدونة في فقه المالكية بها (سنة776هـ-1366م)، ثم إنتقل إلى المشرق و أخذ من مصر عن الحافظ العراقي، و أقام بالأزهر الشريف مدة و أسهم في الإقراء و القراءة.

ثم إنتقل إلى الحجاز فجاور بالحرمين الشرفين مدة من الزمن و في مكة المكرمة أقام برباط الفتح، ثم سافر إلى بت المقدس و جال بأرض الشام و مكث بالجامع الأموي مدرسا.

له عدة مؤلفات منها كتاب " السهو"، ثم عاد إلى وهران و أسس بها زاوية يدرس فيها مختلف العلوم الدينية و يلقي المحاضرات في الوعظ و الإرشاد و يدعو الناس إلى التوبة و العمل الصالح، و الزهد في ملذات الدنيا، و إنتفع منه خلق كثير منهم إبراهيم التازي و الشيخ أبركان المزيلي و الطاهر بن محمد المغراوي توفي (عام843هـ-1439م)[3]

-محمد بن محمد الزواوي (ت 882-1472م):

محمد بن محمد بن علي بن عبد الله الفراوسني الزواوي البجائي الدار[4]، ولد ببجاية وأخذ العلم عن الفقيه عبد الرحمن بن أحمد الأحمدي الزواوي، وعن الفقيه الصالح أحمد بن عرير الزواوي، والقاضي أبي القاسم بن الغرناطي الشيخ بن مرزوق وغيرهم .

---

(1) عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق ، ص348

(2) القباب: أبو العباس أحمد بن قاسم الجدامي الفاسي، فقيه مالكي تولي القضاء بفاس ثم إعتزل و عكف على التدريس بالجامع الأعظم بفاس، توفي سنة 778هـ له شرح قواعد عياض، لب الألباب في مناظرات القباب، محمد بن جعفر بن ادريس الكتاني، سلوة الأنفاس و محادثة الأكياس بمن اقبر من العلماء و الصلحاء بفاس، ج3، طبعة حجرية ، فاس ، المغرب ، ص244

(3)التنبكتي ، نيل الإبتهاج ، المصدر السابق، ص 517

(4) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص94

وأخذ التصوف عن الإمام الولي خطيب بجاية أبي العباس أحمد بن إبراهيم المنجلاتي الزواوي الذي لقنه الذكر وألبسه الخرقة، وعن الولي الصالح أبي عبد الله محمد بن يحي اليجري خطيب بجاية، عاش بقسنطينة ودرس بمدرسة ابن قنفد ،كما عاش بتلمسان فترة ثم توجه للمشرق ، ودخل مصر وعاش بالأزهر الشريف مدة طويلة.

أدى فريضة الحج وأخذ عن الولي المحدث شرف الدين بن أبي الفتوح المراعي المدني، ألف كتابه" السر المصون" ، دافع فيه عن علم التصوف وأبرز أهميته ولقي الكتاب صدى طيبا عند فقهاء تونس وطرابلس، وله كتاب آخر تحفة الناظر ونزهة المناظر بأحد مريديه الأندلسيين ، وتضمن مرائيه للرسول(صلى، الله عليه وسلم) ، عرف شهره كبيره وله كتاب الأسلوب الغربب في التعلق بالحبيب والذي تضمن قضايا صوفية مثل : الطريقة والسند، الشيخ ، الحرقة ، وما إليها من مسائل التصوف، كما قام بشرح الحكم العطاية، توفي سنة 882هـ-1478م[1]

-**أبو اسحاق إبراهيم الزواوي** (ن691هـ/1292م) إنتقل من قبيلة زواوة بنواحي بجاية إلى مصر، وصحب الصوفي الذائع الصيت أبي الحسن الشاذلي، ويبدو أن وفاة شيخه الشاذلي سنة (ت656هـ1260ام) جعلته يهاجر إلى الشام، وكرس حياته لتدريس الطلبة، بحيث تخرج على يديه ألفين من الطلبة الذكورنحو ثلاثمائة من البنات، ولما توفي دفن بجبل لبنان[2].

-**محمد بن أحمد بن إبراهيم التلمساني** (ت700هـ- 1301م) هاجر إلى مصر، وإستقر في القاهرة محتاك بصوفتيها، حيث لبس خرقة التصوف عن بهاء الدين الجميزي، وعمل

(1) عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص 363

(2)يوسف بن يحيى التادلي، التشوف إلى رجال التصوف و أخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: أحمد التوفيق، منشورات كلية الأدب، الرباط، 1997م، ص125 هو غير الصوفي أبي إسحاق ابراهيم بن ميمون الزواوي (ت866هـ/ 1287م)، الغبريني، المصدر السابق، ص182

على تدريس وإجازة الطلبة، خاصة المغاربة والأندلسيين في القاهرة[1].

-أبو محمد عبد الله بن موسى الزواوي (ت734هـ-1334م) : دخل القاهرة خلال النصف الثاني من القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي، ليكمل دراسته في الحديث عن كبار شيوخها، ثم إنتقل إلى مكة أقام مجاورا الحرم الشريف متعبدا، شغوفا بالإستزادة من رواة الحديث [2]وقراء القرآن، ثم تحول إلى مقرئ للقرآن، وراويا للحديث، إشتهر بالزهد في الدنيا والتعفف إلى أن أدركته الوفاة بمكة[3].

-أبو الحسن علي بن فرغوش التلمساني:

عاش ما بين القرنين السابع والثامن الهجريين- الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، أخذ التصوف في تلمسان عن أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن مرزوق (ت681هـ-1282م)، وكان من خواص أصحابه، جال في أقطار العالم الإسلامي، حيث زار الأندلس والمغرب ومصر و الحجاز و العراق و اليمن.

و إحتك مختلف تياراتها الفكرية، ثم إستقر في مكة مجاورا الكعبة برباط الخوري مدة ثلاثين سنة، إشتهر بنفس طريقة شيخه إبن مرزوق في التصوف، أي التجرد والصدقة، فكان لا يمسك شيئا عن أهل رباطه، وكان لأهل مكة فيه إعتقاد يشفي مرضاهم، ويدعوا لصغارهم، ولما توفي أصبح رباط الخوري يعرف باسمه، أي رباط فرغوش[4].

ويعد إبن فرغوش نموذجا لصوفية أخرين من تلمسان وبجاية وقبيلة زواوي، كانوا يقيمون

---

[1] عادل نويهض، المرجع السابق، ص 76

[2] أخذ في القاهرة عن تقي الدين دقيق العيد، وتقي الدين عبيد الأسعودي، ومؤنسة بنت خاتون بنت العادل، وفي مكة صحيح مسلم عن عماد الدين عبد الرحمن بن محمد الطبري، والموطأ والقراءات في القرآن عن عفيف الدلاصي، تقي الدين الفاسي، المصدر السابق، ج5، ص 290

[3] نفسه، ج5، ص29

[4]وصف المقري آبا الحسن بن فرغوش التلمساني بشيخ المجاورين بمكة، المقري، المصدر السابق، ج2، ص 200.

بربط مكة خاصة، في رباط موفق، ورباط الخوري ورباط ربيع[1].

والملفت للإنتباه هو أن أغلب صوفية المغرب الأوسط إستقر بهم المقام إما في الحجاز، أو في حواضر مصر و الشام، وقل تواجدهم في البلدان المشرق الإسلامي الآخرى كالعراق و اليمن وغيرها، ربما لرغبته في جوار مقام إبراهيم " عليه الصلاة و السلام" بالكعبة الشريفة، أو التردد الأداء فريضة الحج أو العمرة، خاصة في شهر رمضان، لأن الرسول صلي الله عليه و سلم يقول: عمرة في رمضان تعدل حجة" وفي رواية أخرى - حجة معي[2]، لذا كانوا يتوفدون على ربط مكة ويقيمون فيها، إن الحجاز يعد بالنسبة لهم منتهى رحلتهم إلى المشرق [3].

بينما كثر توافدهم على حواضر مصر و الشام إلى جاذبية السياسة، التي سلكها الأيوبيون والمماليك خلال القرنين السادس و السابع الهجريين إزاء العلماء و الفقهاء و الصوفية المغاربة و الأندلسيين، وبإعتلاء الأمير نور الدين محمود سدة الحكم فقد سلك سياسة الإهتمام بالغرباء، وبالأخص المغاربة وفئة المتصوفة، حيت أسقط عنهم في الشام المكوس في الطرق المؤدية إلى الحجاز، و أعد لهم زاوية عرفت بالزاوية المالكية بالمسجد الأموي، وجعل لها أوقافا كثيرة، قدرت مداخيلها بخمسة مئة دينار في العام[4]، فعزز صلاح الدين الأيوبي هذه السياسة فقال إبن جبير"بأنه رفع المكوس نهائيا عن الحجيج" [5] ، ولهذا الغرض مدح صلاح الدين الأيوبي في قوله :

---

[1]تقي الدين الفاسي، المصدر السابق، ج5، ص 200

[2]السلمي الترمذي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، مج2، مراجعة، أحمد محمد شاكر و أخرون، دار احياء التراث العربي، بيروت،(د.ت) ، ص116.

[3]عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق،ج2، ص 302

[4]تمثلت هذه الأوقاف في : طاحونتين،وفدان وأرض بيضاء، وحمام ، ودكانين بالعطاريين، إبن جبير، المصدر السابق، ص199

[5] إبن جبير ، المصدر السابق، ص 46

رَفَعَتْ مغارم مَكْسَ الحُجَّازِ بِإِنْعَامِكَ الشَّامِلِ الْعَامِرِ
وَأَمَّنَتْ أَكْنَافٍ تِلْكَ الْبِلَاد فَهَانَ السَّبِيلُ عَلَى الْعَابِرِ
فَكَمْ لَكَ بِالشَّرْقِ مِنْ حَامِدٍ و كَمْ لَكَ بِالْغَرْبِ مِنْ شَاكِرِ

رخص للوافدين إلى الإسكندرية بغرض التعبد في خوافقها، أو [1] قضاء الحاجة أو المتمدرس بمحل الإقامة، مدرس يعلمهم نوع الفن الذين يريدونه، وحمامات يستحمون فيها، ومارستان للعلاج مع منح خبزتين في اليوم لكل مغربي، بعض النظر لحالته المادية[2] وبلغ إهتمامه بالصوفية لحد السماح لهم بحضور مجالسه[3] .

و تأثر المجتمع بهذه السياسة واضح حيث يسارع لإكرام الضيف وتعظيم الحجيج وقد إستمر الأيوبيون في هذه السياسة بعد وفاة صلاح الدين[4]، ومن بعدهم المماليك في كل بلاد المشرق الاسلامي[5].

ب- تطور المذهب المالكي ببلاد المغرب الاسلامي خلال القرون7-8-9هـ

أعتبرت المدينة المنورة المدينة الممتازة في العلوم الدينية ، و يكفي أن نشير إلى عالم دار الهجرة بها الإمام مالك بن أنس ابن أبي عامر بن عمرو بن غيمان بن عمرو بن حارث ت 179هـ-795م ووالده أنس الذي كان من رواة الحديث [6] .

---

[1]المقري، أزهار الرياض، المصدر السابق، ج2، ص 383.
[2]إبن جير، المصدر السابق، ص 46.
[3]إبن الاثير، المصدر السابق، ج12، ص97
[4]إبن جبير، المصدر السابق، ص 194.
[5] أبو الفضائل الحموي، التاريخ المنصوري "تلخيص الكشف و البيان في حوادث الزمان" ، تحقيق: أبو العيد دودو، مراجعة ، عدنان درويش، مطبعة الحجاز، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق، 1981م ، ص 90.
[6] المقري، المصدر السابق , ج1, ص 104

ظهرت بفضله مدرسة مستقلة من بين المدارس الفقهية الاجتهادية و قد ظلت بعد وفاته مصدر إشعاع , وكانت الرحلة سببا رئيسيا في دخول المذهب المالكي إلى الغرب الإسلامي وقد عدد القري اسماء بعض الفقهاء المغاربة الدين كان لهم الدور الكبير في ذلك أبرزهم الفقيه زياد عبد الرحمان الملقب "شبطون "و الفقيه يحي بن يحي الليثي الملقب " عاقل الأندلس "[1]

ويعتبر المؤرخ عبد المجيد التركي أن سنة 180هـ-796م هو التاريخ المرجح لدخول المذهب المالكي إلى المغرب الإسلامي و إنتشاره التدريجي [2] ,نجح المذهب المالكي في الثبات و الإستمرارية رغم ما شهده من تضيق خلال القرن 6هـ-12م .

و ذلك أن إنتكاسة المذهب التومرتي طالت الأصول و الفروع معا خلال العهد الثاني للدولة الموحدية(595هـ-688هـ/1198م-1288م), فلم تسجل لنا المصادر التاريخية خلال هذه الفترة ذلك الحماس للمذهب الظاهري" و لم نجد من أتباعه خلال القرن السابع الهجري إلا عددا قليلا, مثل اثير الدين أبي حيان النحوي , وأحمد بن صابر القيسي كان شاعرا و كاتبا للأمير أبي سعيد فرج بن محمد نصر أول سلاطين بني الاحمر... ولم يبق له أثر إلا في بطون الكتب "[3]

و على العكس من ذلك ففي العهد الثاني لدولة الموحدين شهد المذهب المالكي إحياء للإسهامات المتعددة لعلمائه من خلال إزدهار المناظرات المالكية مع بقية التيارات الفكرية الأخرى فكانت وسيلة من وسائل إثبات الذات و دحض الرأى الأخر بالحجة و

---

[1] المصدر نفسه ,ج2, ص 217

[2] عبد المجيد التركي , مناظرات في أصول الشريعة الاسلامية بين إبن حزم و الباجي , دار الغرب الإسلامي, بيروت، (د .ت), ص 56

[3] أحمد بكير محمود ,المدرسة الظاهرية بالمشرق و المغرب ,ط1,دار قتيبة للطباعة و النشر و التوزيع,بيروت,لبنان ,دمشق، سوريا,1990م, ص ص 66-67

محاولة إضعافه فكريا، جاءت الإسهامات مرة اخرى من خلال عمليات التصدي لكل ما يمثل بدعة، وقد برز ذلك من خلال مواقف فقهاء المالكية الرافضة للبدع أمثال إبن البر (ت 737هـ-1336م) أحد تلاميذ المازري (ت 536هـ-1141م) .

و كان لإنتقال الفقهاء المالكية بين العواصم المغربية للتدريس فاس و تلمسان و تونس، در كبير في إنتتقال التيار المالكي، و ذكر إبن خلدون عن تنقلات الفقهين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي التلمساني (ت 757هـ-1356م) ، و الفقيه محمد بن عبد السلام الهواري (ت 749هـ-1348م) و مدى إسهامهما في ترسيخ و المحافظة على المذهب المالكي[1].

و الملاحظ أن التطور الإيجابي الذي حصل للمذهب المالكي كان من خلال تطور المدرسة المغربية و جلبها للطلبة و إيوائهم و ظهور مدرسي الفقه المالكي أمثال عبد الستار المريني ، ومحمد عبد السلام الهواري و محمد بن عرفة الو رغمي [2]

ج- علماء المغرب الأوسط وظاهرة الإنتقال المذهبي

تتيح لنا بعض المصادر التاريخية أن عددا من الأعلام وقع لهم الإنتقال المذهبي بعد تشكل المذاهب الفقهية، ففي القرن 3هـ-9م إنتقل محمد بن عبد الله بن عبد الحكم (ت268هـ/881م)[3]، كان مالكيا بمصر ولما دخلها الشافعي، إنتقل إلى المذهب

---

(1) إبن خلدون ، الرحلة ، المصدر السابق ، ص ص 36-37

(2) Brunschvicg robert, la berbère orientale sous les hafsides des origines a la fin du XVème siècle, Adrien, Maisonneuve, paris, t1, 1947, p282

(3) إبن فرحون، الديباج، المصدر السابق، ص 300

الشافعي، تم عاد لمذهب الإمام مالك، كما لم يحصل له إستخلاف الشافعي[1]، كما إنتقل الحنائي (ت750هـ/1348م) من الشافعية نحو المالكية[2]، وإنتقل الخطيب البغدادي (ت496هـ/1103م)[3] من المذهب الحنبلي وصار شافعيا، كما تحول إبن دقيق العيد من المالكية إلى الشافعية[4] .

كما نجد الفقيه العالم أبو الطيب التونسي المالكي قد تحول إلى المذهب الشافعي[5]، وإبن جنان الشاطبي الذي كان مالكيا فأصبح حنفي[6].

والفقيه إمام البادرائية: "إبراهيم بن عيسى المرادي المالكي تم الشافعي[7] ، ولقد برز ذلك من خلال تراجمهم وهذه الظاهرة تدعو إلى التساؤل حيث أن المالكية كانت قد تجذرت ببلاد المغرب والأندلس في تلك الفترة وقد عرف عن المغاربة بتشددهم وتمسكهم بتعاليم المذهب المالكي.

ومن هذه المواقف ما ذكره المقدسي عن الأندلسيين بأنهم" لا يعرفون إلا كتاب الله وموطأ مالك"[8]، وقال أيضا " رأيت أهل المغرب يبغضون الشافعي فقالوا " أخذ العلم

---

[1]السيوطي، جزيل المواهب في إختلاف المذاهب، تحقيق:عبدالقيوم محمد البستوي، دار الإعتصام، 1992م، ص54

[2] التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ص 60

[3]هو أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد المعروف، بالخطيب البغدادي، أحد أبرز الحفاظ وصاحب التصانيف الشهيرة منها تاريخ بغداد، عماد الحنبلي، المصدر السابق، ج5، ص 263

[4]ذكره العبدري في الرحلة كان مالكيا على رأي أبيه، ثم إنتقل إلى الشافعية، إبن جبير، المصدر السابق، ص 300

[5]إبن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، المصدر السابق، ج2، ص 232

[6] الصفدي، الوافي، المصدر السابق، ج1، ص175

[7]المصدر نفسه، ج6، ص 78

[8]المقدسي محمد بن احمد، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، دار السويدي للنشر والتوزيع ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، أبوظبي ، بيروت، 2003م، ص 219

عن مالك ثم خالفه"[1] وبذكر ابن خلدون أيضا الرقابة المسلطة من قبل علماء المذهب المالكي على البقية وكانت العلوم تدرس تحت رقابتهم.[2]

غير أنه من قبيل إستعراض سير هؤلاء العلماء وتتبع أخبارهم فإنه كان لبعض الأعلام المغاربة، نصيبهم من هذا الإنتقال، وكان لهم ما كان للمشارقة من الظاهرة، فعندما غادروا نحو المشرق وإستقروا به أصابهم الإنتقال ومنهم **بعض من علماء المغرب الأوسط**

فحالة **يحي إبن معط الزواوي** (ت 628هـ/1233م) الذي تكون في حاضرة بجاية[3] على المذهب المالكي، برعاية أستاذه الجزولي أبي موس، ومع وصوله لمصر تحول عنه نحو الشافعية، ولم يلبث طويلا على هذا المذهب، ليحصل له التحول الثالث، وهذه المرة نحو المذهب الحنفي، وغادر مصر ومذهبها وأقام بالشام، حيث سكن دمشق، أين تولى إمامة المشيخة العلمية بجامعها[4].

قد يرتبط التحول المذهبي، أيضا بحالة العوز و الفاقة لفئة العلماء، خاصة مؤسسات الدينية المتكفلة بهذه الفئة محسوبية الواقفين بشرط الإنتساب المذهبي الذي يقصي عادة المالكية.

ويسهل الأمر على المنتسبين لباقي المذاهب السنية الثلاث(الشافعي، الحنبلي، الحنفي)، وللإنتساب التحقق و التضلع بقواعد المذهب والتحقق من أصوله وفروعه، فكثرة الفقراء و العوز عادة لا تلبي حاجاتهم، فكان هذا عاملا للإنتقال المذهبي، تفاديا لبقائهم

---

[1] المقدسي، المصدر السابق، ص 133

[2] إبن خلدون ، المقدمة، المصدر السابق، ص 493

[3]بريكة مسعود، النخبة والسلطة في بجاية الحفصية (7-9هـ/13/15)، دار ميم للنشر، الجزائر، 2014م، ص160

[4]السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر السابق، ج1، ص437.

في المعاناة، وهو في نظر البعض إختيار موفق[1]، فيما يفضل هذا الزواوي الوظيفة بدل البقاء على المذهب المالكي في دمشق، لما وجد رعاية من الملك الكامل هناك، ويجد نفسه كذلك يغادر دمشق ويدخل القاهرة، بطلب من الملك الكامل لإكمال رسالته حيث إنتصب للتدريس بالجامع العتيق و يدخل مصر بمذهب ثالث، والناس على دين ملوكها.

إن تجربة الانتقال المذهبي، لا تتوقف عند يحي بن معطي، بل تعدت إلى زواوي أخر، وهو محمد بن إبراهيم بن يحي بن منصور بن يحي بين عيس الزواوي(683هـ-1248م)، الذي أقام بمصر، وتحول أيضا من المالكية نحو الشافعية،فأل إليه تولي منصب الإمامة بالمدرسة اليازجوكية[2]، فأضحى مفتيا ومدرسا على المذهب الحنفي، ووجد بمصر منصبا عاليا توفر له الراحة، والإطمئنان وعملية الإنتقال أيضا ترتبط بالمكسب الدنيوي.

وعلى النقيض من ذلك فإن بعض الزواويين تحصن بالفقه المالكي، وثبت على المذهب المالكي، كحال شرف الدين الزواوي[3]، الذي بالغ في ماليكيته وسخر قواه، لتقوية المذهب بدون إكراه، مما مكنته من حفظ مسائل المذهب وقضاياه، ورحل نحو الشام، مالكيا كما عرفنا، وغادرها نحو مصر مالكيا[4]، فالمسألة قد تبدو شخصية أكثر مما يتوقع.

بقي في الأخير محاولة التعرف عن **القسنطيني وهو أحمد بن محمد القسنطيني** (ت 872هـ/1467م)، تقي الدين أبو العباس، يعرف بالشامي ، وهو من مشاهير المغاربة الذين إحتضنتهم مصر، وقدم لها من جهده وفكره مساهمة كبيرة علما بأنه من

---

[1]فهي تكتيكا وإستراتيجية، ومناورة، بم حازوا الدنيا وحفظوا للأخرة ، إن لم تعرضوا له بالنقصان والزياد، في حين رحب بالتحول المذهبي و أعتبر إختيارا موفق ، علي أحمد، الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام، المرجع السابق، ص30ينظر: مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص463

[2]المقريزي، الخطط، المصدر السابق، ج5، ص62

[3]المقري، المصدر السابق، ج3، ص278-282 ينظر:إبن عماد الحنبلي، المصدر السابق، ج6، ص46

[4] مسعود بريكة، المرجع السابق، ص145

مواليد مدينة الإسكندرية، سكنى أهله بها، وإرتحل إلى القاهرة، وسكنها حيث أبدع في علوم النحو والعربية وكان شيخا للنحاة[1]، وقد تكون أحد العوامل التي حددت مساره المذهبي لاحقا، بتحوله من المذهب المالكي، نحو الحنفية في(834هـ/1431م)، و إمتزاجه بالوسط الشعبي بالقاهرة مولدا ونشأة، وإشتغاله في التأليف والتدريس، وتحول للحنفية تكاد تكون مشابهة، لسلفه وأستاذه في النحو أبو حامد الغرناطي.

وقد ترتبط عملية تغيير المذهب بعلاقة العلماء المغاربة بشيوخهم حيث كان للشيوخ دور في التأثير على طلبتهم وترغيبهم في تغيير المذهب، ومن هؤلاء الفقيه محمد بن سعيد بن الجنان الشاطبي (ت675هـ-1276م)، الذي ترك المذهب المالكي وإعتنق مذهب أبي حنيفة تأثر بشيخه[2].

الفقيه أحمد بن فرح الذي تحول إلى المذهب الشافعي بتشجيع من رفيقه وشيخه شهاب الدين أبا العباس السلمي المغربي[3]، هذا لا يعني أن من بقي على المذهب المالكي كان قد عاش حياة مغمورة فقد تقلد البعض منهم مناصب هامة فعلماء المغرب الأوسط عامة حافظوا على ولائهم لمذهب المالكي، خاصة عائلة زواوة فأنجبت قضاة للمالكية مثل الفقيه إبن سومر الزواوي (630هـ/717م)، والفقيه سرف الدين الزواوي (664هـ/744م) والفقيه زين الدين أبو محمد الزواوي (681هـ/761م)، عموما تربط عملية الإنتقال المذهبي بعوامل إجتماعية وإقتصادية وسياسية للتذكير هذه الظاهرة جديرة بالدراسة والبحث وهي نسخة للنخبة العالمية في إطار المرجعية السنية الكبرى

---

(1)إبن القاضي المكناسي، المصدر السابقن ص50 ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، المصدر السابق، ج9، ص203.

(2)إبن كثير، المصدر السابق، ج13، ص 325

(3)الصفدي، المصدر السابق، ج1، ص 175

الفصل الرابع:

إسهامات علماء المغرب الأوسط في الحياة العلمية ببلاد المشرق الإسلامي خلال القرون

7-8-9هـ/13-14-15م

أولا : إســهامــاتهم في العـلوم النقليـــة

هي العلوم التي ترتبط بمعرفة المسلم لكل ما يتعلق بدينه، وتقربه من ربه على إختلافها، يتهيأ له الإلمام باللغة العربية الضامنة لتطوره، ويرد إرتباط ذلك بتفعيل الحركة العلمية في أمصار الدول الإسلامية .

كان للمغاربة بالبلاد المشرقية حظوة ملأها الغحترام وزينها بما قدم من إضافات تثري أو تفوق الساحة العلمية فكانوا محل تبجيل وتقبل شعبي ورسمي، مكنتهم من تحقيق مبتغاهم.

1 –إسهاماتهم في علم القــراءات

ترتبط علوم القرآن أساسا بالكتاب المنزل على العرب، حيث تعتني بطريقة إلقاءه وتضبط كيفية نطق حروفه، فسُمي ذلك بعلم القراءات، كما سُميت قراءة القرآن وإلقاءه بعلم الإقراء، وقد إختلفت القراءات بين المقرئين مما أدى إلى وجود سبع طرق سميت بالقراءات السبع[1] .

أصبحت مع الوقت متداولة بين الأمصار، كما وضعت حولها عديد المؤلفات فأصبحت علما مفردا وصناعة مخصوصة[2]، ومثل العديد من الشيوخ، تصدر البعض من المغاربة لإقراء القرآن أو تفسيره سواء بمصر أو بالشام.

وحسب إبن خلدون ، فقد كانت علوم القرآن صناعة مزدهرة بالقاهرة وقد كان للأندلسي القاسم بن فيرة الشاطبي المتوفى بمصر سنة 590هـ/1193م، دورا كبيرا في تبلور هذا العلم

---

[1] إبن خلدون، المقدمة ، المصدر السابق،ص346.

[2]المصدر نفسه، ص346

وإنتقاله الى الشام عن طريق تلاميذه ،كان أبرزهم علم الدين أبو الحسن علي السّخاوي (558هـ-643هـ/1163-1245م) [1]

وذلك من خلال قصيدته في القراءات التي ألّفها عقب وصوله القاهرة وسماها "حرز الأماني ووجه التهاني " أصبحت تسمى لاحقا **بالشّاطبية** [2]، إحتوت على 1173بيتا وصفها إبن العماد الحنبلي المتوفى(سنة 1089هـ-1678م) بأنها عمدة قرّاء زمانه [3]، وقد مثّل هذا المؤلف "ثورة "في علم القراءات حيث ساهم في إضفاء التجديد في هذا الميدان وأصبح أساس كل تأليف سيأتي في السنوات اللاحقة ، وقد عُني الكثيرون بشرحه وإختصاره[4]، مما يؤكد قيمته كما أن صاحبه ذو الأصول المغربية كان قد نجح في إدراجه ضمن برامج التعليم، لاسيما وأنه كان يحظى بمكانة هامة لدى السلطان صلاح الدين الأيوبي[5]، وقد ذكر ابن خلدون (ت808هـ-1405م) في حديثه عن تكوينه أنه عرض ببلاد المغرب قصيدتي القاسم بن فيرة و هما الشاطبية في القراءات والعقلية في الرسم على شيخه أبو عبد الله محمد بن سعد بن برال حتى يُجيزه الإجازة العامة[6]، وهو ما يدل على أن الشاطبية بقيت تُدرس في البلاد الإسلامية حتى القرون اللاحقة .

[1]Pouzet (louis), maghrebins a damas au vii eme –xiii eme siecle,in bullten d!etudes orientales , damacus: paris ,1975,p.176-177.

[2] أنظر الملحق رقم 12، ص340

[3] الحنبلي إبن العماد، المصدر السابق، ج4، ص302.

[4] نذكر منهم على سبيل المثال :السخاوي ، ت.643هـ/1245م) ، الحمداني (ت.643هـ/1245م) ، اللّورقي (ت.661هـ/1263م) ، أبو عبد الله الفاسي (ت.656هـ/1258م) ، إبن خلدون ، العبر، المصدر السابق، ج5، ص265

[5]Pouzet (louis), damas…op.cit, p,176-177.

[6] إبن خلدون، الرحلة، المصدرالسابق، ص310

أ – المقرئون من علماء المغرب الأوسط في بلاد الشام :

من أبرز مدرسي علم القراءات الفقيه القاضي عبد السلام بن علي بن عمر بن سيد الناس الزواوي (681هـ-1282م)، المقرئ المالكي وشيخ القراء بالشام[1] الذي تولى مشيخة الإقراء بتربة أم صالح لمدة 22 سنة، وكان وصوله إلى مصر سنة 615هـ-1218م إنتقل بعدها إلى دمشق حيث ولي عديد الوظائف منها القضاء وتعكس تولي هذا العالم الفقيه مشيخة الإقراء مدة طويلة مدى ضلوعه في هذا الميدان وكفاءته العمية وقد ساعدته هذه الفترة الطويلة من توليه المشيخة على أسلوبه العلمي وزرعه في تلاميذه و قد تخرج عليه عدد كبير[2]، وبقي عبد السلام بن علي بن عمر بن سيد الناس الزواوي مدة إثنان وعشرون سنة يتردد بين المسجد الأموي و المدرسة الصالحية يُقرأ الناس شتى فنون المعرفة العلمية[3] .

وقد أشادت كتب التراجم والطبقات بدوره في إزدهار هذا الحقل الديني، وقد أبدي هذا القول الإمام "الذهبي " كان شيخ الاقراء في زمانه وشيخ المالكية ومفتيهم، إماما زاهدا ورعا كبير القدر قبيل المثل[4]، وكانت إسهاماته وجهوده في ميدان القراءات خير دليل على قدراته العلمية الفائقة فله كتاب :" عدد الآي والتنبيهات على معرفة ما يخفى من الوقوفات "[5] وكتاب " الوقف والابتداء بحمد الله وحده وصلي الله على من لا نبي بعده "[6].

---

[1] السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، ج8، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناجي ، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، 1964م، ص67.
[2] الصفدي ، المصدر السابق، ج4، ص413
[3] مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص 493
[4] الذهبي، معرفة القراء، المصدر السابق،ص676.
[5] المصدر نفسه ، ص676.
[6] اليونيني، مرآة الزمان،المصدر السابق،ج4 ، ص172.

ومن كبار المقرئين في بلاد **الشام عبد الله البسكري** (ت829هـ-1425م) من فضلاء الفقهاء ولد ببسكرة وفيها نشأ وتعلم، ثم رحل غلى المشرق ونزل ببيت المقدس بفلسطين، قال عنه السخاوي :"كان شيخ دار القرآن في المدرسة السلامية كان يقرأ القرآن فيها على قاعدة ابراهيم الأموي الصوفي فانتفع به خلق كثيرة كان يعرف القراءات[1].

ونجد علماً آخر برز في ميدان القراءات **أبي بكر محمد الزواوي** (ت718هـ-1317م) رحل إلى المشرق فدخل دمشق و جلس بالجامع الأموي يعلم الناس القراءات والحديث والنحو، حيث إشتهر أمره وشاعت فضائله ببلاد الشام كله لاسيما بعد أن آلت إليه مشيخة الإقراء بها[2] .

وقد وصفه شمس الدين الايكي بصاحب الفطنة وقوة الحفظ والذكاء وهذا يدل على تفوقه العلمي ومكانته العالية[3]، ولكنه تعرض للقتل من قبل نائب الشام كزاي (ت719-1318م) عقب الأحداث التاريخية التي عرفتها بلاد الشام سنة (711هـ-1310م)، والمتمثلة في فرض الضرائب والإتاوات على أهل دمشق فوقف العلماء والقضاة والفقهاء إلى جانب الرعية ضد النائب المملوكي وضد السياسة الضريبية، فأمر النائب كزاي بتعقب كل من يقف ضده من علماء ورجال وكان أولهم القاضي التونسي مجد الدين وقتل وكان أيضا من بينهم أبو بكر محمد الزواوي الذي أمر بقتله سنة (718هـ-1317م) [4].

-إبراهيم بن يوسف أبو الفرج البوني (ت612هـ- 1215م) إشتهر أمره بالمسجد الأموي الكبير بدمشق كان أحد المراكز العمية الهامة التي إستقطبت مقرئين مغاربة وأندلسيين ،

---

[1] السخاوي، المصدر السابق، ج4 ، ص251.

[2] عبد الوهاب بن منصور، أعلام من المغرب العربي، ج1، المطبعة الملكية، الرباط ، 1979م، ص248

[3] المرجع نفسه، ج1، ص248.

[4] إبن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، المصدر السابق، ج3 ، ص161.

وهذا الأمر لايبدو غريبا إذا ما أخذت بعين الإعتبار مكانة هذا الجامع في تلك الفترة من الزمن، كأحد الجوامع المشهورة ببلاد الشام بعد المسجد الأقصى[1]، وكان البوني يعقد به حلقة الاقراء ضمن حُلة ابن طاووس شرقي البرادة وقبالة حلقة جمال الإسلام بن السهر زواوي (ت 533هـ-1138م[2])، وصف أبو شامة الدمشقي العالم البوني بالخير الفاضل المتواضع الساعي في حوائج الناس، قرأ عليه الجزء الأول من القرآن الكريم توفي البوني (ت612هـ-1215م) بدمشق دفن بجبل قاسيون[3] .

ب –المقرئون ببلاد الحجاز

المقرئون ببلاد الحجاز تعكس المصادر التاريخية الجهود الرائدة لعلماء المغرب الأوسط خاصة علماء زواوة ممن أسهموا في حقل الدراسات الدينية بأرض الحجاز بالقدر الذي يكشف ما بذلوه لأجل النهضة العلمية ومن العلماء الذين برزوا في مجال القراءات نجد:

–جعفر بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله الزواوي (ت.644هـ-1243م)الذي أقرأ الناس بالمدرسة المنصورية إلى جانب نشاطه الديني خلال شهر رمضان داخل المدرسة يقول التيجيبي أنه خلال شهر رمضان المعظم جرت العادة بالمدرسة المنصورية[4]، أنه إذا ذهب جزء من الليل صعد إلى سطحها المطل على الحرم الشريف أكفأ القرّاء يتلو من كتاب الله رافعاً صوته يسمعه كل من في المسجد من العلماء والصوفية المجاورين للحرم المكي[5] ، أو

---

[1] مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص495.

[2] علي أحمد، المرجع السابق، ص 124.

[3] أبو شامة شهاب الدين الدمشقي، إبراز المعاني من حرز الآماني، ج1، دار الكتب العلمية، تاريخ الاضافة 14 نوفمبر 2010م، ص260.

[4] الفاسي، المصدر السابق، ج3، ص426

[5]التيجيبي، مستفاد الرحلة والإغتراب، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، تونس، 1975م، ص 459.

في الحرم المكي على عادة أهل البلاد كما أعتبر المقرئ عبد الله بن موسى بن عمر بن يومن الزواوي (ت.734هـ-1333م)[1].

أحد الأقطاب الذين عول عليهم طلبة العلم في الدراسات القرآنية ببراعته وتفوقه، قدم مكة سنة 690هـ-1289م أخذ عن شيخ الاقراء العفيف الدلاصي (ت.723هـ-1322)، تصّدر للإقراء بالحرم المكي يقرئ الناس بالروايات وصف بأنه كان من جلة المقرئين الصالحين الذين وفدوا أرض الحجاز[2].

ج- المقرئون في مصر:

شرف الدين أبي العباس الزواوي (ت743هـ-1342م)

ولد بقرية بني منقلات سنة (664هـ-1265م)، فلقي علومه الأولى على يد أبي محمد عبد الصمد، ثم إنتقل إلى بجاية وجلس إلى فقيهيها أبي يوسف بن يعقوب الزواوي (ت680هـ-1291م).

وحفظ عنه مختصر ابن الحاجب الفرعي وزاد عليه موطأ مالك [3]، رحل إلى المشرق الإسلامي فزار عدد الحواضر العلمية منها مصر والإسكندرية ودمشق والخليل[4]، إلتقى بخيرة علماء المذهب المالكي فسمع من شرف الدين الدمياطي بمصر وعن قاضي القضاة جمال الدين الزواوي (ت717هـ-1319م) ومكث شرف الدين بدمشق سبع سنوات إشتغل مابين نيابة القضاة و الإقراء في المسجد الأموي[5]. ثم رجع إلى مصر حيث أسرته

---

[1] تقي الدين الفاسي، المصدر السابق، ج5، ص290 ينظر:الصفدي، المصدر السابق، ج2، ص735.

[2] تقي الدين الفاسي، المصدر نفسه، ج5 ، ص290.

[3] إبن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة، المصدر السابق، ج3، ص 125..

[4] مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص 456.

[5] الصفدي، المصدر السابق، ج3 ، ص 727.

هناك، ويقول عنه ابن فرحون" كان إماما في الفقه وإليه إنتهت رئاسة الفتوى في مذهب مالك بالديار المصرية والشامية معا "[1].

لقد أسهم شرف الدين الزوواي بجهود كبيرة في تنشيط حلقات الدرس في الفقه والقراءات بجامع الأزهر ،تولى مشيخة الزاوية المالكية ودرس بالمنكوتمرية بالقاهرة[2] وأعاد بالناصرية والصالحية[3]،إنتفع به خلق كثير من طلبة العلم توفي (ت743هـ-1342م)[4].

شمس الدين الزواوي (ت.769هـ-1370م)

تلقي علومه الأولى على يد أبيه شرف الدين الزواوي ثم على يد برهان الدين الصفاقسي والشيخ برهان الدين الرشيدي وسمع من تقي الدين الدلاصي[5].

ودخل دمشق ولقي بها خيرة العلماء والفقهاء كالإمام المزني وسمع بالقدس من الحجار وزينب بنت المقدسية[6] تصدر للتدريس بالزاوية المالكية وحج وجاور بالمدينة ثماني سنوات، وجلس يعلم الناس في الروضة الشريفة وقد إزدحم على حلقات دروسه عدد من العلماء والصلحاء[7]، ثم عاد إلى مصر وشغل منصب ناظر لأوقاف المالكية بمصر[8] توفي

---

[1] إبن فرحون،الديباج، المصدر السابق،ج1، ص 183.

[2] مفتاح خلفات ، المرجع السابق، ص 458.

[3] الصفدي، المصدر السابق، ج3 ، ص728

[4] مفتاح خلفات، المرجع السابق ،ص458.

[5] إبن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ، المصدر السابق،ج3، ص55.

[6] هي زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بنت أحمد المقدسية المعروفة ببنت الكمال ولدت سنة 644هـ/1250م ،سمعت من محمد بن عبد الهادي وابراهيم بن خليل وغيرهم روت الكثير وتزاحم عليها الطلبة وقرؤوا عليها الكتب الكبار توفيت (740هـ/1390م) ، المصدر نفسه ، ج2، ص70.

[7]نفسه، ج3 ، ص55.

[8] السخاوي، الضوء اللامع، المصدر السابق، ج3 ، ص170.

سنة 769ه-1370م[1]، وخلف شرف الدين الزواوي عدة مصنفات علمية فقد كتب شرح مسلم في12 مجلدا سماه "إكمال الإكمال "، وشرح مختصر أبي عمر بن الحاجب في الفقه فتوصل فيه الى كتاب الصيد في سبع مجلدات[2].

ومن كبار المقرئين في مصر المقرئ **أبو علي الحسن بن عبد الله بن يحي التلمساني الراشدي** (ت685ه-1285م) : نشأ وتعلم بتلمسان سكن مصر وتصدر للإقراء بها[3] "لم يترك بمصر والشام في المالكية مثله "، ويقول آخر :"كان عالما بالفقه وأصوله والنحو، وكان يعارض إبن خلدون في أحكامه ويفتي عليه ويناظره ،وكان العز بن جماعة يعظمه كثيرا[4]

2- إسهاماتهم في علم التفسير

يعتبر التفسير من علوم القرآن، ،والتفسير تفعيل من الفسر والبيان والكشف، ويقال: هو مقلوب من السفر، أسفر الصبح إذا أضاء، وقيل مأخوذ من التفسر، وهي إسم لما يعرف به الطبيب المرضى[5].

ويورد إبن خلدون أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم ، فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه ، وكان ينزل جملا جملا وآيات آيات، لبيان التوحيد والفروض الدينية بحسب الوقائع، منها ماهو في العقائد الإيمانية ومنها ماهو في

---

(1) إبن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ج3، ص55.

(2) مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص 459.

(3) الذهبي، العبر، المصدر السابق، ج1، ص 358.

(4)إبن حجر العسقلاني ، انباء الغمر، المصدر السابق، ج3، ص148

(5) أحمد بن مصطفى، مفتاح السعادة و مصباح السعادة في موضوعات العلوم ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، 1985م ، ص666

أحكام الجوارح، ومنها ما يتقدم ومنها ما يتأخر ويكون ناسخا له، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبين المجمل ويميز الناسخ من المنسوخ لأصحابه، فعروه وعرفوا أسباب نزول الأيات ومقتضى الحال منها منقولا عنه كما عُلم[1]

وكان عبد الله بن العباس رضي الله عنه أجرأ الناس في التفسير ، فقد رويت عنه تفسيرات كثيرة لآيات كثيرة ، حتى روي عنه تفسير كامل صحيح إن بعضها موضوع، ولكن ما صح بعد ذلك كثير ، وقد إعتمد في التفسير على مصادر ثلاثة :أحاديث النبي (صلي الله عليه و سلم) ، في التفسير والشعر الجاهلي والإسلام، وماكان يرويه اليهود الذين أسلموا وخصوصا كعب الأحبار وعبد الله بن سلام ، ويكثر منه ذلك في قصص الأنبياء وما يتصل بالتوراة[2].

وكان له تلاميذ كثيرون يأخذون عنه ، من أشهرهم مولاه عكرمة والناس من طبعهم حب السؤال عما يجهلون ، يقول الله تعالي :" **أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا** "[3] ، فيسألون : ماهو البعض الذي ضرب به ، ويقول الله تعالى :" **وأضْرِب لَهُم مَثلاً أصحاب القَرْيَةِ**"[4]، فيسألون : أي قرية ومن أصحابها وهكذا[5].

فكان إبن عباس يجيب عن هذه الأسئلة ، حتى تبلور علم تفسير القرآن مع نهاية القرن الثالث الهجري مع إبن جرير الطبري (ت 310هـ-922م) صاحب التفسير المشهور، وكان منهجه في التفسير أن يجد في كل آية التفسير بالمأثور، وفي الغالب يفضل

---

[1] إبن خلدون ، المقدمة، المصدر السابق، ص ص 438-439.

[2] أحمد أمين، ضحي الإسلام، ج1، المكتبة التوفيقة، القاهرة ، (د.ت)، ص35.

[3] القران الكريم ،سورة البقرة ، الآية 73.

[4]القران الكريم، سورة يس، الآية 13.

[5] أحمد أمين، ا لمرجع السابق، ص36.

أحد الأقوال ولايروي من الإسرائيليات والنصرانيات إلا بقدر ، وينص في كثير من الآحيان على أن هذه أشياء لاقيمة لها، والجهل بها ليس ضارا كالسؤال عن المائدة التي نزلت من السماء على النبي عيسى عليه السلام، هل كان عليها طعام أم لا، وإذا كان عليها طعام فما هو وهكذا فيقول العلم بذلك غير نافع[1]

عبد الرحمن الثعالبي (ت.876هـ-1469م)[2]: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي[3]، الجزائري أحد أبرز علمائها ولد (سنة 789هـ-1384م) بالجزائر ونشأ بها[4]، تلقى تعليمه الأول بالكُتّاب، وحفظ القرآن وهو صغير [5]، وعند بلوغه إرتتحل الى الحواضر العلمية البارزة آنذاك كبجاية وتونس ومصر والحجاز[6].

بدأ الثعالبي رحلته في أواخر القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر ميلادي، فدخل بجاية عام 802هـ-1399م) وإلتقى بأئمتها، وأخذ عن كبار علمائها كأبو الحسن علي عثمان المنجلاتي الزواوي[7] الذي برع عنده في علم القراءات[8]، وأبو الربيع سليمان بن الحسن

---

[1] أحمد أمين ،المرجع السابق، ص36.

[2] السخاوي ، الضوء اللامع، المصدر السابق، ج3 ، ص152 ، ينظر: محمد مخلوف، المرجع السابق ، ج1، ص382.

[3] نسبة الى الثعالبة من عرب المعقل الذين دخلوا إلى بلاد المغرب مع الهلاليين، وكانت مواطنهم في عهد الزيبانيين بناحية متيجة من بسائط الجزائر ، إبن خلدون ، العبر ، المصدر السابق، ج6، ص 84.

[4] عادل نويهض، معجم المفسرين، ج1، ط1، مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت، 1988 م، ص119.

[5] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص91.

[6] محمد بوشقيف، تطور العلوم ببلاد المغرب الأوسط، رسالة دكتوراه في تاريخ المغرب الاسلامي، جامعة أبو بكر بالقايد ، تلمسان,2010-2011م ، ص383.

[7] أبو الحسن علي المنجلاتي الزواوي البجائي ،أحد علماء بجاية واكبر فقهائها ، وهو من تلامذة الشيخ عبد الرحمن الوغليسي، الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص73،ينظر: التنبكتي ، نيل الابتهاج ، المصدر السابق،ج1، ص332.

[8] محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص334.

(ت845هـ-1433م)[1]، الذي لقنه تجويد القرآن الكريم كما أخذ عن أبو القاسم المشدالي [2] وأبو العباس أحمد النقاوسي [3].

ثم إرتحل إلى تونس وإلتقى بفقهائها وأخذ عنهم[4]، ومن بينهم :أبو مهدي عيسى الغبريني(ت827هـ-1423م)[5] وأبو القاسم البرزلي (ت844هـ-1440م)[6]، وأبو يوسف يعقوب الزغبي.

ومن تونس سافر إلى مصر[7] ، وأخذ فيها عن أبو عبد الله السباطي (ت832هـ-1428م) وأبو عبد الله محمد البلالي (ت820هـ-1416م)[8]، كما أخذ علم الحديث

---

(1) سليمان بن الحسن البوزيدي الشريف التلمساني أبو الربيع ، الامام العالم المحقق، أحد كبار فقهاء تلمسان خلال القرن التاسع للهجرة /الخامس عشر ميلادي ،توفي سنة 845هـ/1433م ، إبن مريم، المصدر السابق، ص105.

(2) محمد بن محمد أبي القاسم المشدالي ، وهو شقيق أبي الفضل الأكبر مات في طريقه الى الحج ، كان متقدما في العلم دّرس ببجاية ، وإنتفع بعلمه الكثير ، تواتي عبد الغاني ، **المشداليون بين زواوة وتلمسان** "، مجلة الاصالة العدد,19،2011م، ص52

(3) هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن النقاوسي البجائي ، وقيل أحمد بن صالح ويكنى بأبي زير عاش في القرن التاسع الهجري، أقام في بجاية ثم قسنطينة ، من كبار فقهاء المالكية توفي حوالي 810هـ/1407م وترك عدة مؤلفات أهمها :الأنوار المنبلجة في بسط أسرار المنفرجة ،محمد قويسم ، **فقهاء مدينة قسنطينة خلال العهد الحفصي (625هـ/981م)**" ، مجلة المعارف، العدد 07، نوفمبر 2016م، الجزائر، ص162.

(4)عبدلي لخضر، المرجع السابق، ص153.

(5)هو عيسى بن أحمد بن محمد بن محمد الغبريني أبو مهدي التونسي ، قاضي الجماعة بها وعالمها وصالحها وحافظها و خطيبها، توفي سنة (816هـ/1413م)، التنبكتي ، نيل الابتهاج ، المصدر السابق، ج2، ص ص 297-298.

(6) هو أبو القاسم بن احمد بن محمد البلوي القيرواني ثم التونسي الشهير بالبرزلي الإمام المشهور نزيل تونس ومفتيها وفقيهها ، قدم القاهرة حاجا سنة (800هـ-1339م)، السخاوي، الضوء اللامع، المصدر السابق، ج10، ص133

(7) أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ج، 1ص91.

(8)لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص154.

فيها عن أحمد بن عبد الرحيم العراقي (ت 826هـ-1423م) [1] وأجاز لهو لما رجع الى تونس، إلتقى بالعالم الكبير ابن مرزوق الحفيد بها وقرأ عليه بعض الحديث ، وأخذ عنه الموطأ و أجاز له في الإقراء[2]، وبعد الرحلة العلمية للثعالبي عاد إلى الجزائر ، وتولى قضائها مكرها ثم خلع نفسه وأعرض عن الدنيا ، حتى إشتهر بالتصوف ، وإنكب على التأليف في مختلف العلوم خاصة العلوم الدينية[3]ومن أشهر تلامذته:

*محمدبن محمد بن مرزوق الكفيف(ت.901هـ-1487م)[4]،*محمد بن يوسف السنوسي(ت.895هـ-1484م)[5].

*عبد الكريم المغيلي(ت.909هـ-1505م)[6]، الذي إنتفع به في التفسير ،والتصوف[7]، وقد برع الثعالبي في علم التفسير ، بتفسيره الشهير المسمى :"الجواهر الحسان في تفسير القرآن" ،ويعد من أهم التفاسير التي ألفت في القرن التاسع الهجري "الخامس عشر ميلادي" ، وهو إختصار لتفسير ابن عطية[8].

---

[1] أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري أبو زرعة ولي الدين إبن العراقي قاضي الديار المصرية توفي سنة 826هـ/1423م ، الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص 148.

[2]لخضر عبدلي، المرجع السابق ، ص153.

[3]محمدبوشقيف، المرجع السابق، ص335.

[4] عادل نويهض، معجم المفسرين، المرجع السابق، ج1، ص119.

[5]محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص335.

[6] هو محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، من كبار علماء المغرب الأوسط إشتهر بالدين والصلاح، وطاف أنحاء المغرب الإسلامي طلبا للعلم ،كما أخذ عبد الرحمن الثعالبي ، توفي سنة 909هـ/1503م، التنبكتي ، نيل الابتهاج، ج1، المصدر السابق، ص 567.

[7] محمد بوشقيف ، المرجع السابق ، ص118.

[8] هو الإمام أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر بن غالب (481هـ/542هـ) أحد علماء الأندلس في الفقه والحديث والتفسير، حاجي خليفة ، المصدر السابق، ج1، ص439.

وله مؤلف أخر في علم التفسير بعنوان "نفائس المرجان في قصص القرآن "[1] ، وآخر بعنوان "الذهب الابريز في غرائب القرين العزيز "[2]، إضافة غلى كتاب "تحفة الإخوان في إعراب بعض أيات القرآن "[3].

كما ساهم بكتاب جعله ذيلا لكتاب الجواهر الحسان، قال عنه السخاوي "فإنه لما يسر الله علي إكمال هذا المختصر، وفرغت من تصحيحه، وكثر الراغبين في تحصيله سألني بعص إخواني أن ألحق به شرح ما وقع فيه من العريب يتم بذلك مقصود الكتاب ...فأجبتهم لذلك وزدت فيه بيان الفاظه وقعت في غيره يكثر اللسان دورانها ..."[4] ، توفي العلامة عبد الرحمن الثعالبي (سنة 875هـ-1470) ودفن بالجزائر [5].

إبراهيم بن محمد الصدقاوي الزواوي (ت. 853هـ/1460م):[6]هو إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن سليمان الصدقاوي [7]، الزواوي الأصل ثم البجائي، ويعرف "بالمصعصع"، وهو من كبار فقهاء بجاية، نشأ وتعلم بها و نسبته إليها أخذ عن محمد بن أبي القسم المشدالي [8]، إرتحل إلى بلاد المشرق و جاور بالمدينة المنورة ومنها عاد إلى مكة

---

[1] بشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري في القديم والحديث ، ط2، دار ثالة ، الجزائر ، 2007، ص43.

[2] المرجع نفسه ، ص43.

[3] محمد مخلوف ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج1، ط1، تحقيق: عبد المجيد خيالي ، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003م، ص382.

[4]علي يحي كعبي، أراء الشيخ عبد الرحمن الثعالبي الاعتقادية من خلال تفسيره "الجواهر الحسان"، رسالة دكتوراه في العقيدة ، جامعة ام القرى، المملكة العربية السعودية ، 2013م-2014م، ص 22.

[5] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ج،2 ص259.

[6]السخاوي، الضوء اللامع، المصدر السابق، ج1، ص 149، ينظر: الونشريسي، المصدر السابق، ص 351

[7] عادل نويهض، المرجع نفسه ، ص39.

[8] هو أبو الفضل محمد بن محمد بن أبي القسم بن محمد بن عبد الصمد الزواوي والمشدالي توفي حوالي 858هـ-1453م، كان متقدما في العلوم الدينية ، تواتي عبد الغاني، المرجع السابق ، ص03.

وإستقر بها حتى توفي سنة 853هـ- 1460م[1]، كان ملما بالعلوم الشرعية، خاصة علم التفسير، يستحضر من إبن عطية و حضر دروس البرهان بن ظهيرة[2]، غير أننا لم نقف على أي تأليف له في هذا المجال، و حتى الكتب التي ترجمت له

ويتضح مما سبق أن علم التفسير أخذ حيزا هاما بين العلوم الشرعية بالمغرب الأوسط، وقد أولى علماؤه عناية كبيرة لهذا العلم ، كما لاحظنا أن كل المفسرين الذين برزوا خلال القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر ميلادي كانوا في الأصل فقهاء كبار ، ومتضلعين في أغلب العلوم الدينية واللغوية، وذلك لخصوصية هذا العلم، وقد عرف علم التفسير خلال هذه الفترة إنتاجا وفيرا ، وشكلت كتب التفاسير الأولى مرجعية هامة لمفسري المغرب الأوسط، فألفوا عليها الكثير من الشروح،، والمختصرات، كما كانت لهم تآليف خاصة بهم كتفسير بعض السور القرآنية ، ولم يسهم علماء المغرب الأوسط في حقل التفسير بالتأليف فحسب بل أسهموا فيه بالتدريس أيضا، كما برزت خلال هذا القرن عدة تفاسير كان لها أثر كبير في حقل التفسير، في المغرب الأوسط خاصة والعالم الإسلامي عامة كتفسير عبد الرحمن الثعالبي

. 3- جهود علماء المغرب الأوسط في علم الحديث:

يعرف إبن خلدون علوم الحديث أنها :"النظر في الأساليب و معرفة ما يجب من الأحاديث بوقوع على السند الكامل الشروط، لأن العمل إنما وجب بما يغلب على الظن صدقه من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيجتهد في الطريق التي تحصل ذلك الظن

---

(1) محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص118.

(2) السخاوي، المصدر السابق، ج1، ص 149.

وهو بمعرفة رواة الحديث بالعدالة والضبط "[1]، ودوّنت في هذا العلم كتب كثيرة ، كتصحيح البخاري [2]ومسلم[3]، وأكثر منها مسند إبن حنبل ، وبلغ مجموع أحاديثه نحو 60 ألفا وهذا التضخم يرجع إلى سببين الأول كثرة الوضع ، فقد دخل في الحديث الكثير من جكم الأمم المختلفة ، وإندسّ فيه بعض عقائد الأمم القديمة، والثاني إجتهاد العلماء في الجمع ، فقد كان علماء الحديث يرحلون إلى الجهات المختلفة ، ويزاحمون التجار في الخانات[4]، وبجانب جمع الحديث ، نشأ حوله الكثير من العلوم ، مثل علم الناسخ و المنسوخ من الأحاديث، فإذا رأى حديثا يناقض حديثا آخر، وعرف المتأخر منها دل ذلك على أن المتأخر ناسخ للمتقدم ،ومثل علم الجرح والتعديل يذكرون فيه الصفات التي تلزم المحدث حتى يكون عدلا ، فإذا أنقصها أو نقص صفة منها لم يحز صفة العدل الى غير ذلك من العلوم [5].

وفي بلاد المغرب إزدهر علم الحديث ، كعلم من العلوم النقلية ، ولا نستغرب ذلك إذا علمنا أن كتاب الموطأ للإمام مالك الذي كان مذهبه سائدا في تلك البلاد، تضمن هذا

---

(1)إبن خلدون ، المقدمة ، المصدر السابق ص 441.

(2) الجامع الصحيح ، المشهور بصحيح البخاري ، للامام الحافظ أبي عبد الله محمد اسماعيل البخاري ، المتوفي سنة 256هـ/870م، وهو أول الكتب الستة في الحديث ، وأفضلها على المذهب المختار ، فقد صحّ أن مسلما كان ممن يستفيد منه ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث ، وهذا الترجيح هو المختار الذي قاله الجمهور، .ينظر: حاجي خليفة، المصدر السابق، ج1، ص 227.

(3) الجامع الصحيح للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري الشافعي ، المتوفي سنة 261هـ /875م، والثاني من الكتب الستة وأحد الصحيحين اللذان هما أصح الكتب ،قال الإمام النووي:"وقد إنفرد مسلم بفائدة حسنة و هي كونه أسهل متنا ولا من حيث أنه جعل لكل حديث موضعا يليق به ، جمع فيه طرقه التي إرتضاها، واورد فيه أسانيده المتعددة، وألفاظه المختلفة فيسهل على الطالب النظر في وجهه استثمارها ويحصل له الثقة بجيمع ما أورده مسلم من طرفه بخلاف البخاري ، المصدر نفسه ، ج1، ص 438.

(4)أحمدأمين ، ظهر الاسلام ، المرجع السابق، ج2، ص 42.

(5)المرجع نفسه، ص 42.

الكتاب جوانب من علم الحديث، مع العلم أن صحيح مسلم حسب رواية إبن خلدون كثرت عناية علماء المغرب به، وإنكبوا عليه وأجمعوا على تفضيله على كتاب البخاري [1]، و يؤكد ما ذهب إليه إبن خلدون الفقيه إبن مرزوق صاحب كتاب المسند بقوله " فرجّح الكثير من العلماء كتاب مسلم"[2].

أما عن جهود هم في علم الحديث

فقد ذكرت المصادر التاريخية وكتب التراجم والطبقات أسماء العديد من المحدثين ولكن سنحاول أن نذكر ممن صنفوا من كبار المحدثين ، الذين تميزوا بنوع فكري وعمق في تحصيل هذا المجال من الدراسات الدينية ، وإن كنا نسلم بأن معظم علماء المغرب الأوسط الذين شملتهم دراسة هذا البحث كانوا على درجة كبيرة من الحفظ للحديث النبوي ومن هؤلاء المحدثين :

ابن يومن الزواوي (ت734هـ-1333م)

درس بالقاهرة على يد الحافظين تقي الدين بن دقيق العيد (ت727هـ-1326م) وتقي الدين عبيد[3]، وكذلك درس على يد مؤسسة بنت العادل وأبي بكر بن أيوب السباعيات والثمانيات [4] ، وبمكة سمع من المفتي عماد الدين عبد الرحمن بن محمد الطبري صحيح مسلم ، ومن الأمين محمد بن القطب القسطلاني موطأ مالك برواية يحي بن يحي

---

[1] إبن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 443.

[2] إبن مرزوق، المصدر السابق، ص 276.

[3] الصفدي، المصدر السابق، ج2، ص735.

[4] السباعيات :هي جزء يشمل على مجموعة الأحاديث يكون بين مخرجها و النبي صلى الله عليه وسلم سبعة رواة أو ثمانية أو تسعة رواية أو في الأربعين رواية ، ينظر :الكتاني ، الرسالة المستطرفة ببيان مشهور، كتب السنة المشرفة، ط2، دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان، 1980م، ص 73

الليث، ومن التوزي جامع الترمذي.[1]، بعد أن حصل إبن يومن إلى مراده في التحصيل والدرس جلس للتعليم و حدث بكل محفوظاته[2]، وتردد على مختلف المجالس التي كانت تعقد في الحرم المكي[3] .

وإشتهر **أبو الفضل الزواوي** (ت705هـ-1304م) الذي تولى مشيخة الحديث بالمدرسة المنصورية، فقد كشف عن مقدرته الفائقة في الجمع بين إقراء القرآن وتدريس الحديث سمع منه خلق كثير[4] .

وأسهم المحدث **أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن علي بن سليمان الموسي** (ت640هـ-1233م) : محدث تلمسان ، رحل إلى المشرق وحج وأطال الغيبة فأكثر عن العلامة المحدث أبو الطاهر أحمد بن محمد السلفي (ت576هـ-1180م)، ودعا له وقال له تكون محدث المغرب إن شاء الله ثم إستوطن تلمسان [5]، وخرج وصنف وعمل معجم لشيوخه في مجلد، ورحل إليه المحدثون وكان حافظا للحديث ضابطا له ، ألّف أربعين حديثا في المواعظ وأربعين حديثا في الفقر وأربعين في حب الله وأربعين في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتصانيف أخرى[6].

---

[1]تقي الدين الفاسي، المصدر السابق، ج5 ، ص290.

[2] مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص497.

[3] طرفة عبد العزيز العبيكان ، الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنيين السابع والثامن للهجرة، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض، السعودية، 1996م، ص67.

[4]الفاسي، المصدر السابق، ج3 ، ص 426.

[5] مفتاح خلفات، المرجع السابق ،ص465.

[6]شمس الدين محمد الذهبي ، سير أعلام النبلاء ،تحقيق :بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان ، مؤسسة الرسالة، ج22، 1998م، ص24-25.

وقد أسهم المحدث **محمدبن مختار الزواوي** (ت660هـ- 1260م) في إزدهار علوم الحديث بأرض الحجاز، وكان قد أقام باليمن مدة ثم عاد إلى مكة المكرمة ، وجلس بها للتدريس فانتفع به خلق من الطلبة ، وقد أشاد الجنيدي في تاريخه بمكانته العلمية وشدة حفظه وسعة اطلاعه[1]، وشارك العلامة عبد الحكيم الزواوي بدوره في تنشيط حلقات الدرس التي كان يعقدها في الحرم المكي[2]

ومن علماء المغرب الأوسط الذين عنيوا بعلم الحديث وروايته:

محمد بن مسعود بن صالح ولد بمكة المكرمة عام (788هـ-1399م) ودرس على شيوخها أمثال عبد الرحمن الفاسي وأبي الطيب السحلولي، ومحمد بن عبد الله البهنسي والشيخ العراقي وغيرهم[3]، ثم جلس للتدريس .

و لعل مكانته الإجتماعية والعلمية رشحته لتولي وظيفة جمع أموال الزكاة التي كلفه بها وإلى مكة ،فكانت حياته حافلة بالنشاط الفكري والتربوي و العمل الخيري[4]، وزار مدن مشرقية ودخل مصر وأفاد طلبتها وأجاز عدد من علمائها منهم الإمام السخاوي[5] .

كما إنتفع علماء الشام من **محمدبن محمد المكنى بأبي الفضل البجائى**[6] **(ت865هـ-1460م)**:

---

[1] الفاسي، المصدر السابق، ج2 ، ص353.

[2] المصدر نفسه، ج4، ص240.

[3] مفتاح خلفات، المرجع السابق ، ص 498.

[4] عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج2، ص433.

[5] السخاوي، الضوء اللامع ، المصدر السابق، ج10، ص 302.

[6] جمال الدين السيوطي، نظم العقبان، المصدر السابق، ج2، ص160.

الذي كان عالما بالحديث ورجاله وأخذ عنه الكثير[1]، وجال بلاد الشام ومناطق أخرى[2]، وإستقر به المقام في بلاد الشام ومات في مدينة ناب قرب حلب[3]

ومن أشهر علماء المغرب الأوسط الذين أشتهروا من كبار حفاظ علم الحديث نجد:

محمدبن علي بن اسماعيل الزواوي بدر الدين (ت775هـ-1376م)، الذي تلقى علومه الأولى في بجاية ، ثم رحل إلى المشرق ودخل القاهرة فسمع من ابن الشحنة (ت762هـ-1364م) [4]، وست الوزراء (ت716هـ-1318م) [5]، صحيح البخاري ولما علا علمه تصّدر للتدريس بالجامع الازهر، يقرأ الناس الحديث وقد تخرج على يده عدد كبير من طلبة الازهر[6] ، إلى جانب إبن إسماعيل الزواوي نجد العلامة أحمد بن صالح خلاصة الدين الزواوي (ت855هـ-1457م)، فكان متضلعا في علم الحديث وكانت له

---

(1) إبن القاضي، المصدر السابق، ج2، ص26.

(2) تجول في مناطق كثيرة فزار مكة أثناء تأدية فريضة الحج ، ثم عاد إلى القاهرة ودرس فيها لمدة ذكره السخاوي " وقد حصلت بيننا إجتماعات وصحبة ورأيت منه حدة الذهن وذكاء الخاطر..." الضوء اللامع، المصدر السابق، ج9، ص180.

(3) البغدادي، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة و البقاع ، ج2، تحقيق:علي محمد البجاوي ، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1412هـ-1992م ، ص977.

(4)إبن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، المصدر السابق، ج4، ص،37 ينظر: عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق ، ص166.

(5)ست الوزراء بنت عمر بن اسعد بن المنجا التوخية الدمشقية من أشهر المحدثات سمعت من أبي عبد الله عن الزبيدي مسند الشافعي وصحيح البخاري وحدثت بدمشق ومصر ، وهي آخر من حدث بالمسند توفيت 716هـ/ 1318م ، إبن حجر العسقلاني ، الدرر المصدر نفسه، ج2، ص78.

(6) تقي الدين أبي بكر بن أحمد القاضي شهبة، تاريخ إبن القاضي شهبة، ج3، ط3، من المخطوط ، تحقيق :عدنان دروس، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، سوريا ، 1994م، ص112.

مشاركات واسعة في الدراسات الفقهية فجلس للتدريس بجامع الأزهر وأجاز عددا من طلابه الامام السخاوي(1)

يحي بن أحمد بن رحمون (ت888هـ-1483م):

هو أبو زكريا يحي بن أحمد بن عبد السلام بن رحمون(2)، المعروف بالعلمي نسبة للعلم كما يقال ،ولد بقسنطينة (3)، ونشأ بها ولد بعد سنة 800هـ -1400م، نزيل القاهرة ثم مكة تولي قضاء قسنطينة(4) .

ثم سافر إلى تونس ،وأخذ بها عن أبي حفص القلشاني وغيره،ثم إنتقل إلى القاهرة وأخذ عن علمائها(5)، حيث قال عنه القرافي:"لم يكن يفتقر لأحد في الإشتغال وحضر يسيرا عند البساطي، وحكي له مباحثة معي....(6)".

ثم تولى القضاء بها، كما تصدر للتدريس بجامع الأزهر وغيره، حجّ بن رحمون سنة 875هـ-1470م فقطن بمكة، وسمع بها على أبي الفتح المراغي، وأفاد الناس بعلمه بها خاصة في الفقه وأصوله، والكلام والمعاني، والمنطق ورواية الحديث(7)، كما سمع صحيح

(1) مفتاح خلفات، المرجع السابق ، ص 469.

(2) إبن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ، المصدر السابق، ج4، ص413.

(3) يشير الحسن الوزان إلى أنها مدينة قديمة يعود بناؤها إلى الفترة الرومانية ، وهي واقعة على جبل شاهق ، ومحاطة بصخور عالية، الحسن الوزان، وصف إفريقيا ، ط2، تحقيق:محمد حجي ،محمد الاخضر ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، 1983م ، ص55.

(4) السخاوي، الضوء اللامع، المصدر السابق ، ج10، ص217

(5) محمد قويسم ، المرجع السابق ، ص 161.

(6) القرافي ، توشيح الديباج و حلية الإبتهاج، ط1، تحقيق:علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،1425هـ-2004م، ص255

(7) السخاوي، المصدر السابق، ج10 ، ص217

مسلم عن الزين الزركشي ما بين قراءة وسماع، ثم جاور بالمدينة المنورة فقرأ بها صحيح البخاري كاملا على الجمال الكارزوني، وأقرأ شرح النخبة ، وأفتى باللفظ دون الكتابة تورعا[1].

وكتب على المدونة و المختصر و الرسالة و البخاري حيث قال القرافي :"وقفت على شرحه للكتب المذكورة بخطه ناقصة الأوائل ، كلها سلك فيها مسلك الإختصار، ولا تخلو من فوائد وبيعت بثمن سهل لقلاقة خطه وتلف أطرافها"[2].

توفي يوم الاثنين رابع ربيع الثاني سنة 888هـ/1483م، كما برع في علم الحديث العالم إبن مرزوق الحفيد (ت.842هـ).

قال عنه التنبكتي "..... وإحاطته بالحديث وفنونه وحفظ رواياته، ومعرفة متونه ونظم أنواعه، ووصف فنونه، فإليه الرحلة وعليه المعمول في حل مشكلاته وفتح مقفلاته......".[3]

وله عدة مؤلفات في هذا العلم أهمها كتاب " أنوار الذراري في تكرارات البخاري " وشرح كتاب الجامع الصحيح للبخاري سماه :"المتجر الربيح والمسعى الرجيح و المرحب الفسيح والوجه الصحيح، والخلق السميح في شرح الجامع الصحيح"[4].

كما تبوأ الشيخ عبد الرحمن الثعالبي مكانة كبيرة في هذا العلم، وهذا بشهادته بنفسه عندما قال :"ولم يكن بتونس يومئذ من يفوتني في علم الحديث ..."[5].

---

(1) السخاوي،المصدر السابق، ج10 ، ص217.
(2) القرافي، المصدر السابق ، ص255
(3) السخاوي، المصدر السابق، ج10 ، ص507.
(4) المصدر نفسه، ج10، ص507.
(5)علي بن يحي كعبي، المرجع السابق، ص22.

ومن مؤلفاته الحديثية :"الأنوار المضيئة في الجمع بين الحقيقة والشريعة "، "الأربعون حديثا المختارة ، ،وغيرها من المؤلفات الحديثية.[1]

وقد كانت للعالم **سعيد بن علي بن عبد الكريم أبو عثمان الجزائري** (ت872هـ-1469م) [2]، مكانة مرموقة في علم الحديث ، خاصة بعد أن إرتحل إلى مصر ولازم الشيخ إبن حجر العسقلاني[3].

وبالرغم من المكانة الكبيرة لبعض علماء المغرب الأوسط ، في علم الحديث إلا أنهم لم يُدونوا فيه، فلم تذكر كتب التراجم مؤلفات أو شروحها لهم ، كالعالم محمد بن مرزوق الكفيف (ت901هـ-1499م) ،نفقد كان من كبار علماء الحديث في زمانه ، حيث وصفه إبن القاضي بالمحدث الحافظ[4]، وقال عنه الإمام أبو عبد الله محمد إبن الإمام أبي العباس " علم الأعلام حجة الإسلام أخر حفاظ المغرب"[5].

كما برزت خلال هذه الفترة ، راوية الحديث "**رقية بنت عبد القوي**" البجائية (ت877هـ-1474م)، من بيت علم وجاه ، وذكر السخاوي أنها فقيهة بمذهب مالك إرتحلت مع والدها إلى المشرق للإستزادة، فنبغت في العلوم الشرعية ، وأجازت لعلماء كبار، وترجع شهرتها في بجاية وغيرها بتدريس الحديث، وتفسيره وذكر إسناده.[6]

---

[1] محمد بوشقيف ، المرجع السابق، ص 139.

[2] هو سعيد بن علي بن عبد الكريم الحسني الجزائري، نزيل أشرفية برسباي ، ممن لازموا الشيخ إبن حجر ، له تصانيف عديدة كان عالما فاضلا حسن السيرة ، توفي سنة 872هـ/1469م ، السخاوي، الضوء اللامع، المصدر السابق، ج3، ص255.

[3] محمد بوشقيف، المرجع السابق ، ص 139.

[4] إبن القاضي شبهة، تاريخ إ القاضي شبهة، المصدر السابق، ص144.

[5] محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص 139.

[6] السخاوي، الضوء اللامع، المصدر السابق ، ج12، ص34.

وعلى غرار باقي العلوم الدينية، لقي علم الحديث النبوي إقبالا من علماء المغرب الأوسط وعرفت حركة التأليف فيه خلال فترة البحث، تقدما بالرغم من أن هؤلاء العلماء إكتفوا ببعض الفهارس والشروحات والمختصرات ، كما أن هذه الشروحات خدمت علم الحديث كثيرا حيث ساهم في حفظ عدد كبير من الأحاديث النبوية ، إضافة إلى تصحيح بعض الكتب الحديثية ، وإضافة ما أغفله فيها مؤلفوها .

4- جهود علماء المغرب الأوسط في علم الفقه

الفقه لغة، العلم بالشيء و الفقه له، والفقه في الأصل الفهم، وهو يعني بالأحكام الشرعية والفرعية من أدلتها التفصيلية بالإستدلال و معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب، و الخطر والندب و الكراهية و الإباحة، وهي متلقاة من الكتاب و السنة لمعرفتها من الأدلة، فإذا أستخرجت الأحكام من تلك الأدلة ، قيل له الفقه.

و لما عظمت الأمصار و تمكن الإستنباط وكمل الفقه وأصبح صناعة وعلماً، إنقسم الفقه إلى طريقين: طريقة أهل الرأي والقياس، و طريقة أهل الحديث، وكان الحديث قليلا في أهل العراق فاستكثروا من القياس و مهروا فيه، فلذلك قيل أهل الرأي، و مقدم جماعتهم الذي إستقر المذهب فيه و في أصحابه ، أبو حنيفة و إمام أهل الحجاز مالك بن أنس و الشافعي من بعده، ثم أنكر القياس طائفة من العلماء وأبطلوا به، و هم الظاهرية، و جعلوا المدارك كلها منحصرة في النصوص و الإجماع [1] .

---

[1] إبن خلدون، المقدمة، المصدر السابق ، ص 445، ينظر: نزيه شحادة، صفحات من الحضارة الاسلامية، ط1، دار النهضة العربية، بيروت،1427هـ-2006م، ص 167، ينظر: سليمان ولد خسال، جهود فقهاء المغرب العربي في بناء النظام الاسلاميين (633هـ- 922هـ) ، أطروحة دكتوراه ، كلية العلوم الإسلامية، قسم الشريعة، تخصص أصول الفقه، جامعة الجزائر، إشراف، علي عزوز ، 1428-1429/ 2007-2008م، ص 49

لقد كان للعلماء المغاربة إجتهاداتهم في حقل الفقه، منذ إستقرار الفتح الإسلامي في بلاد المغرب و حتى القرون اللاحقة، و برزت أسماء شاعت في بلاد المغرب و الأندلس، بل إن هناك من طارت شهرته في الآفاق ، إما من حيث إنتشار مؤلفاته في بلاد المشرق، أو من حيث فرض كفاءته العلمية في تلك البلاد، و إفتكاك إعتراف العلماء المشارقة .

ومن علماء المغرب الأوسط الذين كانت لهم إسهامات جليلة في مجال الفقه في فترة الدراسة على إعتبار أن جل علماء المغرب الأوسط ممن زاروا البلاد المشرقية كانوا فقهاء ومحدثين ولهم دراية واسعة بالدراسات الدينية ومن أبرز هؤلاء الفقهاء

إبنا الإمام– "أبوزيد عبدالرحمن وأبو موسي عيسي":الشيخان الفقيهان أبو زيد عبد الرحمن و أبو موسى عيسى إبنا الإمام الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الإمام[1]، ذكرهما إبن فرحون قال: أبو زيد شيخ المالكية بتلمسان أكبر الأخوين المشهورين بأولاد الإمام التنسي البرشكي، وهما فاضلا المغرب في وقتهما، وكانا خصيصين بالسلطان أبي الحسن المريني، تحرجبهماكثير من الفضلاء، لهما التصانيف المفيدة و العلوم النفسية[2].

إرتفعت همتهما للعلم من صغرهما، حيث رحلا من بلدهما تلمسان إلى تونس ، فأخذا عن أبي جماعة و ابن العطار و البطروني، ثم وردا في أول المائة الثامنة تلمسان، على السلطان المريني أبو يعقوب، وهو محاصر لها.

فأقاما بالجزائر ينشران العلم، ثم هلك يوسف بن يعقوب المريني و هو محاصر لتلمسان(سنة 705هـ- 1305م)، فأصبح حفيده ملك المغرب الأقصى و تصالح مع سلاطين تلمسان، فعاد الأخوان و إتصلا بأبي حمو الزياني صاحب تلمسان، فأقاما عنده

---

(1)يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص 130

(2)إبن فرحون، الديباج، المصدر السابق، ص 250

على هدى أهل العلم و سننهم، ثم مع إبنه أبي تاشفين، إلى أن ملك أبو لحسن المريني تلمسان(سنة 737هـ- 1336م، فقربهما من مجلسه العلمي مع نخبة من علماء بلاد المغرب [1].

فأدناهما و أشار بتكرمهما و رفعهما عن أهل طبقتهما، و أجمل مجلسه وحضر معه واقعة طريف، و عادا لبلدهما تلمسان، فتوفي أبو زيد وتبوأ أبو موسى الكرامة، ثم صحبه إلى إفريقية سنة 748هـ- 1347م مكرما موقرا فلما إستولى على إفريقية سرحه إلى بلده، ولكنه مات بالطاعون الجارف سنة 749هـ -1348م [2]،

رحل الفقيهان إلى المشرق في حدود العشرين و سبعمائة 1320م، فلقيا علاء الدين القونوي، فكان لا يضاهى في مقدرته العلمية، و لقيا أيضا الجلال القزويني صاحب التلخيص، و ناظرا الشيخ تقي الدين بن تيمية فظهزر عليه، و كان ذلك من أسباب محنته و كانا يذهبان إلى الإجتهاد في أمور الدين وترك التقليد .

وقد قدمت المصادر التاريخية من المعلومات حول علو كعبهما في العلم، في المغرب و المشرق الإسلاميين، فقد أورد إبن خلدون أنهما كانت لهما شهرة في أقطار المغرب[3].

أما عن المشرق. فقد قال عنهما صاحب كتاب نظم الدر و العقبان، بعدما سافر إلى المشرق بأنهما "حصلا علوما شتى نقلية و عقلية ، و كان لهما بالشام و الحجاز ومصر صيت عظيم .

و يبدو أن هذه الشهادة التي أثبتها صاحب نظم الدر قد نقلها من كتاب"نظم

---

(1)التنبكتي، نيل الإبتهاج، المصدر السابق، ج2، ص-ص 246. 247

(2) المصدر نفسه، ج2، ص 247

(3)ابن خلدون، العبر ، المصدر السابق ، ج7، ص 464.

اللآلي في سلوك الآمالي لأبي عبد الله المقري الجد[1]،حيث تحدث عن شيخيه ابني الإمام و أسهب في الحديث عن شهرتهما في بلاد المشرق، و ومما جاء فيه عنهما قوله: و بحبك مما طار لهذين الرجلين من الصيت في المشرق، أني لما حللت ببيت المقدس..." وذكر المقري بعض الأسئلة الفقهية الخاصة بالميقات المكاني للحج، التي طرحت عليه،جوابه عنها ثم قال: فوقعت من نفوس أهل البلد ، فلما فرغت أتاني آت من أهل المغرب، فقال لي: تعني أن مكانك في نفوس أهل هذا البلد بليغ، و قدرك عندهم رفيع، و أنا أعلم انقباضك عن ابني الإمام، فإن شئت فانتب إليهما، فقد سمعت منهما وأخذت عنهما، ولا تظهر العدول عنه إلى غيرهما، من قدرك، فإنما أنت عند هؤلاء الناس خليفتهما و وارث علمهما، و أن لا أحد فوقهما[2].

عيسى بن مسعود الزواوي:

هو عيسى أبو الروح بن مسعود بن المنصور بن يحي بن يونس بن عبد الله بن أبي حاج المنكلاتي الحميري الزواوي المالكي هكذا ضبطه ابن فرحون في كتاب الديباج[3]، ولد سنة

---

[1]هو محمد بن حمد بن بكر بن يحي بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي القرني المقري، المتوفي سنة759هـ – 1358م،وصفه أبن فرحون بالعناية و الحفظ و الاضطلاع ،و كان قائما على العربية و الفقه و التفسير أتم القيام، و يحفظ الحديث و يتبحر يحفظ الأخبار و التواريخ و الآداب و يشارك مأثرها الفاضلة في الأصلين، و الجدل و المنطق، ولد بتلمسان في عهد أبي حمو الأول، و نشأ دعا ، و درس على علمائها أمثال الأخوين ابني الإمام ، و أبي موسي عمران ابدالي، و استفاد من عبد المهيمن الحضرمي في الحديث و الدراية، و من الظبي في الفقه و الفرائضمن الآبلي في التعاليم و غيرهم ، ثم رحل إلى بجاية و تونس، ثم عاد إلى تلمسان ، و أقام بها مدة، ثم توجه إلى المشرق، فلقي بالمعز أبا حيان النحوي و شمس الدين الأصبهاني، ثم قام بفريضة الحج ، سنة744هـ/ 1343م، ولقي بمكة أبا عبد الله بن عبد المؤمن التوزري، ثم رحل إلى الشام فلقي بدمشق شمس الدين بن قيم الجوزية، و ببيت المقدس أبا عبدالله ابن مثبت ، و شمس الدين ابن سالم، ابن فرحون، الديباج، المصدر السابق، ص –ص382-383، ينظر: عبد الحميد حاجيات، **الحياة الفكرية بتلمسان**، مجلة الاصالة، السنة الرابعة، العدد26، أوت، 1985م، ص 141

[2]عبد الجليل قربان، التعليم بتلمسان في العهد الزياني، جسور للنشر و التوزيع، الجزائر، 1432-2011م، ص349

[3]إبن فرحون ، الديباج، المصدر السابق، ص 283

664هـ-1246م[1]، كان فقيها عالما متفننا في العلوم تفقه ببجاية على أبي يوسف يعقوب الزواوي ، قدم الإسكندرية و تفقه بها، ثم رحل إلى قابس فأقام بها مدة، و ولي القضاء بها، ثم رحل إلى ثغر الإسكندرية، فأقام بها مدة يسيرة، ثم رحل إلى القاهرة، فأقام بها يشغل الناس في العلوم بالجامع الأزهر، وسمع كتب الحديث الستة قديما، وحدث عن شرف الدين الدمياطي، وولي نيابة القضاء بدمشق نحو سنتين، ثم رجع إلى الديار المصرية، فولي نيابة القفاء بها عن قافضي القضاة، زين الدين بن مخلوف المالكي، ثم من بعده عن قاضي القضاة تقي الدين الأصنائي المالكي ثم ولي تدريس المالكية، بمصر بزاوية المالكية وترك ولاية الحكم، فأقبال على الإشتغال و التصنيف، فشرح صحيح ملم في إثني عشر مجلدا سماه "إكمال الإكمال"، جمع فيه أقوال المازري و القاضي عياض و النووي، و أتى فيه بفوائد جليلة من كلام إبن عبد البر و الباجي وغيرهما، وشرح مختصر أبي عمرو بن الحاجب في الفقه وصل فيه إلى كتاب الصيد في سبع مجلدات، وإختصر جامع بن يونس شرح المدونة، و صنف في الوثائق و المناسك في علم المساحة، ورد على تقي الدين بن تيمية في مسألة الطلاق[2].

وكانت له اليد الطولى في علم الفقه والأصول والعربية والفرائض، وكان يحكى أنه حفظ مختصر ابن الحاجب في الفروع في مدة ثلاثة أشهر و نصف، و حفظ موطأ مالك بن أنس وعرضه، و دخل دمشق سنة (707هـ- 1307م) و درس الفقه بالجامع الأموي[3]، ويبدو من العبارة التي أوردها إبن فرحون حول فقيهنا إنتهت إليه رياسة الفتوى في مذهب

---

(1) محمد مخلوف ، المرجع السابق ،ج1، ص538

(2) المرجع نفسه، ج1، ص554

(3) الجامع الأموي: هو من أكبر جوامع المسلمين و أقدمها، وأشهرها و أنتها، أمر ببنائه عبد الملك بن مروان سنة89د/700م، و أكمله الوليد بن عبدالملك، و إستقدم لبنائه أشهر الصناع، فأتى بإثني عشر ألف صانع من بلاد الروم إشتهر بزخرفته البديعة، و نقوشه الجميلة، له سبعة أبواب خارجية، إبن جبير، المصدر السابق، ص235

مالك بالديار المصرية الشامية[1]، أإن الرجل شاعت فضائله ببلاد الشام كله، لاسيما بعد أن إنتهت إليه رياسة الجامع الأموي في تدريس الفقه المالكي، مع العلم أن هذا الصرح العظيم لا يتصدر لتقديم حلقات الدرس به إلا العلماء من ذوي الكفاءة العلمية الكبيرة و المقدرة الفكرية البارزة

محمد بن عمر الهواري (751هـ-834هـ/1350-1439م)

كان الشيخ الهواري كثير الترحال، فإنتقل إلى بجاية، وأخذ بها عن عبد الرحمن الوغليسي، وأحمد بن إدريس البجائي و غيرهما، ثم إنتقل إلى فاس، أين أخذ عن موسى العبدوسي العبدوسي [2]، والقباب[3] ثم سافرإلى مصر و هناك أخذ عن الحافظ العراقي، كما تصدر للقراءة و الإقراء بالأزهر الشريف بها، ثم سافر إلى الحجاز فجاور بالمدينة المنورة مدة ومنها إنتقل إلى بلاد المقدس و جال ببلاد الشام ، ومكث بالجامع الأموي، مدرسا ثم عاد إلى وهران و إستقر بها و أسس زاوية درست بها مختلف العلوم الدينية[4].

إشتهر **محمد بن عمر الهواري** بكراماته، فيصفه التنبكتي " بالشيخ الصالح الولي الكامل العارف بإسم الواصل العالم العامل الكثير الكرامات[5] وقال بعضهم:"كان الشيخ أية في فنونه ومكاشفتاه، و كراماته"[6]، كما إشتهر **محمد بن عمر الهواري** بكتابي السهو

---

(1)إبن فرحون، الديباج، المصدر السابق، ج2، ص 283.

(2)هو أبو عمران موسى بن محمد بن معطي العبدو سي، الفاسي، عالمها و مفتيها، وبها عرف له تأليف منها تقييد أن أحد هما على المدونة، و أخر على الرسالة، توفي سنة 776هـ-1374م ، قاسم مخلوف، المرجع السابق، ج1 ، ص338.

(3) هو أحمد بن قاسم الجذامي الفاسي أبو العباس، و يعرف بالقباب، فقيه مالكي تولى القضاء بفاس و إعتزل، و عكف على التدريس بالجامع الأعظم بفاس، توفي سنة 778هـ/1375م، التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص102

(4)إبن حجرالعسقلاني، الدرر الكامنة، المصدر السابق، ج3، ص 211

(5)عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص348

(6)التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج2، ص 151

والتنبيه، قال عنه القاضي ابن الأزرق[1]: وقفت لبعض العصريين على أنه ألف السهو الذي جعل عليه التنبيه، أخذه الفقيه أبو زيد المعروف بالمقلاش، فأصلح فيه أشياء، وزنا و إعرابا، و أتى به للشيخ فقال:" يا سيدي، أصلحت سهوك" فقال له:"هذا السهو يقال له سهو المقلاش، وإنما سهوي يبقى على ما هو عليه، وإنما ينظر فيه إلى المعنى، ومن أين العربية والوزن لمحمد الهواري، بل سهوي يبقى على ما هو"[2] ومن هذا المعنى أنشدوا:

وما ينفع الإعراب إن لم يفن تقى وما ضر ذا تقوى لسان معجم[3]

إضافة إلى كتاب (تبصرة السائل)، و كتاب (التسهيل)، و ثلاثة منظومات في التصوف[4]، توفي بن عمر الهواري بوهران، في ربيع الثاني سنة 843هـ/1439م، و دفن بها.[5]

إبراهيم بن فائد الزواوي(796هـ-857هـ/1393م -1453م)[6]:أبو إسحاق ابراهيم بن فائد بن موسى بن هلال الزواوي القسنطيني، ولد بجبال جرجرة سنة 796هـ-1393[7]، حفظ القرآن الكريم في صغره[8].

---

[1] هو أبو عبد الله محمد بن علي عرف بابن الأزرق الغرناطي، قاضي الجماعة بها إمام وفقيه، عزة أبي الفتوح و أبي إسحاق العبدوسي و غيرهم، من أشهر تآليفه كتاب بدائع السلك في طبائع الملك، انتقل الى عدان بعد أن استولى المسيحيون على الأندلس، ثم ارتحل منها إلى بلاد المشرق، و تولى قضاء بيت المقدس، توفي 895هـ-/1489م، لسان الدين ابن الخطيب، ج2، المصدر السابق، ص699 ، ينظر: محمد مخلوف، المرجع السابق ، ج1,ص378

[2] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق ، ص516

[3] التنبكتي ، المصدر السابق، ص517

[4] عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص349

[5] عادل نويهض، معجم الأعلام ، المرجع السابق ، ص337

[6] يحي بوعزيز، أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م، ص296

[7] محمد قويسم، المرجع السابق، ص 159

[8] يحي بو عزيز، المرجع السابق، ص296

ثم إنتقل إلى بجاية و تفقه بها على العالم علي بن عثمان المنجلاتي[1]، ومنها رحل إلى تونس وأخذ عن كبار علمائها، أخذ الفقه عن عبد الله الأبيي، و التفسير عن القاضي أبي عبد الله القلشاني كما أخذ الأصول عن عبد الواحد الغرياني، حج وجاور مرارا و حضر مجلس إبن الجزري (سنة 828هـ-1424م)، وأخذ عنه شهاب بن يونس، ولقيه البقاعي (سنة 828هـ-1424م)، كما ذكر السخاوي أنه لقيه بمكة في هذه السنة[2].

وبعد ذلك رجع إلى بجاية و تفرغ للتدريس و التفقه على علمائها، قبل أن يرحل إلى قسنطينة لنفس الفرض أين إلتقى بالعالم التلمساني إبن مرزوق الحفيد (ت842هـ-1439م) فأخذ عنه غالب العلوم و إستقر بها.

و عكف على التدريس و التصنيف بها[3]، قال عنه البقاعي "... إنه رجل صالح من المشهورين بين المغاربة بالدين و العلم و عليه سمات الزهاد، وأجاز لي رواية جميع ما يجوز له و عن روايته......"[4]، تضلع ابن فائد في علوم عديدة و ساهم في علم الفقه بمؤلفات منها:

السبل لمقتطف أزهار روض خليل كتاب (تلخيص التلخيص) يقع في مجلد واحد وهو شرح (لتلخيص المفتاح)[5]، و"تلخيص البيان" [6]، أي تلخيص كتاب البيان و التحصيل لما إستخرجه

---

(1)هو علي بن عثمان المنجلاتي البجاني الزواوي أبو الحسن من علماء بجاية و فقهاء أواخر القرن الثامن الهجري /الرابع عشر ميلادي، عادل نويهض، معجم الأعلام، المرجع السابق، ص162

(2)السخاوي، الضوء اللامع، المصدر السابق، ج1، ص60

(3)يحي بو عزيز، المرجع السابق، ص296

(4)السخاوي، المصدرالسابق، ج1، ص86

(5)التبكتي، نيل الابتهاج ، المصدر السابق، ج2، ص57

(6)الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص06

من التوجيه و التعليل لابن رشد الجدا[1]، كتاب " تسهيل " في فقه المالكية[2]، كتاب "فيض النيل في شرح مختصر خليل"، وهو شرح لمختصر خليل في مجلدين[3]، كتاب :تحفة المشتاق في شرح مختصر خليل بن اسحاق" وهو شرح وافي على مختصر خليل، كما ذكر أبو القاسم الحفناوي، أنه شاهده في خزانة الشرفاء بمراكش"[4] توفي إبراهيم إبن فائدة بمكة المكرمة سنة 857هـ -1453م[5]

إبراهيم التازي (ت **866**هـ-**1461**م)[6]:

هو إبراهيم بن محمد بن علي التازي " نسبة لقبيلة تازة" بالمغرب الأقصى وبها عرف، نزيل مدينة وهران[7]، و يعرف بالإمام أبو إسحاق[8]، من أهل المغرب الأوسط، قرأ القران الكريم على العالم أبي زكريا يحي الوراغي ، و إطلاعه على دقائق المذهب المالكي من خلال حفظه " **لمختصرخليل** "[9] فإن قرائته لكتب الحديث، ولاسيما البخاري أيام مجاورته للحرم الشريف ، وإتفاق مشيخة الحرم على تقديمه لصلاة التراويح في رمضان لحسن قراءته دليل أخر على أن إبراهيم التازي كان على درجة لا بأس بها من الثقافة ، و هذا ما جعل

---

[1]هو أبو الوليد محمد ابن رشد، قاضي الجماعة بقرطبة ولد سنة 450هـ/058اm و توفي سنة 520هـ/1125م من مؤلفاته البيان و التحصيل، النباهي المالقي الأندلسي أبو الحسن، تاريخ قضاة الأندلس المسمى"كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء و الافتاء"، ط5، تحقيق :لجنة احياء التراث العربي ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1983م، ص 98

[2]عادل نويهض، معجم الأعلام، المرجع السابق ، ص160

[3]السخاوي، المصدر السابق ، ج1، ص116

[4]الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص06

[5]إبن القاضي، المصدر السابق، ج1، ص193ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، المصدر السابق، ج6، ص16

[6] إبن مريم، المصدر السابق، ص ،624 ينظر: الحفناوي، المرجع السابق، ج2،ص ص 07-12

[7]مدينة بالمغرب الأوسط على ساحل البحر، قيل أن تأسيسها كان سنة 290هـ/900م، من قبل جماعة من الأندلسيين البحاريين، وبها مرسى كبير للسفن، الحميري، المصدر السابق، ص612

[8]التنبكتين نيل الابتهاج، المصدر السابق، ج2 ، ص59

[9] إبن مريم، المصدر السابق، ص123

صاحب الضوء اللامع يصفه بالرجل العالم الصالح[1] .

هذه الثقافة إزدادت ثراء عقب إنتقاله إلى بلاد المشرق مع رفيقه في العلم، أحمد الماجري[2]، في حدود(سنة 832هـ-1426م)[3] .

و هذا من خلال الشيوخ الذين تتلمذ عليهم ، وأنواع العلوم التي تلقاها و مختلف الاجازات التي تحصل عليها ومن شيوخه نجد تقي الدين اأبو محمد بن أحمد بن علي الحسيني الفاسي الأصل المكي الدار، قرأ عليه الكثير من كتب الحديث و الرقائق و أجازه سنة 832هـ-1426م.

و أهم المؤلفات التي درسها علية هي : جميع كتب " الشفا" للقاضي أبي الفضل عياض476هـ-544هـ[4] - جميع " الألفية " لجمال الدين أبي عبد الله بن الملك 600-672هـ[5]

له الكثير من كتب الحديث "كموطأ "الامام مالك بن انس و جميع " السنن " لأبي عبد الرحمان بن شعيب النسائي ت 303هـ، و جميع " رسالة القشيري " ، و له عدة

---

(1) السخاوي، الضوء اللامع،ج1، المصدر السابق، ص187

(2)هو أحمد بن محمد بن علي الشهاب أبو العباس المصمودي التلمساني، أحد فقهائها المالكية، العلامة العابد الورع الزاهد، أخذ عن العالم إبن مرزوق الحفيد، توفي بعد سنة837هـ/1430م، القرافي، المصدر السابق، ص260،ينظر: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص118 ، ينظر:عادل نويهض، معجم الأعلام، المرجع السابق، ص64

(3)عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص48

(4) أبو الفضل عياض بن موسي بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي :عالم المغرب و إمام أهل الحديث في وقته، وكان أعلم الناس بكلام العرب و أنسابهم و أيامهم ، ولي قضاء سبة ثم غرناطة من تصانيفه "الشفا بتعريف حقوق المصطفي و " الغنية " و" ترتيب المدارك و تقريب المسالك في معرفة اعلام مذهب مالك" و "مشارق الانوار" ، الزركلي ، المرجع السابق، ج5 ، ص99

(5) محمد بن عبد الله بن مالك الطائي: أحد ائمة علوم اللغة العربية و لد في جيان بالأندلس، وإنتقل إلى المشرق من أشهر مؤلفاته، الالفية" في النحو ، وله " تسهيل الفوائد" في النحو و شرحه " و الكفاية الشافية " ، المرجع نفسه، ج6،ص233

إجازات فأجازه أبو الفتح محمد بن أبي بكر القرشي الشافعي(775-859) في المدينة المنورة ولما حج لبس الخرقة[1]من شرف الدين المراغي.

كما لبسها من المتصوف صالح بن محمد الزواوي[2]، أخذ **التازي** عن علماء كبار، فأخذ بمكة عن القاضي محمد بن أحمد الحسني الفاسي، بالمدينة عن أبي الفتح بن أبي بكر القرشي، و بتونس عن الحافظ العبدوسي[3] و بتلمسان عن العلامة ابن مرزوق الحفيد، و أجاز له[4]، كما أخذ عن محمد بن عمر الهواري، الذي تبرك به و إستقر بوهران(سنة 833هـ-1429م)، إستجابة لطلبه ومكث بها عشر سنوات، و بعد وفات شيخه، أسس زاوية خاصة به عرفت بزاوية إبراهيم التازي، ضمت عدة مرافق و كانت مجهزة بخزائن الكتب، وغرف للزوار، وعابري السبيل، و أوقفت عليها عدة أوقاف[5].

وأخذ عنه كل من الحافظ التنسي، و الإمام السنوسي وأخيه على التالوتي، والشيخ زروق[6]،

---

(1)هو مصطلح صوفي، و هي ما يلبسه الشيخ المريد تعبيرا عن إذنه بأنه أصبح من العارفين باد، و يذكر السهر وري أن الخرقة خرقتان، خرقة إرادة* و خرقة تبرك و كلاهما من التصوف، ينظر: عبد المنعم حنفي، المرجع السابق، ص189 (ج) هو صالح بن محمد بن موسى بن أحمد بن محمد بن ابراهيم الحسني، أبو محمد الزواوي الأصل، المالكي، ثم القاهري ولد سنة 770هـ/369ام، حج و جاور بالمدينة المنورة مدة، وسمع بها على الزين المراغي، توفي سنة 839هـ/1435م، السخاوي، الضوء اللامع، ج3، المصدر السابق، ص315 ينظر : التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق ، ص129

(2)عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص49

(3) الإمام عبد العرين بن موسى بن معطي العبدوسي، الحافظ الفقيه التونسي، أخذ عن أبيه أبي عمران العبدوسي و الرصاع، بلغ درجة كبيرة في الحفاظة، توفي سنة 837هـ/1433م، التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ج2، ص270

(4)اعبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص49

(5)محمد المنوني، **إبراهيم التازي نموذج بارز للتبادل الثقافي بين المغربين خلال القرن 9هـ/15م**، مجلة الثقافة العدد،1، 1989م، الجزائر، ص150

(6)التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ج2 ، ص118

كان إبراهيم التازي من الأولياء الصالحين، و العباد الناصحين، متقدما في علوم القرآن، حافظا للحديث، وملما بالفقه و أصوله، قال عنه القلصادي في رحلته :"أقمت بوهران مع الشيخ المبارك سيدي إبراهيم التازي، خليفة الهواري في وقته، و كان له إعتناء بكلام شيخه"[1] ،ووصفه ابن مريم بـ" العالم العلامة الناظم البليغ، الولي الورع الزاهد الصالح الناصح العارف، القطب صاحب الكرامات و الأحوال البديعة العجيبة، و القصائد الرائعة الأنيقة"[2].

وقال عنه التنبكتي: "....كان كلامه في طريق التصوف ومقام العرفان، لا يقوم بمعناه إلا من تمكنت معرفته وقويت عارضته، وذاق من طعم الحي ما توفرت به مائدته...."[3]، وقد إشتهر التازي بقصيدته المعروفة بالمرادية، و هي قصيدة في التصوف، و سميت بالمرادية لأنه إفتتحها بقوله: "مرادي"، هذا مطلعها:

مرادي واين وغاية آمالي دوالم الرضا عيبي والعفو عن أعمالي

وثوير قلبي بإنسلال سخيمه به أخلدتني عن ذوي الخلق العالي[4].

توفي إبراهيم التازي في التاسع من شعبان عام 866هـ/1462م، بوهران و دفن بها ثم نقله تلامذته إلى قلعة بني راشد[5]، بعد الإحتلال الإسباني لمدينة و هران بطريقة سرية[6]

---

(1)القلصادي، المصدر السابق، ص 111

(2)إبن مريم، المصدر السابق، ص58

(3)التنبكتي، المصدر السابق، ج1 ، ص118

(4)عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص55

(5)قلعة بني راشد: قلعة قديمة بالقرب من تلعسان تقع بين غليزان و معسكر، ينظر: Tomas Show, voyage dans la région d'Alger ou description géographique , physique, philologique , etc., déc. cet états tr d’anglais, J.Mc Cathy Marlin, éditeur, Paris 1980 p41

(6)عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص52

الفقيه ابن مرزوق الكفيف:

هو محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر أبن مرزوق العجيسي التلمساني [1]، ولد بتلمسان ليلة الثلاثاء في غرة ذي العقدة 824هـ [2] الموافق ل 27 أكتوبر 1421م[3]، نشأ بتلمسان وأخذ عن علمائها الأجلاء وعلى رأسهم والده إبن مرزوق الحفيد فأخذ عنه الفقه على المذاهب الأربعة عامة وعلى الفقه المالكي خاصة.

ثم الحديث فقرأ عليه الإمام البخاري وموطأ الإمام مالك فأجازه وروى عنه [4]، وأخذ الفقه كذلك والأدبيات والبيان وعلم التصوف، والطب عن أبي الفضل محمد إبن الإمام[5] كما درس عن الشيخ الفقيه القاضي قاسم بن سعيد العقباني، وأخذ علم التفسير والنحو عن الشيخ محمد بن العباس العبادي[6] ، ومن تلمسان إتجه في رحلته العلمية نحو فاس كعادة- طلاب العلم على عهد عصره فجلس إلى علماء فاس ومنهم :

---

[1] السخاوي، الضوء اللامع، ج5، المصدر السابق، ص 45ينظر: التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ج2، ص262, ينظر:إبن القاضي، درة الحجال، المصدر السابق ، ص 205

[2] التنبكتي، نبل الابتهاج، المصدر السابق، ج2، ص 202، ينظر: الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص 172

[3] المصدر نفسه ، ج2، ص262

[4] هو محمد إبن إبرهيم إبن أبي زيد ابن الإمام أبو الفضل إمام عالم علامة أعتبر أحد أقران إبن مرزوق الحفيد، تصفه المصادر بتاج العارفين وأعجوبة الزمان إشتغل بالتدريس في تلمسان، وكان عالما بالمعقول فهو أول من أدخل شامل بهرام في فروع المالكية لبهرام القاضي المالكي بمصر والمتوفي سنة 805هـ إلى تلمسان، توفي أبو الفضل سنة 845هـ، القلصدي، رحلته، المصدر السابق، ص108، وعن بهرام ينظر: البغدادي اسماعيل باشا، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، ج5، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، 1413 هـ-1992م، ص244.

[5] إمام عالم ومحقق من كبار علماء تلمسان في وقته واعتبر شيخ المفسرين النحاة توفي في 10 ذي الحجة 871 هـ بالطاعون ودفن بالعباد، القلصادي، المصدر السابق، ص109ينظر: التتبكتي، المصدر السابق، ج 02، ص231

[6] هو أحمد بن محمد بن عيسى أبو العباس البجائي عد من فقهاء وعلماء فاس فهو من كبار قراء فاس ، النتبكتي، نيل الابتهاج، ج 1، المصدر السابق، ص، 121

أبو العباس البجائي فراجع معه مختلف العلوم الدينية وعلم القراءات على الخصوص ومن فاس، كانت وجهته نحو الجزائر فلازم علمائها ومنهم عبد الرحمن الثعالبي وقد إستفاد منهم كثير خاصة علم التفسير وعلم الحديث[1].

ثم واصل رحلته نحو بجاية وباشر عالمها محمد المشدالي وأخذ عنه الفقه والتفسير والمنطق والطب[2] ، ومن بجاية واصل رحلته نحو تونس وإستفاد من علمائها ومنهم : الشيخ عبد الله البحيرى[3]و الشيخ محمد الجذامي[4] وقد تدارس معهم مختلف العلوم الدينية والعقلية[5]

وبهذه الرحلة العلمية يكون أبو عبد الله قد أخذ حظه من العلم والمعرفة فبرزت مكانته العلمية، وكي يتميز عن سلفه أصبح يكنى بالكفيف بعد أن فقد بصره لإتمام أركان الإسلام .

عزم على الرحلة إلى المشرق لآداء الركن الخامس حيث وصل مكة المكرمة سنة 861هـ [6]، بعد إتمام مناسك الحج كانت الفرصة للإلتقاء بالعلماء الأجلاء والأخذ عنهم ومن البقاع المقدسة يعود إبن مرزوق الكفيف إلى تلمسان وكله تقوى وورع ، وعلم ومعرفة.

---

(1) التنبكتي، نيل الابتهاج،المصدر السابق، ج1، ص121

(2) هو محمد ابن أبي القاسم بن عيد الله اشتهر بالمشدالي نسبة لمشدالة بطن من قبيلة زواوة ولد عام 820هـ/1417م فهو من العلماء المدرسين ببجاية توفي سنة 866هـ-1462م، التنبكتي, المصدر نفسه، ج2، ص220- 262

(3) هو عبد الله بن سليمان بن قاسم البحيري التونسي إمام علامة من علما ء تونس إختص في قضاء الأنكحة والتدريس بتونس، التنبكتي، نفسه، ج1، ص250

(4) هو محمد إبن محمد إبن إبراهيم إبن العقاب الجذامي التونسي من أئمة فاس وصل مرتبة قاضي الجماعة وإمام جامع الزيتونة و مدرسها توفي سنة 851هـ-1447م، التنبكتي، نفسه، ج1، ص250

(5) نفسه، ج1، ص206

(6)السخاوي، المصدر السابق، ج5،ص,46ينظر: المقري ، المصدر السابق ، ج5 ، ص419.

تصفه المصادر ومن ذلك قول إبن داوود البلوي[1] شيخنا الإمام علم الأعلام فخر خطباء الإسلام سلالة الأولياء وخلف الأتقياء المسند الرواية المحدث العلامة القدوة- الحافل الكامل أبو عبد الله ابن سيدنا شيخ الإسلام خاتمة العلماء الأعلام، الحبر البحر الناقد الحرير[2] المشاور العمدة الكبير ذي التصانيف العديدة والأنظار السديدة أبي عبد الله بن مرزوق.[3]

و قال المقري فيه: محمد بن مرزوق الكفيف إمام عالم علامة وهو والد أمي جدي أحمد فوالدة- الجد أحمد بنت الكفيف قضى بقية حياته بالتدريس بتلمسان، وأقبل عليه الطلبة من جهات عديدة، وانتفعوا به كثير وأصبح الشيخ ابن مرزوق الكفيف من أعيان علما ء المالكية بتلمسان، وبعد 76 سنة من عمره قضاها كلها في رحاب العلم والمعرفة آخذا ومعطيا أدركته المنية في سنة 901هـ-1495م.

كما إشتهر ببجاية خلال هذه الفترة الفقيه **حمزة بن محمد بن الحسن البجائي** (ت902هـ-1517م)، الذي وصفه المؤرخين بأنه خاتمة كبار فقهاء المالكية ببلاد المغرب، و كان الفقيه حمزة قد إرتحل إلى بلاد المشرق لأداء فريضة الحج و زار بلاد الشام، ثلم إستقر بالقاهرة، وتصدر للإفتاء و التدريس بها[4].

وخلاصة القول أن علماء المغرب الأوسط إهتموا بعلم الفقه إهتماما كبيرا، تجلى

---

(1) هو علي بن أحمد بن داوود البلوي الأندلسي الغرناطي، عالم علامة إمام فقيه خطيب ومدرس وقارئ في سنة 890هـ إنتقل مع أولاده من الأندلس إلى تلمسان وإستقر بها، محمد بن غازي المكناسي، فهرس إبن غازي التعلل برسوم الإسناد بعد إنتقال أهل المنزل والناد، تحقيق: محمد الزاهي، دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء 1399 هـ -1979 م، ص32

(2) الحرير : بكسرها الحادق الماهر العاقل المجرب المتقن الفطن البصير بكل شيء لأنه يحر العلم ، القاموس المحيط، ص433

(3) التنبكتي، نيل الإبتهاج، ج2، المصدر السابق ، ص262، وذكره كذلك ابن غازي في فهرسته بنفس الوصف، ص174

(4) محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص105

هـذا الإهتمـام في كثـرة تألـيفهم، و إختلافهـا مـن رسـائل و حواشـي و شـروح و تعليقـات علـى أهـم الكتـب الفقهيـة الشـائعة آنـذاك، كمـا أنهـم سـاهموا بهـذه الشـروح و التعليقـات بإشـاعة هـذه الكتـب في بلادهـم، و قـد حـرص هـؤلاء الفقهـاء علـى توجيـه طلبـتهم للإهتمام بهذا العلم أيضا، كما حصل مع الفقيه أحمد بن زكري، و شيخه أحمد بن زاغو.

كمـا إتضـح أن أغلـب الفقهـاء شـذوا الرحـال إلى بـلاد المشـرق، علـى اعتبارهـا منبـع العلـوم الشـرعية و مصـدرها، و ذلـك للتعمـق في مختلـف الجوانـب الفقهيـة، و الإطـلاع علـى كـل مـا هـو جديـد في هـذا العلـم مـن فتـاوى و مؤلفـات، و كـذا حرصـوا علـى ملازمـة كبـار فقهـاء و علمـاء هـذه الـبلاد، حـتى راجـت بـلاد المغـرب الأوسـط بالعلمـاء و الفقهـاء و كثـرت التأليف و الشروح و المتون، في الفقه المالكي، التي سرعان ما نافست نظيرتها في المشرق الاسلام.

ثـانيـا: الـدراسـات الأدبيـة واللّغويـة

لقـد حظيـت اللغـة العربيـة وعلومهـا بعنايـة كبـيرة جـداً أن شـرفها الله بأن نـزل القـرآن الكـريم بهـا، فأصـبحت لغـة الأمـة الإسـلامية ذات الجـذور العريقـة الممتـدة في أعمـاق التـاريخ لـذلك نـرى أهـل هـذه اللغـة قـد إهتمـوا بهـا كثـيرا فـأرخوا لهـا، وجمعـوا وإسـتنبطوا منهـا الأصـول وضـعوا القواعـد كـل ذلـك بغيـة المحافظـة عليهـا مـن الـدخيل أو التـأثير بلغـات الأقـوام الاخـرى وحمايتهـا خاصـة بعـد الفتوحـات الإسـلامية الكـبرى ، والـتي نجـم عنهـا إخـتلاط واسـع بـين العـرب وشـعوب البلـدان لمفتوحـة مـن غـير العـرب، ولهـذا عرفهـا حـاجي خليفـة بأنهـا العلـوم الـتي يحترز العـرب مـن الخطـأ في كلامهـم لفظـا وكتابيـة[1]، وتسـمى بعلـوم اللسـان العـربي و تشـكلت من أربعة أقسام هي اللغة والنحو والبيان و الأدب[2].

---

[1]حاجي خليفة، المصدر السابق ، ج2، ص 1556

[2]إبن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 546

أما اللغة فهي عبارة المتكلم في مقصودة وهي فعل لساني[1]، أما النحو فهو علم قوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب والبناء وغيرها وقيل النحو يعرف به أحوال الكلام من حيث الإعلال وقيل علم بأصول يعرف بها صحة الكلام وفساده[2]، إذا به يتبين أصول المقاصد بالأدلة فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخير ولولاه لجهل أصل الإفادة[3]، أما البيان فهو عبارة عن إظهار المتكلم المواد للسامع من كلامه[4]

إن فترة موضوع البحث (7-9هـ/13-15م) وحسب المصادر التاريخية ولاسما المشرقية أنها كانت تعج بكبار الأدباء واللغويين في كل البلدان وحواضر المشرق الإسلامي كحجاز والشام والعراق وخاصة مصر، ولكن رغم كثرة أهل الإختصاص في هذا المجال فإزدادت بهم المجالس العلمية إلا أن ذلك لم يمنع من بروز العديد من العلماء المغاربة عامة وعلماء المغرب الأوسط بالخصوص الذين شاركوا بدورهم في إزدهار الحياة الفكرية حيث إستقطبت الحواضر المشرقية العديد من طلبة العلم من حلقات الدروس، بل الكثير من علماء المشرق سجلوا بإعجاب تفوق هؤلاء المغاربة يضاف إلى هذا أن بعض رجال الحكم في المشرق الإسلامي، إهتموا بالتفوق المغربي من خلال تقربهم لبعض العلماء إلى مجالسهم الخاصة ومشاورتهم وإجراء المنح والأعطيات عليهم لحفظ كرامتهم وتجنيبيهم حياة العوز ومن أبرز العلماء المغاربة : إبن مالك النحوي جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي[5](ت 672هـ-1274م) .

---

[1] ابن حلدون ،المقدمة، المصدر السابق، ص 546

[2]علي بن محمد الجرجاني، التعريفات ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1983، ص 105

[3]إبن خلدون، المقدمةن المصدر السابق، ص 547

[4]الجرجاني، المصدر السابق، ص 31

[5]نسبه إلى مدينة جيان وهي مدينة واسعة بالأندلس تتصل بكورة البيرة في شرق قرطبة، البغدادي ، مراصد الإطلاع، المصدر السابق، ص364

لقب بشيخ النحاة إنطلاقا من سعة علمه وإطلاعه وخبرته الواسعة في هذا العلم، الأمر الذي أهله لأن يتسلم رئاسة المدرسة العادية الكبرى، (وأما اللغة فكان إليه المنتهى في الإكثار من تقبل غريبها والاطلاع على وحشيها، وأما النحو والتصريف فكان بحر لا يجارى و حبر لا يبارى، وأما "شعار العرب التي يستشهد بها على اللغة فكان أئمة الإعلام يتحيرون ويعجبون من أين يأتي بها وكان ينظم الشعر سهلا عليه"[1]، توفي بدمشق في شهر رمضان[2]، ودفن بتربة القاضي عزت الدين بن الصائع بجبل قاسيون

ويبرز أهميته بأنه ذان صاحب مدرسة كتب خالدة لفترة طويلة من الزمن إلى درجة إن أغلب النحويين الذين خلفوه من المغارية والشاميين، لم يتمكنوا من التأليف والإنتاج بالشكل الذي يجاريه، وتوقف الأمر بأن أقدم كثير من مشاهير النحويين على شرح مؤلفاته وهذا إن دل على شيء فإنما يدل حقا على المستوى الرفيع و المتقدم الذي بلغه ابن مالك في حقل النحو، لدرجة إن مؤلفاته بلغت أكثر من عشرين مؤلفا[3].

وقد كشف الصفدي في ترجمته عن منهج التعليم الذي كان يعتمده ابن مالك النحوي، المتميز في الطرق الاخرى، فذكر أنه أثناء إعطاءه الدرس كان يستشهد بأمثلة من أشعار العرب، فإن لم يجد يلجأ إلى الآيات القرآنية، فإن تعذر عليه يلجأ إلى الحديث وكان قبل بدء الدرس يجلس بالمدرسة العادلية ، فإن لم يجد احدا من الطلاب يذهب إلى النافذة المطلة على الطريق وينادي " القراءات العربية ثم يدعو ويذهب ويقول: أنا لا أري أن ذمتي تبرأ إلا بهذا فإنه قد لا يعلم أني جالس في هذا المكان لذلك[4]، ومن مؤلفات إبن

---

[1] الحنبلي، المصدر السابق، ج5، ص 339

[2] يذكر الحنبلي أن وفاته كانت في شهر شعبان، ودفن بالروضة قرب الموقف ، المصدر نفسه، ج5،ص339

[3] الصفدي ، المصدر السابق، ج2 ،ص359

[4] الصفدي، المصدر السابق،ج3، ص 359

مالك في النمو تذكر كتابة " المفتاح في أبنية الأفعال" ، ويقال له" اللامية" وكتاب إيجاز التعريف في علم التصريف وإكمال الإعلام بما تلت الكلام" والمقدمة الآسدية" ، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد " ، وهي مؤلف أجاز فيه قواعد النمو وتحديث عنه ابن خلدون في كتابة " الرحلة" ويبقى كتابة الشهير بالألفية أبرز وأهم كتاب وصفه ابن مالك في النحويين فيه مقاصد واهداف هذا العلم وقد عبر عن ذلك شعرا في بداية كتابة بقوله:

أَسْتَعِين اللّهُ فِي أَلْفِيَّةِ مَقَاصِدُ النَّحْوِ بِهَا مَحْوِيَّهْ.

وقد صفت هذه الالفية خلال فترة اقامته بحماة[1] ، ومن خلال البيت بالكافية الشافية[2]، وهي أبرز مؤلف في النحو في تلك الفترة حيث مدرسة النحو بدمشق ونسج لاحق على منوالها مثل ألفية السيوطي التي قال عنها أنها فائقة ألفية إبن مالك لكن ألفية ابن مالك فازت بعناية الكثرين من أئمة النحو.

فتناولوها مع بقية مؤلفاته الآخرى بالشرح والتفسير ، كان إبنه بدر الدين في مقدمتهم "تلاه الشهاب الشاغوري الذي شرح كتب" تسهيل الفوائد" وأكمله صلاح الدين الصفدي وشرحه الأندلسي أثير الدين الغرناطي والعلامة جمال عبد الله بن هشام (ت762هـ-1361م)، وكتاب سماه" التحصيل والتفصيل" وشرح الالفية ، العلامة بدر الدين إبن مالك الذي تتلمذ على يد والده لفترة طويلة هيئته لأن يكون في عداد النحويين المشهورين

[1]Pouzet louis, op,cit, , P167

[2] ختم ابن مالك ألفيته بقوله: حوي من الكافية" الخلاصة" كما اقتضى رضا بلا خصاصة، الصفدي، المصدر السابق، ج2، ص362

وكان قد درس النحو بالمدرسة الأمينية[1] ، وألف كتابه في النحو "روضة الاذهان" وبهاء الدين إبن عقيل وبدر الدين الحسن المصري المعروف بإبن أم القاسم، وقد تخرج على يد إبن مالك النحوي عدد كبير من طلبة العلم[2] ، كان لهم شأن كبير فيما بعد على صعيد العلم وعلى صعيد الإدارة منهم المدرس محمد بن عبد الرحمن السلمي المعروف بإبن النويره (ت675هـ-1277م)[3]، وزين الدين البركات المنجا بن عثمان بن اسعد (ت695هـ-1296م)[4]،)ومحمد بن محمد شمس الدين الانصاري الشافعي الذي توفي بعد أستاذه سنوات (ت682هـ-1284م) ، محمود بن سليمان بن فهد الحنبلي (ت775هـ-1325م)[5] وغيرهم.

أ- إسهامات علماء المغرب الأوسط في مجال النحو

ومن أشهر النحويين من علماء المغرب الأوسط نجد :**إبن عبد المعطي يحي بن عبد النور الزواوي**:هو يحى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي ،المغربي الحنفي النحوي، المولود سنة 564 هـ-1168م ، حسب العديد من المصادر التي ترجمت له، فإنه قد ولد بظاهر بجاية حيث كانت تسكن قبيلته[6]، و يدعم هذا الرأى و يقويه، أنه قد تتلمذ على العالم الجزولي، الذي أقام بمدينة بجاية حيث عمل هناك، وإلتف الناس حوله ينهلون علمه[7].

---

[1] المدرسة الأمينية: من مدارس الشافعية بدمشق بناها السلطان أمين الدولة سنة 531هـ- 1130م، النعيمي، المصدر السابق، ج1، ص 177

[2] المقري، المصدر السابق، ج2، ص 427

[3] موسى بن محمد اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج3، ط2، تحقيق:محمد السليمي، الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، 1992م، ص 270

[4] إبن كثير ، المصدر السابق، ج13،ص 321

[5] إبن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، المصدر السابق، ج2، ص 278

[6] بوزياني الدراجي، القبائل الامازيغية، أدوارها، مواطنها، و أعيانها، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م، ص ص225- 226.

[7] ابن خلكان، المصدر السابق، ج6، ص 197 ينظر: السيوطي، البغية، المصدر السابق، ج2، ص 344

أما ابن معطي في صباه ، فلم يذكر عنه شيء إن أغفله المؤرخون، و كأنهم نسوه أو تناسوه، فلم يفطنوا إليه إلا بعد أن أظهر براعته و علمه، فقد شارك في العديد من العلوم من تأليف وتصنيف ، حيث لفت الأنظار إليه و إهتم الناس به، و أصبحوا يتابعون أخباره.

وإذا ألقينا نظرة على المكتبة العلمية التي تركها تعطينا صورة عن هذا العالم الذي كرس صباه على العلم و التعليم، وكفاه فخرا أنه ألف ألفيته المشهورة، وهو لم يتجاوز بعد الحادية و الثلاثين من عمره، وهذه البشري المبكرة أوصلته إلى فهم علوم النحو و إتقانها والتأليف فيها شعراً[1].

ابن معطي عصره ورجلاته

عاش ابن معطي في فترة كانت دولة الموحدين تبذل قصاري جهدها في توحيد بلاد المغرب وحيث الدعوة الجديدة إلى تحديد المفاهيم الإسلامية[2]، و إكساب المسلمين روح القوة و المنعة في الدفاع عن أنفسهم و عن أرضهم ، كي تكون لهم دولة مستقلة، تطبق الشريعة، و كان صاحب الرؤية والدعوة هو مؤسس دولة الموحدين، المهدي بن تومرت، و مع الدعوة السياسية القوية، و ما رافقها من إستعدادات عسكرية لتثبيت أركان الدولة، رافقها أيضا الإهتمام بالآداب و الفكر والثقافة، فإزدهرت علوم العربية من نحو و لغة

---

(1)عبد العزيز بن جمعة الموصلي، خرح ألفية ابن معطي، ج1، ط1، تحقيق و دراسة : علي موسى الشوملي، دار البصائر، الجزائر، 2007م، ص 11- 12

(2)كان فضل الموحدين على المعارف عظيما، فإنهم حافظوا على ما إختاروه منها ،كما شجعوا كثيرا من العلوم التي لم تكن رائجة أو كان محظور رواجها في العهد المرابطي، و طبعوا كل ذلك طابعهم الخاص، و إن تشجيعهم للمعارف التي كانت شائعة في عهدهم بلغ مبلغا عظيما، و كان تشجيعا ماديا و أدبيا تفننوا فيه ما شاءت لهم هممهم الكبيرة أن يتفننوا، محمد المنوني، حفارة الموحدين، دار توبقال للنشر و التوزيع، الجزائر، 2009م، ص 14.

وعروض وبيان و تاريخ وسير[1]، وشهدت دولة الموحدين علماء كبار في علوم اللغة العربية كابن الجزولي(ت 607هـ-1210م)وغيرهم .

وأصبح كل عالم من هؤلاء، مدرسة قائمة بذاتها، فإنتشرت المدارس النحوية هنا و هناك، فهذه مدرسة فاس وهذه مدرسة سبتة، و هذه مدرسة طنجة و هذه مدرسة إشبيلية و غيرها[2].

نشأت فكرة نظم المسائل اللغوية والنحوية، فأنشاء العلامة ابن المناصف أرجوزته المسماة بالمذهبية، حيث نظمها بمراكش سنة 620هـ - 1223 م، ثم قام ابن معطى و هو الرئد الحقيقي في هذا المجال، فنظم ألفيته المعروفة.

كما نظم في العروض و القراءات في هذا الجو العلمي نشأ ابن معطي، وخطر على فكره أن يرحل إلى الشرق، فقد أعجب المغاربة بالمشرق إعجابا شديدا حتى أن العلماء المغاربة قد اقتادوا من المشارقة في أشياء كثيرة[3].

، وجاء إلى دمشق حيث الدولة الأيوبية التي إهتمت بالأدب و الأدباء كإهتمامها بإعداد الجيوش والدفاع عن أرض الإسلام و المسلمين، جاء ابن معطي إلى هذا الجو الجديد، حيث يعيش الناس أحلى لحظات العمر بانتصارات صلاح الدين الأيوبي، و سحقه للصليبيين الغزاة، الذي غير وجه التاريخ في المنطقة بإنتصاراته.

و مكن لنشاط فكري ظهرت نتائجه، بما أنتجت من كتب و نفائس قيمة ، أثرت

---

[1]عبد العزيز بن جمعة الموصلي، المرجع السابق، ج1، ص 12

[2] المرجع نفسه، ج1، ص12.

[3] نفسه، ج1، ص13

مجال المكتبة العربية كالفن[1],وقد نشأ ابن معطي في عصر أنجب علماء كثر في تخصصه منهم :

عبد الله بن بري المصري النحوي اللغوي المتوفي (سنة 599هـ -1202م) [2]، و أبو اليمن الكذدي، الإمام تاج الدين النحوي اللّغوي المقرئ المحدث الحافظ، المتوفي(سنة 613 هـ -1216م)[3] ، و ابن الإمام علي بن عبد الله النحوي المقرئ المتوفي (سنة 633هـ -1235 م ، و ابن الخباز علي الشيخ شمس الدين الموصلي النحوي الضرير المتوفي (سنة 637 هـ -1239م)، والسخاوي أبو الحسن علي بن محمد كان إماما في النحو و اللغة و التفسير، المتوفي (سنة 643 هـ -1245 م) [4]، و ابن الحاجب جمال الدين أبو عمرو صاحب الكافية في النحو، المتوفي (سنة 646هـ -1248 م)[5].

رحلاته وإشعاعه العلمي:

رحلات العلماء في الغالب تكون لسببين ، إما طلبا للرزق وإيجاد لقمة العيش، وإما طلبا للعلم، ويبدو أن رحلات ابن معطى هنا من النوع الأول، إن لوكان طلبا للعلم، فهو متوفر في بلده.

حيث أتقن علوم عصره حتى وصل إلى رتبة عالية، فأصبح عالما مبدعا، وجو علمي كهذا لا يتركه إلى سواه، خاصة و أنه عندما وصل إلى دمشق جلس للتعليم حيث التف

---

[1] عبد العزيز بن جمعة الموصلي،المرجع السابق ، ج1، ص12

[2] السيوطي، البغية ، المصدر السابق، ج2، ص 34

[3] المصدر نفسه، ج2، ص 570

[4] ا نفسه ،ج2، ص 192.

[5] نفسه ، ج2 ، ص 134.

حوله الطلاب ينهلون من علمه، يدرسهم الأدب والنحو وعلوم اللغة[1]، وهناك شاهد أخر يقوي سعيه للرحلة من أجل تحسين وضعه المادي والإجتماعي، وهو أبياته الشعرية التي تصور أعماق أحاسيسه و حقيقته كما يرها هو، حيث قال بعد أن منح لقب زين الذين:

قَالُوا تَلَقُّبَ زَيْنِ الَّذِينَ فَهُوَ لهُ نَعْتُ جَمِيلُ بِهِ قَدْ زَيَّنَ اِلْأَمْنَا
فَقُلْتُ لَا تَعْذُلُوهُ إِنَّ ذَا لقب وَقْفٍ عَلَى كُلِّ بَخْسٍ وَ الدَّلِيلُ أَنَا[2]

إنسان يعيش في راحة و سعادة، و يجد لقمة العيش، لا يقول مثل هذه الأبيات، وما أظنه قائلا:إن لقمة خبز يسد بها رمقه أفضل من ألقاب الدنيا قاطبة ، هذا الجو من ضيق ذات اليد، جعله يغادر بلده طلبا لحياة أفضل، وجاء إلى دمشق، و إستقبله سلطانها إستقبال عالم لعالم، فقد كان الملك عيسى ابن محمد الأيوي المتوفي (عام 624 هـ-1227م)،، سلطان الشام عالماً من العلماء، محبا للعلم مكرماً للعلماء، عالما بالفقه الحنفي وبعلوم اللغة العربية، حيث عرف قدره ووضعه في مكانه المناسب، وأكرم وفادته و أبعد عنه عائلة الجوع والعوز، فولاه النطر في مصالح المساجد، فإستراحت نفسه، وجلس في الماجد يقرئ الناس الأدب و اللغة، ثم توفي الملك المعظم عيسى فتولى الملك الكامل الحكم في (العام 624هـ - 1227 م)، فإتصل ابن معطي بالملك الكامل، وكان هذا الملك كسابقه محبا للعلم و للأدب وللأدباء[3]، ومما يروى عن الملك الكامل الأيوبي، أن حضر مجلسه جماعة من العلماء في دمشق، فألهم الملك الكامل وكان عالما، قال: زيد ذهب به، فهل يجوز في زيد النصب ؟ فقالوا لا.

فقال ابن معطي: يجوز النصب على أن يكون المرتفع ب "ذهب" وهو الذهاب،

---

(1)إبن كلخان، المصدر السابق ، ج6، ص 197.
(2) السيوطي، المصدر السابق، ج2، ص344
(3)عبد العزيز بن جمعة الموصلي، المرجع السابق،ج1، ص 15

وعلى هذا فموضوع الجار والجرور الذي هو "به" النصب في يجيء من باب زيد مررت به، إن يجوز في زيد النصب فكذلك ها هنا، فإستحسن الملك الكامل جوابه وطلب منه السفر معه إلى مصر، فسافر ولم يحدد المؤرخون له وقت سفره إلى القاهرة، و لكنه على الأرجح بعد(سنة 624 هـ - 1227 م) بقليل، و قرر له الملك راتبا على أن يقرئ الناس الأدب بالجامع العتيق بمصر، و هو جامع عمرو بن العاص، و بدأ ابن معطى بعمله، حيث جلس لتدريس الأدب و النحو، و لكن القدر عاجله، و لم يمهله طويلا[1]

مؤلفاته:

تفيدنا المصادر التي ترجمت لابن معطي، أن الرجل ترك إنتاجا غزيرا في علم النحو و الشعر و يكفيه فخر أنه أول من نظم إطار متكاملا في علم النحو في شكل منظوم عرف بالألفية، و على العموم فإن هذا الإنتاج يكشف عن أصالة فكره وعمق رؤاه وجرأته في طرح أفكاره التي يعتقد أنها صحيحة و تصمد أمام النقد، لتقامها على مرتكزات عقلية سليمة، و قد ذكر المؤرخون المؤلفات التالية:

الألفية في النحو[2]، أتمها (سنة 595هـ /1198م) وهي أشهر ألفية لإبن معطي، ونظرا لعبقريته المتميزة التي أبان عنها في الألفية، فقد لاقت إهتماما كبيرا من الدارسين في المشرق والمغرب، وشكلت مادة أساسية في حلقات دروس النحو في المدارس والمعاهد و الجوامع الكبرى التي كان يعطى كذا الدروس و الشروح المختلفة.

كما إهتم الباحثون من ناحية الشروح التي وضعت عليها، خاصة في المشرق عامة، و بلاد الشام خاصة، كشرح محمد بن يعقوب الدمشقي المتوفي (سنة 718هـ -1318 م)، و شرح شمس

---

(1) عبد العزيز بن جمعة الموصلي،المرجع السابق ج1، ص 16.

(2)ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج6، ص 197 ينظر: السيوطي، البغية، المصدر السابق، ج2 ، ص344

الدين أحمد بن محمد الآربلي المتوفي (سنة 637 هـ - 1239 م) " الغرة المخفية في شرح الدرة الألفية، وشرح الشيخ زين الدين عمر بن مظهر بن الوردي المتوفي (سنة 749هـ- 1348م) و سماه ضوء الدرر، وشرح عبد المطلب بن المرتضى الجزري، المتوفي (سنة 735هـ -1334).

وشرح الشيخ أكمل الدين محمد بن محمود الحنفي، ألفه في شهرين (سنة 741هـ-1340م) سماه الصدفة الملية بالدرة الألفية، وشرح الشيخ محمد بن جابر الأعمى، المتوفي(سنة 780 هـ-1378م) في ثماني مجلدات، وشرح شهاب الذين أحمد بن محمد القدسي الحنبلي المتوفي(828 هـ - 1328 م)، وشرح أبي عبدالله محمد بن الناس الحموي، و شرح عبد العزيز بن جمعة بن زيد النحوي، المعروف بالقواص الموصلي[1]، ويعتبر ابن معطي الرائد في إستعمال لفظ الألفية في أشعاره، فقد أطلق على ألفيته هذه التسمية حيث قال:

مَحْوِيُّهُ أَسِفَارَهُمِ المويه   هَذَا تُمَّامٍ

تبعه بعد ذلك ابن مالك حيث قال:

وتقتبي رِضَا يُغَيِّرُ سُخْطُ فَائِقَةُ   أُلْفِيَّةُ اِبْنِ مُعْطٍ

وتبعه بعد ذاك الناس، فقد إستعملها أيضا زين الدين أبو التقى شعبان محمد بن داود بن على المعري ت (سنة 828هـ - 1424م)، حيث ألف ألفية في النحو سماها كفاية الغلام في إعرب الكلام[2]، وإلى جانب تفرد ابن معطي بالألفية، فقد تفرد بشيء أخر حيث إعتاد الناس أن ينظم الشاعر قصيدته أو أرجوزته على بحر واحد ، إلا أن ابن معطى قد خرج على هذه القاعدة، و نظم ألفية على بحرين ، هما الرجز والسريع.

ومع أن عددا من المشتغلين بالنحو والأدب قد أثنوا على مقدرة ابن المعطي الفنية

---

[1]عبد العزيز جمعه الموصلي، المرجع السابق، ج1، ص 60

[2]المرجع نفسه،ج1، ص 61.

في توفيقه بين البحرين الرجز والسريع، وإاعتبروه دليلا على مقدرته الفنية العالية، حيث أن التقارب كبير جدا بين الرجز والسريع، حتى لا يمتزه إن من أوتي أذنا موسيقية مرهفة، إلا أن نظمه على هذه الطريقة كان من العقبات التي أثرت على إنتشار و إشتهار ألفية ابن معطى، فالبحر السريع من أثقل البحور الشعرية ، لما يدخله من زحافات وعلل ، ولا يعرف سببا مقنعا لابن معطى لنظمه قصيدة على بحرين مختلفين[1].

أحمد بن محمد شهاب الدين العنابي(ت776هـ-1374م)

ولد بمدينة عنابة لقب بشيخ النحاة لمعرفته العميقة في علم النحو[2]، قال عنه النعيمي :"كان شيخ النحاة بالمدرسة الناصرية بدمشق قصده الناس من كافة الجهات للأخذ عنه و إنتفعوا به ، وعظم قدره و إشتهر ذكره [3]، و درس في بلاد المغرب الأوسط بعنابة قبل أن يتوجه إلى المشرق فحط الرحال بمصر و إنكب على دراسة النحو ، و تعمق فيها على يد أثير الدين بن حيان الغرناطي ، لينتقل بعدها إلى دمشق و توفي بها.

أبو بكر بن عمر علي بن سالم رضي الدين القسنطيني (ت 695هـ-1295م) أحد أبرز علماء النحو أخذ اللغة العربية عن ابن معطي الزواوي، و ابن الحاجب فأصبح من كبار أئمة اللغة العربية، وسمع الحديث عن ابن عوف الزهري و جماعة من العلماء المبرزين ، وكان له معرفة تامة بالفقه و مشاركة في الحديث و حسب السيوطي فإن القسنطيني كان صالحا دينا متواضعا ساكنا ناسكا[4].

---

[1] من بين الشروحات الهامة التي تدرس بالجامعات المتخصصة في اللغة العربية و أدابها، هناك شرح للألفية الشيخ أبي الفداء زيان بن فائد الزواوي بعنوان، القبس النحوي في نظم الزواوي، ط1، تأليف الحسن مرداس السباعي، دار الكلم الطيب، دمشق، 1425هـ-2004م،ص210

[2] علي أحمد ، المغاربة و الأندلسيون ، المرجع السابق ، ص 163

[3] النعيمي، المصدر السابق ، ج1، ص357

[4] جلال الدين السيوطي، البغية ، المصدر السابق، ج1، ص138,

أما في **القدس الشريف** فقد تصدر العالم **نصر الدين الزواوي** (ت 826هـ-1428م) و لمدة عشرين سنة قضاها في تدريس اللغة العربية ، وقد تخرج على يديه العديد من طلبة العلم(1)، ذكره العيني ووصفه بالعلم و الفضل و الزهد(2)، و ما ميز هذه الفترة هو حالة الركود في حركة التعليم في مختلف الحواضر المشرقية التي تعرضت إلى هجومات المغول(3)، وما أعقب ذلك من دمار و خراب لهياكل العمران خاصة دور العلم و الزوايا و المدارس، مما تسبب في تعطيل الحركة العلمية في معظم المدارس, و هذا ما علق عليه أحد الشعراء قائلا:

تَصَدَرَ للْتَدْريس كُـلَ مَهَـــووس بَليد يُسَمي بالْفَقيه المُـــدَرس

لَقَدْ هَزُلَتْ حَتَي بَدَا منْ هَزالْهَا كُلاهَا و حَتَي سَـــمَاهَا كـُلَ مُفْلس(4)

ومـن الـذين ذاع صـيتهم مـن أعـلام القـرن التاسـع هجـري العلامـة أحمـد بـن محمـد الآبـدي البجـاوي (ت 861هـ-1468م) ، تعلـم ببجايـة عـن محمـد بـن يحـي البويوسـفي و محمـد بـن محمـد القمـاح الأندلسـي، رحـل إلى مصـر فحضـر دروس القـاباني وإبـن قديـد، وحـج فأخـد بالمدينـة المنـورة عـن جمـال الـدين الكـازوري، ثم عـاد إلى مصـر فإسـتقر بهـا و تصـدر للتدريس بالجامع الأزهر، و درس بالإسكندرية و درس بالمدرسة الباسطية(5) .

كـان متقـدما في النحـو و الصـرف و الفقـه و العـروض لاسـيما في اللغـة العربيـة الـتي قـل مـن كـان يدانيـه فيهـا مـن أهـل زمانـه، عـرض عليـه قضـاء المالكيـة بعـد وفـاة السـنباطي فإعتـدر

(1)عادل نويهض، المرجع السابق، ص167

(2)مفتاح خلفات ، المرجع السابق، ص509

(3) علي أحمد ، المغاربة و الأندلسيون، المرجع السابق ، ص307

(4) المقريزي، الخطط، المصدر السابق، ج2، ص380

(5)السخاوي ،الضوء اللامع، المصدر السابق ، ج2 ، ص264

بضعفه ، و كان يلقب بالألقاب المشرقية بشهاب الدين[1] ، له عدة إسهامات جليلة منها "شرح مفيد" توجد منه نسخة بالخزانة العامة بالرباط[2]، وله كتاب "بيان كشف الألفاظ" التي لابد للفقيه من معرفتها و كتاب "الحدود النحوية" كلاهما محفوظ بدار الكتب المصرية بالقاهرة، توفي في شهر رجب(سنة 861هـ-1468م) و دفن بتربة الصلاحية [3]

ب – إسهاماتهم في مجال الشعر

الشعر ديوان العرب و ذلك للأهمية التي أولاها العرب للشعر في الجاهلية و صدر الإسلام و ما بعدها من العصور الإسلامية ، ولا يزال يحتفظ بتلك الأهمية إلى يومنا الحالي وهناك من يعتبر الشعر علما قائما بذاته ، يبحث عن أحوال الكلمات الشعرية ، لا من حيث الوزن و القافية بل من حيث حسنها و قبحها من حيث أنها شعر [4]،و من الأسماء البارزة في ميدان الشعر من علماء المغرب الأوسط، و التي ذاع صيتها بفعل الدواوين التي ألفوها و القصائد التي ألقوها ، و سارت على الألسن في البلاد المشرقية نذكر:

عفيف الدين التلمساني :عفيف الدين أبو الربيع بن علي العابدي الكومي التلمساني، المعروف بإسم العفيف التلمساني من الأدباء الشعراء[5] ولد العفيف(سنة 610هـ-1213م)، كان يدعي العرفان و يتكلم على إصلاح القوم يصفه إبن شاكر "كان حسن العشرة كريم الأخلاق، له حرمة ووجاهة، وقد خدم في عدة جهات[6] .

---

(1)عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص 35

(2)المقريزي ، المصدر السابق ، ج2، ص242

(3) الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص 229,

(4) أحمد بن مصطفي، المرجع السابق، ص162

(5) عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق ، ص235

(6) ابن شاكر، المصدر السابق، ج2، ص72

تلقي علومه الأولي بتلمسان في مجال العلوم الشرعية و اللغوية، و تتلمذ على يد الشيخ صدر الدين القونوي ت 672هـ-1273م و هو تلميذ محي الدين إبن العربي المعروف بتعمقه الصوفي، ليقدم نمطا مميزا من التصوف من خلال المؤلفات التي تركها، وفي إتجاهات مدرسته من بعده وعلى هذا النحو، عرف العفيف تصوف ابن العربي[1]، إنتقل إلى بلاد الروم و عمل فيها، أربعين خلوة صوفية تدوم كل واحدة أربعين يوما، يخرج من واحدة ويدخل في الأخرى[2].

ورحل إلى دمشق و نال فيها شهرة واسعة كشاعر مميز، فإبن عماد يصف القيمة الإبداعية و الفنية لشعر التلمساني حيث يقول : ".. شعره في الذروة العليا من حيث البلاغة "[3] .

أما إبن شاكر الكتبي فيقول : " إن شعره جيد للغاية"[4] ومن الأهمية بمكان القول أن ديوان التلمساني في معظمه، يدور حول تلك الأفكار الصوفية التي ظهرت عند ابن عربي و ابن سبعين، لكننا نقف عند أهم فكرتين في الديوان، حيث أوقف العفيف أغلب أشعاره على تصويرهما و هما الوحدة و المحبة[5]،يقدم التلمساني بإشارات عن فكرة الوحدة بمفهومها الصوفي، و هذه الفكرة يشرحها القشيري وهو مرجع كبير في التصوف : " ويعني كونه سبحانه واحدا على لسان العلم قيل هو الذي لا يصح في وصفه الوضع و الرفع، بخلاف قولك إنسان واحد، لأنك تقول: إنسان بلا يد و لا رجل ، فيصح رفع شيء منه

---

(1) يوسف زيدان ، محقق ديوان عفيف الدين التلمساني ، ج1، دار الشروق ، القاهرة ، ص11

(2) عمر موسي باشا ، **العروبة في شعر العفيف التلمساني** ، مجلة الاصالة ، العدد 26، مطبعة البعث ، قسنطينة، 1975 م، ص334

(3) ابن عماد الحنبلي، المصدر السابق ، ج5، ص412

(4) ابن شاكر، المصدر السابق ، ج2، ص76

(5) يوسف زيدان، المرجع السابق، ص35

، و الحق سبحانه أحادي الذات بخلاف إسم الجملة ... و قال بعض أهل التحقيق : معني أنه واحد نفي القسيم لذاته، و نفي التشبيه في حقه و صفاته و نفي الشريك معه في أفعاله و مصنوعاته ....[1] ومن قصائده في تأكيد إيمانه بوحدة الوجود :

شَهِدَتْ نَفْسُكَ فِينَا وَ هِيَ وَاحِدَةٌ كثِيرَةٌ دات أَوَصافٍ وَ أسماء

وَ نَحْنُ فِيكَ شَهِدَنَا بَعْدَ كَثْرَتِنَا عَيْنًا بِهَا اِتَّخَذَ الْمَرْئِيُّ وَ الرَّائِيُّ

فَأَوَّلَ أُنْتُ وَمِنْ قَبْلَ الظُّهورِ لَنَا وَ آخر أَنْتَ عِنْدَ النَّازِحِ النائي

وَ بَاطِنٌ فِي شُهُودِ الْعَيْنِ وَاحِدَةً وَظَاهِرَ لِإِمْتِيَازَاتٍ بِأَسْمَاءٍ

أَنْتَ الْمُلَقِّنُ سِرًّا أَلَا أَفُوهُ بِهِ وَ أَنْتَ نُطْقِيٌّ وَ المصغي لنجوائي [2]

الفكرة الثانية هي المحبة أي الحب الالهي عند الصوفية ، هو جوهر العرفان لذلك فإن متون التصوف تفيض بالمعلومات حول هذا الجانب ، و من الأبيات الشهيرة لشعر العفيف التلمساني عن المحبة قوله:

وَاصَلَنِي هَجْرٌ مِنْ أَحُبٌّ فَلَمْ يَغِبْ وَ لَا وَ لَا يَغِيبُ

فَلَوْ يَكُونُ السُّلُوُّ حَيًّا مَا مَاتَ مِنْ هَجْرِهِ الْمُحِبِّ

وَارِ حَمَّمَتَا لِإِنْكِسَارِ جَفْنٍ لَا يُعَرِّفُ الصَّحْوُ مِنْهُ هُدْبٌ

يَا غُصْنًا لَا يُمَيِّلُ نَحْوِي وَ الْمَيْلُ فِي الْغُصْنِ مُسْتَحَبٌّ

صَيَّرْتْنِي كَالْنَّسِيمِ سُقْمًا لِمْ لَا تَمَيُّل إذا أ هَبَّ [3]

إسم أخر من شعراء المغرب الأوسط أسهم بقسط وفير بشعره في البلاد الإسلامية

---

[1] القشيري ، الرسالة ، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، (د.ت)، ص ص298-299

[2] يوسف زيدان، المرجع السابق ، ص68

[3] المرجع نفسه، ص 99

المشرقية، هو شمس الدين محمد بن عفيف التلمساني بن شمس الدين علي الشهير **بالشاب الظريف** ولدبمصر سنة 661هـ- 1263م[1]، لما كان والده صوفيا بخانقاه سعيد السعداء[2]، ثم إنتقل مع أبيه إلى دمشق و بقي ومعه حتي وفاته شابا لم يتجاوز الثلاثين من العمر ,تتلمذ الشاب الظريف على يد أبيه عفيف الدين و ابن الاثير الحلبي [3].

إستفاد الشاب الظريف من ميراث والده الشعري ، فبرع بالشعر خاصة أهل دمشق ، قال عنه الصفدي :" شاعر مجيد بن شاعر مجيد "[4] ، وقال ابن تغري بردي :"كان شابا فاضلا ظريفا، شعره في غاية الحسن و الجودة ، و ديوان شعره مشهور بين الناس "[5]، ترك الشاب الظريف ديوان شعر مشهور لقي تفاعلا من قبل المهتمين، و تنوعت المضامين الشعرية لديوانه من مدح و غزل و افتخار و غيرها، وتوفي في دمشق سنة 688هـ-1289م

الشاعر يحي بن محمدبن علي ابن مجاهد بن مجاهد بن عبد الرحمن بن سعيد بن خلف أبو زكريا الخزرجي من أهل تلمسان ، نزل حلب و سكنها , كان من أهل الأدب و الفضل، ويحفظ القرآن الكريم , و يقول الشعر خاصة المدح و الغزل[6].

الشاعر أحمد بن خلوف القسنطيني (ت899هـ- 1494م):

أحمد بن عبد الرحمن الشهاب أبو العباس أبي القاسم الحميري الفاسي الأصل، القسنطيني المولد، التونسي الدار، و لد (سنة 829هـ-1420م) بقسنطينة قال عنه عبد الله

---

(1) محمد الصالح الصديق، أعلام من المغرب العربي ، ج1، موفم للنشر، الجزائر ، 2007م، ص 02

(2) الصفدي، المصدر السابق ، ج2، ص 218

(3) شمس الدين محمد بن عفيف الدين التلمساني ، ديوان شعره ، تحقيق : صلاح الدين الهواري ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، 2004م، ص 19

(4) الصفدي ، المصدر السابق، ج2، ص 219

(5)إبن تغري بردي، المصدر السابق، ص 256,

(6) محمد بن شرفة ، تراجم مغربية من مصادر مشرقية، ط1، مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء،المغرب،1996م،ص 156

الحمادي :" أنه لمن دواعي الدهشة و الغرابة أن تجتمع في شاعر، كل هذه الأنساب، و الأصول المتعددة و المتجانسة في مضمونها، فهو فاسي مغربي الأصل قسنطيني المولد، حجازي فلسطيني مقدسي النشأة و الثقافة، تونسي الدار و القرار و الشهرة الأدبية و الوفاة"[1] ، تعلم بن خلوف على يد والده ثم علماء مصر ، ولازم أبو القاسم النويري في الفقه و اللغة العربية و الأصول، حتى كان جل إنتفاعه به، و أخذ الرواية عن شهاب بن ارسلان[2]

ثالثا: إسهاماتهم في ميدان العلوم العقلية

ذكر ابن خلدون العلوم العقلية قائلا "أما العلوم العقلية التي هي من طبيعة من حيث أنه ذو فكر غير مختصة بملة ، بل بوجه النظر إلى أهل المِلَل كلهم ويستوون في مداركها ومباحثها وهي موجودة في النوع الانساني منذ كان عمران الخلفية .

وتسمى هذه العلوم علوم الفلسفة والحكمة"[3]، ونالت العلوم إهتمام العلماء في مختلف العصور الإسلامية ذلك لصلة هذه بمفردات حياتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية والصحية وغير ذلك[4] .

ويشير أحمد أمين إلى أن العلوم العقلية من طب ومنطق ورياضيات ونحو دلك قد بدأت في الأمة الإسلامية منظمة لأن الأدوار الأولى أدوار الأبحاث الجزئية ، كانت قد قطعت من أزمان بعيدة في أممها كاليونان والهند والفرس، وكانت قد وصلت إلى مرحلة

---

(1) عبد الله حمادي ، دراسات في الأدب المغربي القديم، دار البعث، قسنطينة، 1986م، ص146

(2),السخاوي ، الضوء اللامع، المصدر السابق، ج5 ، ص122

(3)ابن خلدون ، المقدمة ، المصدر السابق ، ص 478.

(4) خليل ابراهيم السامرائي ، دراسات في تاريخ الفكر العربي ، جامعة الموصل ، 1983م، ص301.

التنظيم والتدوين والتبويب ،فلما نقلت في العصر العباسي إلى اللغة العربية نقلت بهيئتها الكاملة ،ولم تحتاج إلى أن تمر بالمراحل الطبيعية من جديد[1].

أولا : إسهامات علماء المغرب الأوسط بميدان الطب :

عرف ابن خلدون علم الطب بقوله :"صناعة تنظر في بدن الإنسان من حبس بمرض ويَصِح، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية بعد أن يتبين المرض الذي يختص كل عضو من أعضاء البدن وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها، ولكل مرض من الأدوية مستدلين على ذلك بأمزجة الأدوية ...."[2].

وعرف العرب قبل الإسلام الطباعة التي تطورت تطوراً بارزاً مع ظهور الإسلام ونشأة الدول العربية الإسلامية في مختلف مراحلها تكويناتها السياسية ، وإن العرب والمسلمين إهتموا بالطب إلى جانب إهتمامهم البالغ بلغتهم ومعرفة أحكام شريعتهم[3] .

أما الطب في العصر الأموي بدأ يتأثر بالاتجاه اليوناني من خلال ترجمة المؤلفات الطبية من قبل الأطباء العرب والإستفادة من معلوماتها[4].

وتطور الطب في العصر العباسي حيث كان أغلب النقلة من الذين تعلموا من مدرسة جند نيسابور بفارس ولم يأخذ العرب الطب عن الفرس، وإنما أخذوه من كتب

---

[1] أحمد أمين ، ضحي الاسلام ، لجنة التأليف و الترجمة و النشر ,القاهرة ، 1936م، تاريخ الإنشاء و الاضافة، 2016م، ص168.

[2] إبن خلدون، المقدمة، المصدرالسابق، ص493

[3] عمر فروج ، تاريخ الادب العربي ، ج3، دار العلم الملايين ، بيروت ، (د.ت) ، ص464.

[4] ابن النديم ، الفهرست ، ط2 ، تحقيق :إبراهيم رمضان ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، 1417هـ-1997م، ص511.

اليونان مباشرة ، ومن أشهر ناقلي كتب الطب يوحنا بن ماسويه (ت.242هـ-857م) ، وحنين بن اسحاق (ت.260هـ-873م)وثابت بن قرة الحراني (ت.288هـ-901م)[1].

ومن الجدير بالذكر إن الممارس لمهنة الطب يخضع لإمتحان و مراقبة مستمرين لإثبات كفاءته ، ومهمة المراقبة تقع ضمن مسؤوليات المحتسب[2] ، فعلى الطبيب إجتياز الإمتحان بكتاب (مهنة الطبيب) لحنين بن اسحاق وكتب أخرى.

وأن يأخذ عهد أبقراط[3]، وفي حالة نجاحه تقع عليه المسؤولية إن هو أخطأ في تشخيص المرض أو وصف دواء غير مناسب[4]، لذلك وضعت شروط صارمة على من يزاول مهنة الطب وهي الحصول على تصريح رسمي (إجازة) من أستاذ يشهد له بعلمه وكفاءته فضلا عن قسم اليمين[5] .

إتخذ المجال الطبي مكانة مرموقة في المدة التي نحن بصددها (7-8و9هـ/13-14و15م) ولاسيما أن الحكام من الأيوبيين ، والمماليك كانوا قد إحتضنوا الأطباء وقدموا لهم الدعم الذي يستحقونه.

وقد يكون ذلك سببا في دفع الكثير للتوجه نحو البلاد الشرقية ومنهم الأطباء المغاربة الذين أظهروا تفوقاً ملحوظاً برز بشكل واضح في الخدمات الجليلة التي قدمها هؤلاء

---

[1]عبد المنعم ماجد ، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ط3، القاهرة ، 1973م، ص242.
[2] سيد حسين نص، مرجان العالم الإسلامي، دار بيروت للعلم ، بيروت، 1974م، ص 24.
[3] القلقشندي ، المصدر السابق ، ج4,ص 38،ينظر:محمد بن محمد ابن الاخوة ، معالم القرية في أحكام الحسبة ، تحقيق: محمد محمود شعبان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر 1976م، ص 256.
[4]عبد الله العمري ، تاريخ العلم عند العرب ، دار مجد لاوي ، عمان ، 1980م، ص87.
[5] السامرائي، المرجع السابق ، ص313.

في أدق المراحل للمجتمع الشامي[1] في أصعب الظروف التي واجهوها وقدموا خدماتهم ورعايتهم خاصة في عصر صلاح الدين الأيوبي أيام الحروب الصليبية[2].

وتبدو خصوصية وأهمية الأطباء المغاربة كونهم من الأطر العلمية المؤهلة للقيام بالتدريس لإحاطتهم ومعرفتهم الفائقة بهذا الحقل[3] ، فضلا عن إشراكهم في الحرب كأطباء في الجيش الأيوبي وأطباء في مدينة دمشق التي كانت حينذاك محور إستقطاب كل الفعاليات بإعتبارها قاعدة التحرير[4].

ومن الأطباء المغاربة نذكر :الفضل بن عمر الغساني[5] الذي خدم الأيوبيين فترة طويلة من الزمن ، كان معظمها في ساحات الحرب والمعارك التي دارت بين المسلمين والفرنجة في أرض فلسطين في أواخر القرن السادس هجري /الثاني عشلا ميلادي، وهو يشبه في عمله هذا إلى كبير رئيس المجموعة الطبية التي توافق القادة العسكرية وكان علامة زمانه في صناعة الكحل واعمالها بارعا في الأدب وصناعة الشعر وعمل المديحات[6] .

وهناك طبيب أندلسي شغل رئاسة المستشفيات بمدينة دمشق وهو المجد بن أبي الحلم[7]، الذي كان يمثل صورة ناطقة لعمل مشاهير الأطباء في البيمارستان وقد نقل لنا

---

(1) علي أحمد ، الدور الفكري للأندلسيين والمغاربة في المشرق العربي ، دار شمائل دمشق ،سوريا ،1989، ص310.

(2) علي أحمد، بلاد الشام ، المرجع السابق ، ص 39.

(3)مفتاح خلفات، المرجع السابق ، ص512.

(4) علي أحمد ، الدور الفكري، المرجع السابق، ص 310.

(5)حكيم الزمان أبو الفضل بن عمر عمر بن عبد الله بن حسان الغساني الحلياني ، ابن أبي أصبيعة، المصدر السابق، ص583.

(6)) إبن أبي اصبيعة، المصدر السابق، ص 583.

(7) أبو المجد محمد بن أبي الحشم عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلي من الحكماء المشهورين والعلماء المذكورين والافاضل في الصناعة الطبية ، الصفدي، المصدر السابق، ج4، ص24.

ابن أبي أصبيعة[1] ، جانبا من برنامجه اليومي الذي يبدأ بتفقد المرض والتعرف على أحوالهم وتتبع حالتهم ، وبعدها يصف لهم الدواء ،وكان يرافقه في ذلك المشرفين والمهتمين بالمرضى ثم يتجه بعد ذلك إلى الديوان الكبير الذي في البيمارستان (المستشفى) حيث تجري مباحثات طبية ، وخلال ذلك كان التلاميذ ينهلون من علم أساتذهم ، وقد تخرج على يده مجموعة من الطلبة منهم أبو الفضل محمد بن عبد الكريم[2] الذي أصبح من الأطباء المرموقين ، ومما يدل على براعته في علوم الطب مؤلفه الموسوم :كتاب الأدوية المفردة المرتب بحسب الحروف الأبجدية[3]، كما تم تعيين أبي عبد الله محمد بن عبدون الحبلي القرطبي للإشراف على مارستان الفسطاط، للعلم أن ابن عبدون هذا كان عالما بالحساب والهندسة بالاضافة إلى تخصصه في مجال الطب [4].

وقد وفد إلى مصر الطيب الأندلسي يحي بن اسماعيل الباشي الذي كان الطبيب الخاص لصلاح الدين الأيوبي[5]، وقد سار أبو الحجاج يوسف [6] في نفس المنحنى بحلب حيث جلس للطب والتدريس فضلا عما تركه من الكتب منها رسالة في ترتيب اللأغذية اللطيفة والكثيفة في تناولها، شرح الفصول لأبقراط ،وكذلك أبو الحكم عبد الله بن المظفر بن عبد الله [7].

---

[1] إبن أبي أصبيعة، المصدر السابق ، ص622.

[2] مؤيد الدين أبو الفضل محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن الحارثي الدمشقي ويعرف بالمهندس لمعرفته بالهندسة قبل دراسته الطب، إبن أبي أصبيعية، المصدر السابق ، ص 622.

[3] ابن أبي أصبيعية ،المصدر السابق ، ص 622.

[4] الحاج غيفة، المرجع السابق ، ص 115.

[5] المرجع نفسه، ص 116.

[6] أبو الحجاج يوسف الاسرائيلي مغربي من مدينة فاس ، رحل الى مصر ثم بلاد الشام واستقر في حلب، ابن أبي أصبيعة، المصدر السابق ، ص 648.

[7] المصدر نفسه ،ص 648.

ومن أبرز علماء المغرب الأوسط ممن مارسوا مهنة الطب في البلدان المشرقية نجد أبو جعفر عمر بن علي البذوخ (ت.576هـ-1180م) تعلم ونشأ بقلعة بني حماد [1]، حيث تعلم القرآن على يد أبي عبد الله الغديري [2]، ثم هاجر الى دمشق(حوالي 511هـ-1136م) وأقام بها طويلا وكان فاضلا خبيرا بمعرفة الأدوية المفردة و المركبة وله حسن نظر في الإطلاع على المرضى ، وكانت له دكان عطر بسُوق اللبادين[3] ،كان يجلس فيه ويعالج من يأتي إليه أو يستوصف منه وكان يهيئ عنده أدوية كثيرة مركبة يصنعها من سائر المعاجين والأقراص والسفوفات وغير ذلك يبيع منها وينتفع الناس بها[4] .

وكان معتنيا أيضا بالكتب الطبية والنظر فيها وتحقيق ماذكره المتقدمون من صفة الأمراض ومداوتها وله عدة كتب ، لاتزال مخطوطة أهمها الحواشي على كتاب القانون لابن سينا ، ذكر أيضا بإسم صدق العيون في تنقيح العيون [5]، وله شرح الفصول لأبوقراط في أرجوزة [6]، وشرح كتاب مقدمة المعرفة لأبوقراط في أرجوزة مما يعني أنه ,لأبوقراط في أرجوزة مما يعني أنه أول شارح لهذا الكتاب قبل ابن النفيس (607-687هـ/1210-

---

[1] عبد الحليم عويس، دولة بني حماد ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، المنصورة ، مصر ، 2002م، ص270.

[2] الغدير: قرية تبعد ثمانية اميال شرق مدينة قلعة بني الطويل أوقلعة بني حماد ، والغديري هو أحد علماء القلعة الصالحين الورعيين العفيفين كان يؤدب الصبيان ويخيط بأخوة وما يحصل عليه يتقوت بالقليل منه ، ويتصدق بالباقي، الإدريسي، المغرب وأرض السودان ومصر و الأندلس مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في إختراق الأفاق، مطبعة أبريل ليدن ، هولندا ، 1863م، ص92.

[3] اللبادين: نسبة الى عمل اللبود من الصوف وهي معاطف طويلة واللبادين سوق من أسواق دمشق وباب أيضا من أبوابها، ياقوت الحموي ، المصدر السابق، ج5، ص10 ينظر:ابن كثير، المصدر السابق ، ج14، ص 136.

[4]ابن أبي اصبيعية ، المصدر السابق، ص 628ينظر:عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق ، ص 362.

[5] بشير ضيف بن أبي بكر البشير بن عمر الجزائري ، فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث،ج3، الجزائر، (د.ت)، ص211,ينظر :عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص 270.

[6]ابن أبي اصبيعية ، المصدر السابق ، ص 628ينظر: خير الدين الزركلي، المرجع السابق ، ج 5،ص 215.

1288م)بنحو 112 سنة[1]، وله كتاب ذخيرة الإلباء في الباءة [2]ولطائف الأنوار في الطب[3]، والمفرد في التأليف عن الأشباه[4] ,وجاءت أهمية دور الطبيب عمر بن علي البذوخ من أنه جمع بين الطب والصيدلة حيث كان يحضر الدواء بنفسه [5]، وخاض ابن البذوخ غمار التأليف المتنوع مثل بقية الأطباء الفطاحل نحو السجزي(ت 1115م) تلميذ ابن سينا ، الذي ألف كتاب شرح كتاب الفصول لبوقراط والطبيب وعالم النبات المشهور عبد الله ابن البيطار (646هـ-1248م)، الذي ألف كتاب الأصول في شرح الفصول لبوقراط وكذلك ابن النفيس (687هـ-1288م)، ألف كتاب شرح الفصول أبوقراط وكتاب الموجز في الطب والجدير بالذكر حتى ابن سينا لخص كتابه القانون في أرجوزة من 1326بيتا وهو خلاصة الطب اليوناني والعربي .

وهكذا تتضح لنا مكانة ابن البذوخ العلمية في الطب وكان له إعتناء بعلم الحديث والشعر وله رجز كثير والتأليف بالشعر في التراث العربي كثيرة خاصة في الطب والصيدلة والكيمياء إلا أن شعره ضعيف منحل[6] ، له قصيدة في ذكر الموت والميعاد منها[7]، وعَمّر

---

[1] أحمد بن محمد أبو رزاق ، الأدب في عصر دولة بني حماد ، وزارة الثقافة ، طبعة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007 م، ص258ينظر: عمار هلال ، المرجع السابق ، ص 234.

[2] رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيعن الجزائر ، 1988م، ص278 ينظر: هيكل نعمة الله وإلياس مليحة ، موسوعة علماء الطب ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1991م، ص 62.

[3] اسماعيل البغدادي ، ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، ج1، دار الفكر ، القاهرة ، 1982م، ص 541، ينظر: حاجي خليفة، المصدر السابق ، ج2، ص403.

[4] الذهبي ، تاريخ الاسلام ، المصدر السابق، ج5، ص215ينظر: اسماعيل البغدادي ، هدية العارفين ،المصدر السابق ، ص784.

[5] الحاج غيفة، المرجع السابق ، ص 118.

[6] الصفدي ، نكث الهميان ، المصدر السابق، ص 220، ينظر: رابح بونار ، المرجع السابق ، ص278.

[7] الحصني محمد أديب آل تقي الدين ، كتاب منتخبات التواريخ لدمشق،ج2، تقديم: كمال سليمان الصليبي ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، 1979م ، ص 480.ينظر عادل نويهض ، المرجع السابق ، ص362.

طولا حتى ضعف عن الحركة وفقد البصر في أواخر حياته لماء نزل في عينيه لأنه كان يتغذى باللبن كثيرا و كان يقصد من وراء ذلك ترطيب بدنه وتوفي بدمشق[1].

ويجدر الإشارة الى أن أبي طاهر السلفي في معجمه ذكر إسم الطبيب أبو **حفص عمربن علي بن خليفة البذوخ القلعي** ، وأنه زار الإسكندرية ولَقِيَهُ (سنة 511هـ/1136م) بل وذكره بلفظ الطبيب بمدينة الاسكندرية ،ويرجع أنه طبيب آخر من آل البذوخ ،إن قراءة دقيقة للإسم يفهم أنه ابن عمه حيث أنه ابن خليفة وطبيب في الإسكندرية وليس عابرا لها فقط نحو دمشق[2] ، وذكره صاحب كشف الظنون أبو جعفر عمران إبن علي بن البذوخ.[3]

وهناك عالم أخر إمتهن حرفة الطب وكان له دراية واسعة في تصنيف وصناعة الأدوية هو **جمال الدين الزواوي** وهو غير القاضي المالكي جمال الدين الزواوي، حيث أن الأول طبيب توفي في منتصف القرن السابع هجري/ الثالث عشر ميلادي (ت.684هـ-1284م) مقتولا في طريقه إلىمدينة حمص[4]، وكان أول من درس الطب في اللبودية[5] ،وشارك إلى جانب غيره من الأطباء المغاربة في تكوين جيل من الطلبة الدمشقيين .[6]

---

[1] الصفدي ، المصدر السابق، ص 487.

[2] السلفي أبا طاهر أحمد بن محمد ، معجم السفر ، ج1، تحقيق :عبد الله عمر البارودي ،المكتبة التجارية مكة المكرمة، (د.ت) ، ص 231. ينظر بن محمد أبو رزاق، المرجع السابق، ص256.

[3] حاجي خليفة، المصدر السابق، ج2، ص403.

[4] ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، نشر: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ،1956م،ص266.

[5] اللبودية مدرسة خاصة تدرس الطب ملاصقة ببستان الملك البشيري بدمشق ، أنشأها نجم الدين بن محمد اللبودي (607هـ-670هـ/1207م-1270م) سنة 664هـ/1264م، عبد القادر النعيمي ، المصدر السابق، ج2،ص 135.

[6] علي أحمد ، الدور الفكري ، المرجع السابق ، ص 142.

وقد برز عالم جليل هو **أبو الفضل المشدالي ولد ببجاية** (821هـ-1418م) ينتمي إلى أسرة إشتهرت بالعلم والفقه والجاه[1]، ثم رحل إلى تلمسان (سنة 840هـ-1436م)، فأخذ عن ابن مرزوق الحفيد التفسير والحديث والفقه والأدب والطب والهندسة، وعن أبي الفضل بن الامام الطب والحديث .

وعن أبو العباس بن أحمد بن زاغو أخذ أصول الفقه والمعاني والبيان ودرس عليه مختصر ابن الحاجب و تمحص في ميدان الطب فأخذ عن أبو الحسن علي بن قاسم وابن فشوشي وإستمرت دراسته في تلمسان لمدة أربعة سنوات[2]، ثم عاد إلى بجاية (سنة 844هـ-1440م) وتصدر للإقراء بها .

وفي أواسط (سنة 845هـ-1441م) دخل تونس ثم إنتقل إلى طرابلس التي نزل بها في نفس السنة، حيث رحل قاصدا مصر غير أن مركبهم جنح إلى سواحل قبرص فنزل بها، وقد ناظر بعض الأساقفة النصارى في الأسقفية مدينة الملك [3].

ثم رحل إلى بيروت وبعدها إلى دمشق ثم دخل بيت المقدس (سنة 847هـ-1443م) ،إستقر بها مدة ثم قصد بيت الله الحرام (سنة 849هـ-1445م)، للحج فحجّ وجاور بمكة المكرمة وتصدر للتدريس[4]، ثم إتقل إلى مصر حيث سبقته شهرته العلمية وأتاحت له السلطات المصرية تولي التدريس خاصة في الأزهر الشريف[5] ، لم تلبث

---

[1] السيوطي ، نظم العقبان ، المصدر السابق ، ص160.

[2] مريم هاشمي ، إسهام علماء بجاية في الحركة العلمية في المغرب الإسلامي من خلال القرنين (**7و8هـ/13و14م**)، مجلة كان التاريخية ، العدد،21، 2013م، ص120.

[3] السخاوي، الضوء اللامع ، المصدر السابق ، ج 9، ص199.

[4] المصدر نفسه، ج 9، ص199.

[5] الحاج عيفة ، المرجع السابق ، ص 122.

أن توقفت الصلة بين **المشدالي ومحمد بن عبد الرحمان السخاوي** حيث قال في كتابه الضوء اللامع "وقد حصلت بيننا إجتماعات وصحبة ".[1]

فقد أشار السخاوي إلى خبرة المشدالي بالطب وإعجاب الناس به وتواضعه معهم كما عمل على تهيئة سبل الإلتقاء بين المشدالي وأستاذه وشيخه ابن حجر[2]، روي السخاوي قائلا :"....وأراد الله أن مرض ابن حجر بأمراض منها ضيق التنفس.... طال مرضه.

فذكر له الكمال والشرف ابن العطار بأنه يتعين أن ينظره المشدالي ليختص مرضه وينظر علاجه ،فإنه في الطب واحد عصر وفريد دهره.... فطلبه........ فعاده يوم الأحد منتصف ذي الحجة وهو في أشد المرض فإنبهج به إبتهاجا و تعظيما كبيرا" [3].

خلف المشدالي مدرسة واسعة في مصر والشام وإنتقل إلى دمشق وبيت المقدس و ألقى الدروس فيهما ، توفي في عين تاب (بين حلب و أنطاكية) سنة 864هـ-1460م وهو في الأربعينات من عمره [4].

ورغم كل ما قام به العلماء المغاربة عامة و علماء المغرب الأوسط من خلال الخدمات المعتبرة للمجتمع المشرقي في ميدان علم الطب، إلا أنه لم يلق الاهتمام الكافي

---

[1] السخاوي ، المصدر السابق ، ج 3، ص131.
[2] الحاج عيفة ، المرجع السابق ، ص 122.
[3] المرجع نفسه ، ص 123.
[4] أحمد أبو عصيدة البجائي ،رسالة الغريب الى الحبيب ، تعليق وتلخيص: أبو القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي ، ط1، بيروت ، لبنان ، 1993م، ص 33.

من لدن العلماء المغاربة, الذين ركزوا نشاطهم أكثر في حقل الدراسات الدينية ، فكان الطب أشد ضياعا في بلاد المغرب كما أورد ذلك الغبريني[1].

ثانيا :اسهاماتهم في علم الصيدلة :

علم الصيدلة يبحث في تمييز المتشابهات بين أشكال النباتات من حيث أماكنها ومواسم نموها وكذلك تميز الجيد من الرديء ومعرفة خواصها [2]، وهو بضرورة تابع للعلوم الطبية [3]، وكان العرب أول من إعترف بالصيدلة كمهنة وعلم مستقل فقول هونكة :" هنا إنقسمت مسؤولية الطبيب الصيدلاني إلى قسمين وتفرعت عنها مهمتان قائمتان بذاتهما وقد جري كل هذا عند إبتداء تفتح الطب الاسلامي العربي[4] .

وكان المسلمون أول من أنشأ مخازن الأدوية[5]، وقد خُضيت الأدوية للمراقبة الشديدة من أجل حماية المريض من غش الصيادلة وتلاعبهم[6]، وقعت هذه المهمة على عاتق المحتسب، كما كان الصيادلة يخضعون لإمتحان منه[7].

وكان للمغاربة دور مهم في العلوم الصيدلانية، فكان لبعضهم دور السبق في إكتشاف العديد من المواد الدوائية لم تكن معروفة من قبل وكان للأطباء دور بارز في

---

(1) الغبريني ، المصدر السابق ، ص120

(2)أحمد بن مصطفي ، المصدرالسابق ، ج1، ص 348.

(3)صالح أبو دياك، دراسات في التاريخ الإسلامي، عمان، 1985م، ص186.

(4) زيغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ط3، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، بيروت،1979م، ص320.

(5) زغريد هونكة، المرجع السابق ، ص339.

(6) جورج شحاته قنواتي، تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط ، مصر، 1959م، ص183.

(7) إبن جلجل، طبقات الاطباء والحكماء ، القاهرة ، 1955م، ص68-ينظر: الشيرازي عبد الرحمن، نهاية الرتبة في طلبة الحسبة ، القاهرة ، 1946م، ص42.

صناعة الأدوية وتحضيرها ، وكثيرا مايتم تركيبها في أماكن خاصة مُعدة لهذا الغرض، ومن أهم تلك الأماكن البيمارستان التي كانت تضم صيدليات ملحقة بها[1] .

وإشتهر من المغاربة والأندلسيين في علم الصيدلة الطيبي أحمد بن محمد الأندلسي (ت.637هـ-1239م) بلقب النباتي العشاب[2]، لمعرفته الواسعة بالنبات ، وتذكر المصادر أنه رحل إلى بلاد كثيرة في المشرق و المغرب، وكان دافعه في الرحلة هو دراسة النباتات في بيئتها الطبيعية.

وله في ذلك تصانيف منها الرحلة النباتية وشرح حشائش ديسقوريدس وأدوية جالينوس[3]، ولا يفوتنا ذكر الطبيب النباتي ضياء الدين عبد الله بن أحمد الأندلسي المعروف بإبن البيطار (ت.646 هـ-1248م) وهو أشهر صيادلة القرن (7هـ-13م) وإليه انتهت معرفة النباتات[4]

ويعتبر إبن البيطار ثورة عربية في ميدان علم الدواء والصيدلة ، فقد أظهر براعته وتعمقه فيه من خلال كتابه:"الموسوم بالجامع في الأدوية المفردة " ، وله مؤلف "المغني في الأدوية المفردة "وهو مرتب بحسب مداواة الاعضاء الأليمة[5] ، و قد أصبح ابن البيطار رئيس العشابين وأصحاب البسطات في الديار المصرية زمن الملك الكامل الأيوبي وجعله رئيس الأطباء في مصر[6].

---

(1) إبن أبي اصبيعة ، المصدر السابق ، ص628.

(2) عبد القوي المنذري (ت.656هـ/1258م) ، التكملة لوفيات النقلة ، ج3، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1988م، ص 531.

(3) المصدر نفسه، ص 531

(4) إبن أبي اصبيعة ، المصدر السابق ، ص602.

(5) الحاج عيفة ، المرجع السابق ، ص126.

(6) المرجع نفسه ، ص127.

ومن علماء المغرب الأوسط فقد إشتهر الطبيب عمر بن علي البذوخ وهو نموذج للطبيب الذي جمع بين الطب والصيدلة[1] .

ثالثا :إسهاماتهم في العلوم الأخرى

بتتبع المصادر التاريخية وكتب التراجم فإن العلماء المغاربة عامة و علماء المغرب الأوسط بالخصوص ، لم تكن لهم إهتمام بالعلوم العقلية خاصة ما تعلق بالحساب و المنطق و الموسيقي غيرها و رغم هذا توجد بعض الإسهامات الجليلة .

و كان أبرز علماء المغرب الأوسط هو العالم الجليل في العلوم العقلية **أبو عبدالله محمد الآبلي** (ت 757هـ-1356م) ، أصله من آبله بالأندلس و لد بتلمسان(سنة 681هـ-1282م)، ونشأ بها و كانت تلمسان في تلك الفترة تعد موطنا للعلوم العقلية، وكان من بين فنونها ماكان يطلق عليه إسم التعاليم و هي كما يقول ابن خلدون في المقدمة :" العلوم الناظرة في المقادير ، وهي علم الهندسة و علم الأرتماطيقي ، وعلم الموسيقي و علم الهيئة "[2] .

حيث أخد عن أبي موسي بن الأمام و على جده ,و أبي الحسن التنسي [3]، ولما إستولي يوسف بن يعقوب المدني على تلمسان، إستخدمه إلا أنه قبل الوظيفة على مضض لكن سرعان ما تركها[4].

يقول عنه المقري الجد :"كان الآبلي من الصدر الأول من العلماء أي من العلماء الذين يفرون من السلاطين و هم يطلبونهم" ، وقد وصف الآبلي بالرجل الفطن ، الكثير

---

[1])الحاج عيفة، المرجع السابق، ص124.

[2]إبن خلدون ، المقدمة ، المصدر السابق ، ص 158

[3]إبن مريم ، المصدر السابق ،ص215، ينظر: المقري، المصدر السابق، ج5,ص244

[4]إبن خلدون ، الرحلة ، المصدر السابق ، ص35

الإطلاع ، و الحفظ والبارع في حل الألغاز و تصويب التصحيف[1] و أثناء رحلته إلى الحجاز لأداء فريضة الحج مر بمصر و بالشام و العراق.

حيث إلتقي بعلمائها كإبن العيد و إبن الرفعة و الصفي الهندي و التبريزي و غيرهم[2].

ثم عاد إلى تلمسان حيث عرض عليه السلطان أبو حمو موسي ضبط جباية أمواله، لكنه أعرض عن ذلك و فر إلى فاس.

حيث إختفي عند شيخ التعاليم خلوف المغلي اليهودي ، الذي هيأ له كل الظروف لاستكمال دروسه و التبحر في مختلف العلوم[3].

و منها توجه (سنة 710هـ-1310م) و نزل عند العلامة الإمام أبو العباس أحمد بن البنا الذي أخد عنه فنون التعاليم .

فلازم الآبلي علماء فاس و مراكش و إنظم إلى مجالسهم و إنتصب للتدريس في عواصم بلاد المغرب و حواضره .

فإنهال عليه طلبة العلم من كل ناحية، فإنتشر علمه و إشتهر ذكره ، وكان قد أقام في رحلته إلى تونس ثلاث سنوات

درس خلالها لعبد الرحمن بن خلدون و أجازه في علم الأصليين و المنطق, و سائر الفنون الحكمية و التعلمية[4]

---

(1) المقري ، المصدر السابق، ج5، ص246

(2) إبن مريم، المصدر السابق ، ص215

(3) المصدر نفسه، ص214، ينظر: المقري، المصدر السابق ، ج5 ، ص245

(4)إبن خلدون، الرحلة، المصدر السابق ،ص37

-علم الحساب و الفرائض

لقد خطا المسلمون خطوات هامة في علوم الحساب[1] والهندسة والجبر [2] و الفرائض[3] ، و العلوم العقلية الهامةو كان للدراسات الرياضية[4] ، الفلكية الإسلامية أثرها العميق في الدراسات الغربية أمثال كبلر و روجر باكون وآلبرت وماجنو و ليونارد فيبوناتشي و غيرهم[5].

-المنطق

هو ميزان العلوم يعرف به الصحيح من الفاسد في الحدود المعروفة للماهيات و الحجج المفيدة للتصديقات[6]، و من علماء المغرب الأوسط حسن بن حسن أبو يعلي ت 754هـ-1354م وقد أخد عنه المقري و أثني عليه[7].

وأسهم محمد بن أحمد أبو عبد الله التلمساني ت 771هـ- 1370م، كثيرا في هذا العلم حيث قال عنه يحي ابن خلدون "لا يعرب عن علمه فن عقلي إلا و قد أحاط به "[8] .

---

(1) الحساب : هو صناعة علمية في حسبان الأعداد بالضم و التفريق ، إبن خلدون ، المقدمة ، المصدر السابق ، ص78

(2) هو صناعة يستخرج بها العدد المجهول من قبل المعلوم المفروض إذا كان بينهما نسبة تقتضي ذلك فاصطلحوا فيها على جعل المجهولات مراتب من طريق التضعيف بالضرب اولها العدد لان به يتعين المطلوب المجهول باستخراجه من نسب المجهول اليه ، المصدر نفسه، ص80,

(3)هي صناعة حسابية في تصحيح السهام لذوي الفروض في الوراثات ، نفسه، ص84

(4)هي العلوم الباحثة عن أمور يصح تجريدها عن المادة في الذهن فقط، نفسه، ص79

(5) محمد عبد الله عنان، **أزهار الحضارة و الفكر الإسلاميين في الغرب الإسلامي و دورهما في تغدية النهضة العلمية و الحضارة الأوروبية** ، مجلة الاصالة ، العدد 26، 1976م ، ص14

(6)إبن خلدون، المقدمة، المصدر السابق ، ص71

(7)عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق ، ص34

(8) يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص57

أورد صاحب البستان أنه كان " إماما في العلوم العقلية كلها منطقا و حسابا وتنجيما وهندسة و طبا"[1]، و قد ألف أبو عبد الله التلمساني في هذا المجال رجزا في المنطق[2]

-في ميدان التنجيم:

التنجيم هو التنبؤ بأحوال المستقبل وما ستكون عليه الأمور، حيث يزعم أصحابه بأنهم يعرفون الكائنات في علم العناصر قبل حدوثها من خلال معرفة قوى الكواكب وتأثيرها في المولدات العنصرية مفردة ومجتمعة حسب تعبير ابن خلدون[3]، وهذا مايفسر تهافت بعض طبقات المجتمع والحكام على حد سواء ، وتذكر المصادر التاريخية أن المنجم جمال الدين المغربي كان من خواص الملك الناصر صلاح الدين داوود ففي رواية لإبن واصل يقول فيها " سافرت مع والدي إلى زيارة السلطان فوجدنا في خدمته جمال الدين عبد الحق المغربي، وكان ممن أيده الله في علم الرمال يمكن من إستخراج الخبء وينص عليه بإسمه وصفته حتى إعتقد الناس فيه ذلك فكان هذا شأن الحكام فما بالك بعامة الشعب من الجهلة وأصحاب النفوس الضعيفة[4] .

قال الله تعالي"..**اتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النّاس السِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ "الله "**[5]

---

[1]إبن مريم ، المصدر السابق ، ص167

[2] عادل نويهض، المرجع السابق ، ص58

[3] إبن خلدون ، المقدمة، المصدر السابق، ص446.

[4] علي أحمد ، الأندلسيون والمغاربة ، المرجع السابق ، ص172.

[5] القران الكريم ،سورة البقرة، الآية 102.

ويفسر إبن خلدون سبب تعاطي التنجيم و الكهانة على ضعف العقل بالعجز عن المعاش الطبيعي، فذكر أن الذي يحمل على ذلك في الغالب زيادة على ضعف العقل، إنما العجز في طلب المعاشي بالوجوه الطبيعية للكسب من التجارة، الفلح والصناعة فيبطلونه بالوجوه المنحرفة من هذا وأمثاله عجزا عن السعي في المكاسب وركزنا إلى الرزق من غير تعب ولانصب في تحصيله وإكتسابه.[1]

و من علماء المغرب الأوسط الذين إختصوا بعلم التنجيم هو **البوني أحمد** (ت 629-1232م) و هو محي الدين بن العباس بن أحمد علي القرشي البوني ، تخصص في علم التنجيم و الطلاسم و الرموز الطلسمات ، و علم الحروف و الخواص و الكهانة ، و علم الغيب و العلاج بالروحيات و التعاويذ و الرقي و من مؤلفاته :"كتاب سير الحكيم" و كتاب " اللمعة النورانية " و " شرح اسم الله الاعظم" و " رسالة سير الكريم " دفن بالقرافة[2].

و برع في هذا المجال :**عبد الله بن علي بن المحفوف الزواوي** (ت800هـ-1400م) حيث ألف كتاب سماه بعلم الرمل[3]، ويوضح أسباب تصنيفه فيقول :"رأيت كثيرا من سائر الأجناس مجتهدين في طلب الكنات والكاينات قبل وقوعها ، وقد إختلفوا في الأصول إلى ذلك من عدة وجوه متباينة خارجا ذلك من علم التنجيم[4]، والقواعد التي يقوم عليها بجملة من الطلاسم وأحرف، ودوائر لها مدلولها ،ولايفك رموزها إلا أهل

---

(1) إبن خلدون، المصدر السابق، ص 304.

عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج2، مكتبة الشركة الجزائرية ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت,1385هـ-1975م ، ص ص 75 (2)

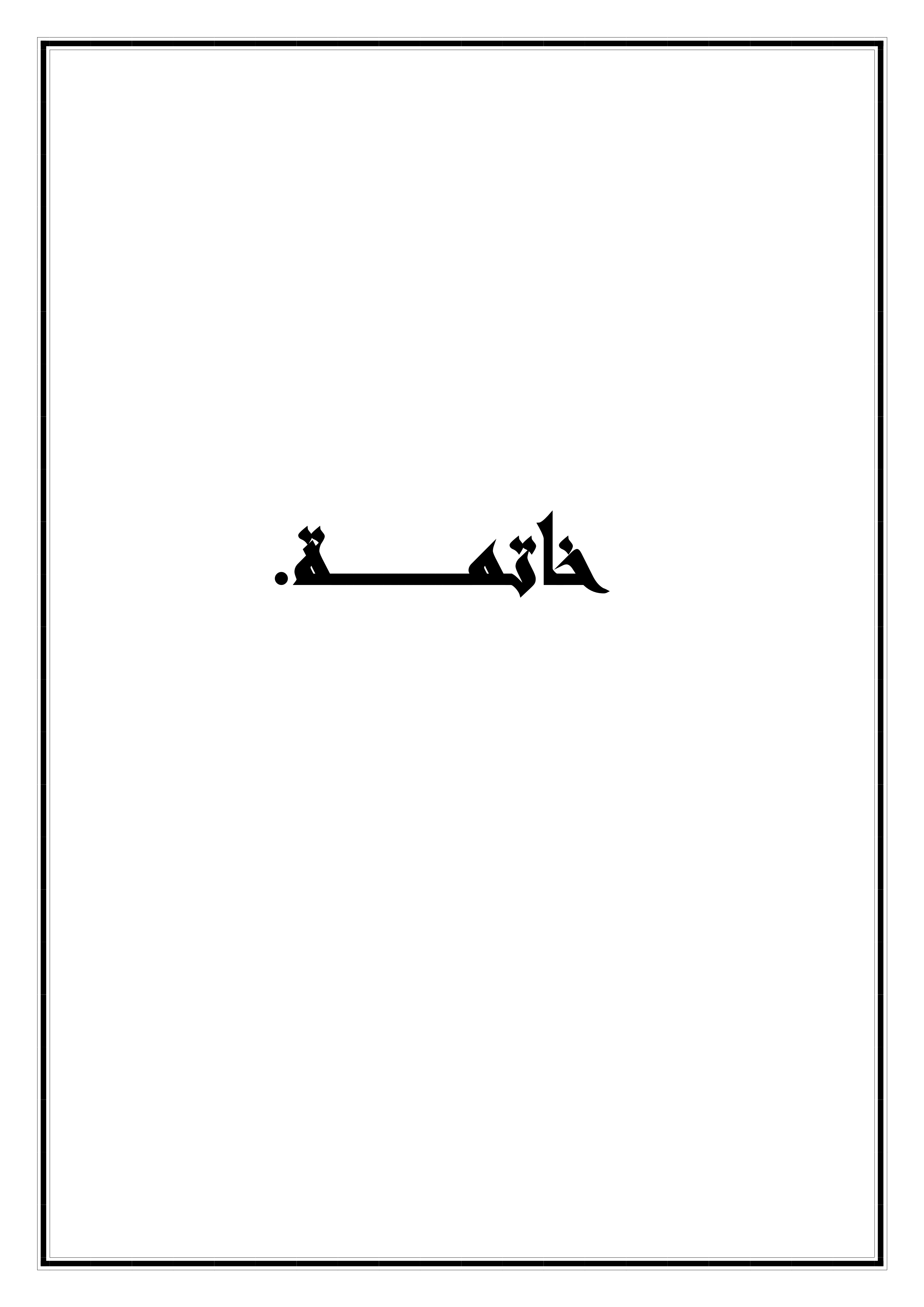
(3)مفتاح خلفات ، المرجع السابق ، ص516.

(4)المرجع نفسه ، ص517.

الإختصاص هذا إلى جانب ما إستعرضه من طرف متابعيه في التنجيم لدي مختلف الشعوب والأمم ، كأهل الهند والنوبة وماجاورها من بلاد مصر[1].

نستنتج من خلال المعطيات التاريخية الواردة في هذا الفصل ، أن علماء المغرب الأوسط برزوا في حقل الدراسات الدينية في مختلف الحواضر المشرقية ، و كان تأثيرهم واضحا خاصة في علم الفقه و الحديث و الدراسات اللغوية حيث تصدروا للتدريس في أعرق المدارس بتلك الديار ، وكونوا طلبة كثر بل كانوا أساتدة لكبار أعلام العلم ، أما العلوم العقلية فلم تلقي إقبالا كبيرا و إهتماما بالغا لأنها كانت سمة تلك الفترة في معظم الحواضر سواءا المغربية أو المشرقية

[1] خلفات مفتاح، المرجع السابق، ص517.



خاتمة.

لقد شهد المغرب الأوسط في الفترة الممتدة من القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي إلى القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي نشاطا ثقافيا ميزه إهتمام الحكام و السلاطين بالعلم و العلماء و تقريبهم لأهل الثقافة و العلم من مختلف الأقطار وإزدهرت حركة إنشاء المؤسسات التعليمية و خاصة بناء المدارس بداية من القرن الثامن هجري الرابع عشر ميلادي فشهدت إقبالا منقطع النظير و ساهمت في تخرج العديد من العلماء الكبار الذين ذاع صيتهم بالمغرب و المشرق في مختلف العلوم النقلية و العقلية.

وقد كانت حواضر المشرق الإسلامي كالقاهرة و دمشق و مكة المكرمة و المدينة المنورة و بغداد الأكثر جذبا و إستقطاب للمغاربة عامة و المغرب الأوسط بوجه أخص ، كما أن الرحلة لعبت دورا كبيرا في توطيد العلاقات مع البلدان المشرقية وتأتي في مقدمتها رحلة الحج الذي يعتبر من الفرص الثمينة لطلاب العلم و العلماء ، و التي تمكنهم من لقاء المشاييخ و العلماء و نسج العلاقات فيما بينهم ، كما أن المنشآت الوقفية التي خصصت للمغاربة سواء بمصر أو الشام أو مكة المكرمة و المدينة المنورة و حتي القدس الشريف من توفير جو ميزه وجود طلبة العلم و العلماء من مختلف الأقطار و الأمصار الإسلامية في مكان واحد سهل لهم عملية التواصل الثقافي و التبادل العلمي، فكان لإسهامات علماء المغرب الأوسط الأثر البارز في هذه العلاقات من جميع النواحي السياسية و الثقافية و الفكرية و الاقتصادية هذا من جهة، و من جهة أخري كانت إسهاماتهم تمثل تقييم للمستوي العلمي الذي وصل إليه علماء المغرب الأوسط، و هذا ما لمسناه من خلال تصدرهم لمجالات متعددة مثل القضاء و التدريس و غيره من العلوم في كبري الحواضر العلمية المشرقية و من النتائج المتواصل إليها في هذه الدراسة:

- إن إنصاف موضوع العلاقات الثقافية بين المغرب و المشرق الإسلاميين تاريخيا لن يكون إلا بتدارس الطرف المغربي الوافد على البلاد المشرقية، و الإهتمام بالبحث في نشاطات علماء المغرب الأوسط في البلاد المشرقية يمثل حلقة وصل في تاريخ الحضارة الإسلامية و لهم حق الذكر و الإنصاف في التاريخ لتحملهم عناء الرحلة من المغرب الأوسط

إلى المشرق الإسلامي المترامي الأطراف فوجدنا أنفسنا في موقف الدفاع عن إسهاماتهم و دورهم في الحياة العامة و العلمية بالخصوص في المشرق الاسلامي

- عرف المغرب الأوسط و المشرق الإسلامي سلاطين و حكام عرفوا بنصرتهم للعلم و العلماء
- المجاورة ظاهرة إيجابية حافظت على المكانة الروحية و الثقافية لمكة المكرمة و المدينة المنورة خلال الأزمات التي مرت بها ، كما ساعدت هي الأخرى على الوحدة الثقافية التي كانت تقام في الحرم المكي و المدني
- علماء المغرب الأوسط الوافدين إلى البلدان المشرقية ينتمون إلى مناطق جغرافية مختلفة ، توافدوا على فترات مختلفة من القرن السابع هجري إلى القرن التاسع هجري إلى مناطق مشرقية مختلفة فهم مختلفو التكوين العلمي و الميول الثقافي و متنوعو الإختصاصات العلمية و الفكرية و المهنية فكان تأثيرهم واضح في المشرق الإسلامي في جميع الميادين
- مشاركة أهل المغرب الأوسط و العلماء منهم كأبي مدين شعيب و ابراهيم التازي و غيرهم إلى جانب إخوانهم المشارقة في الدفاع عن بيت المقدس الشريف في الحروب الصليبية وهذا شعور ينم عن الاخوة و الرابطة الدينة و اللغوية التي تجمع المغاربة و المشارقة في الدفاع عن الإسلام و الأماكن المقدسة
- من خلال الدراسة الإحصائية لعلماء المغرب الأوسط، توصلنا إلى أن كل عالم قام برحلة و توجه إلى المشرق الإسلامي كان هدفه الاساسي أداء فريضة الحج
- برع علماء المغرب الأوسط في العلوم الشرعية بشكل كبير ، و جانبا من العلوم العقلية، وهو في الواقع ميزة العالم الإسلامي في تلك الفترة إذا أن العلوم العقلية كانت محل إزدراء سواء بالنسبة للمشرق أو المغرب الاسلامي بدليل ما ذكره الذهبي في معجمه أن

المنطق "نفعه قليل و ضرره وبيل و ما هو من علوم الاسلام " [1] ، و أن "الحساب من علوم الفرس و القبط يعتبر مجرد صنعة و معيشة , وما هو من العلم بشيء .

■ إسهامات علماء المغرب الأوسط في إثراء الميدان المعرفي من خلال تصدرهم للتدريس و الحديث و القراءات ، وكانوا في من خيرة ما أنجب المغرب الأوسط مثل ابن معطي الزواوي في النحو و ابن سيد الناس في القراءات و عبد الرحمان الثعالبي الدي أعتبر أحد أعلام علم التفسير

■لم تقتصر الصدارة على الرجال في العلوم الشرعية فقط ، فلقد وقفنا على بروز عالمات و فقيهات من المغرب الأوسط ,كانت لهن بصمة علمية في الحياة الفكرية المشرقية من خلال التدريس و الإجازة كالعالمة أم الحياء البسكرية و رقية البجائية التي أجازت للسخاوي

■مساهمة علماء المغرب الأوسط في التعريف بالفكر المغاربي بالبلدان المشرقية, هذا التعريف مرده قوة شخصية علماء أهل المغرب الأوسط من خلال التأليف للكتب و الشروح

■ محافظة علماء المغرب الأوسط على الخصوصية المذهبية باستثناء البعض منهم الدي تحول من المالكية إلى الشافعية او مذهب آخر

■ رسوخ بعض علماء المغرب الأوسط في بعض المهن كالقضاء أدي إلى تكوين عائلات لها دراية كبيرة في المجال القضائي و أبرزها عائلة الزواوي التي تصدرت القضاء بدمشق حتي أصبح متوارثا حيث أدت وظيفة القضاء لأكثر من 50سنة

■ ظهرت مؤلفات فقهية للعامة و الحكام علي حد سواء و التي كانت لها الفضل في تنظيم المعاملات الدنيوية فيما بينهم ,ككتاب "تحفة الناظر "لمحمد أحمد بن قاسم العقباني و الدي يعتبر أهم مؤلف في علم الحسبة

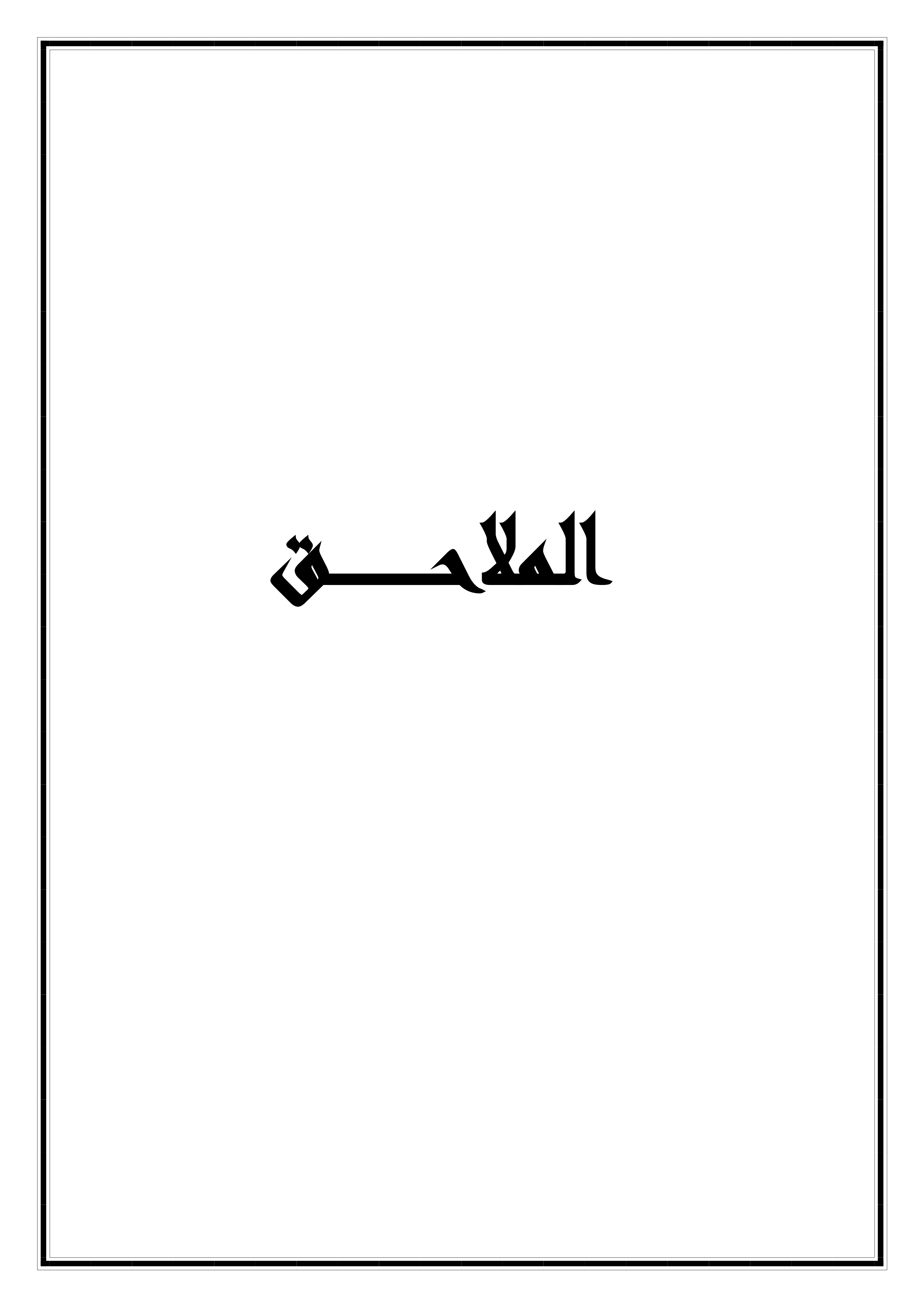
---

[1] الذهبي ، المعجم المختص بالمحدثين، ط1، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف، المملكة العربية السعودية، 1408هـ-1988م، ص24

- ضعف إسهام علماء المغرب الأوسط في تسيير دواليب السلطة في البلدان المشرقية رغم وجود علاقات طيبة مع الحكام

على ضوء هذه الملاحظات نستنتج أن فكرة تفوق الجانب المشرقي و فضله على الشطر المغربي ، وأن هذا الأخير هو وليد الأول ليست إلاحكما مسبقا، إذا لاحظنا أهمية المغاربة من خلال إسهامات علماء المغرب الأوسط في إثراء الحياة الثقافية و الفكرية بالمشرق الإسلامي فلا فضل للمشرق على المغرب و لا فضل للمغرب على المشرق فكلاهما مجال واحد و رابطة واحدة كما كان للمشارقة فضل في إرساء حضارة المشرق ، فإن العلماء المغاربة كانوا أيضا إحدى القنوات التي مرت عبرها التأثيرات بين المنطقتين و ذلك راجع إلى علاقات التواصل التي ما إنفكت تتبلور على جميع الأصعدة.

و لعل أبرز إستنتاج يمكن صياغته تبعا لهذا العمل أنه لا يزال أمامنا عدة بحوث متواصلة و جدية حتي نكون دراسة متكاملة عن علماء المغرب الأوسط، و لنكشف النقاب عن دورهم الكبير في الإسهام و بلورة التراث العربي الإسلامي خاصة في المشرق الإسلامي.



الملاحــــــق

الملحق رقم 01: جدول سلاطين بني زيان 633-962هـ/1235-1554م[1]

السلطان	فترة حكمه
1-أبو يحيي يغمراسن بن زيان	633- 681 هـ /1235-1282م
2-أبو سعيد عثمان الول بن يغمراسن	681-703 هـ / 1282-1303م
3-أبو زيان محمد بن عثمان الول	703-707هـ/ 1303-1307م
4-أبو حمو موسى بن عثمان الأول	707-718هـ/ 1307-1318م
5-أبو تاشفين الول عبد الرحمن بن أبي حمو الأول	718-737هـ / 1318-1337م
6-أبو سعيد عثمان الثاني	749- 753هـ/ 1348-1352م
7-أبو حمو موسى الثاني بن أبي يعقوب يوسف	760- 791هـ/ 1359-1389م
8-أبو تاشفين الثاني عبد الرحمن بن ابي حمو الثاني	791- 795هـ / 1389- 1392م
9-أبو ثابت يوسف بن أبي تاشفين الثاني	795- 796هـ/ 1392- 1393م
10-أبو الحجاج يوسف بن ابي حمو الثاني	796- 797هـ/ 1393- 1394م
11-ابو زيان الثاني عبد الرحمن بن ابي حمو الثاني	797- 801 هـ/ 1394-1399م
12-أبو محمد عبد الله الأول بن ابي حمو الثاني	801-804هـ/ 1399- 1402م
13-أبو عبد الله محمد المعروف بابن خولة	804- 813هـ / 1402- 1412م
14-عبد الرحمن الثالث	813- 814هـ / 1411- 1411م
15-السعيد بن ابي حمو	814- 814هـ/ 1412- 1412م
16-أبو مالك عبد الواحد بن ابي حمو الثاني	814- 827هـ / 1412- 1424م
17-أبو عبد الله محمد المعروف بابن الحمراء	827- 813هـ / 1424-1428م
18-ابو مالك عبد الواحد	813-833هـ/1428-1430م
19-أبو عبد الله محمد الثاني	833-834هـ/ 1430-1431م
20-أبو العباس احمد العاقل بن ابي حمو الثاني	834-866هـ/ 1431- 1462م
21-أبو عبد الله محمد الثالث المتوكل على الله	866- 873هـ/ 1462-1468م
22-أبو عبد الله محمد الرابع الثابتي	873-910هـ/ 1468-1505م
23-أبو عبد الله محمد الخامس بن محمد الثابتي	910- 922هـ 1505-1516م
24-أبو حمو الثالث بن ابي محمد الثابتي	922- 923هـ/ 1516-1517م
25-ابو زيان احمد الثالث	923-924هـ/ 1520-1521م
26-أبو حمو الثالث محمد الثابتي	924-934هـ/ 1521-1528م
27-عبد الله بن ابي حمو الثالث بن محمد	934-947هـ / 1528- 1540م
28-ابو زيان احمد الثابتي بن عبد الله الثاني	947- 949هـ/ 1540- 1542م
30-أبو عبد اللهمحمد بن ابي حمو	949- 949هـ/ 1542- 1542م
31-أبو زيان احمد الثاني بن عبد الله الثاني	949- 957هـ/ 1542- 1550م
32-الحسن بن عبد الله الثاني الزياني	957- 962هـ / 1550- 1554م

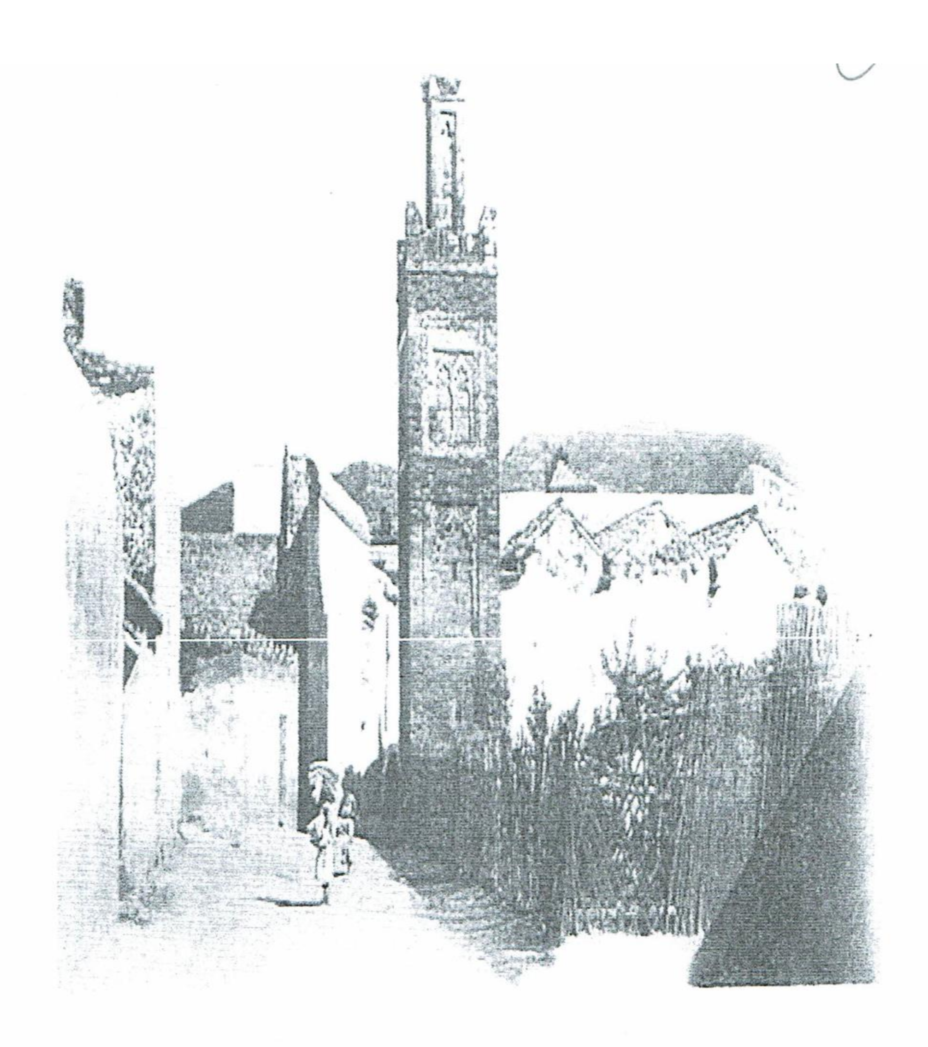
[1] عبد العزيزفيلالي ،المرجع السابق ص 500

الملحق رقم 02:



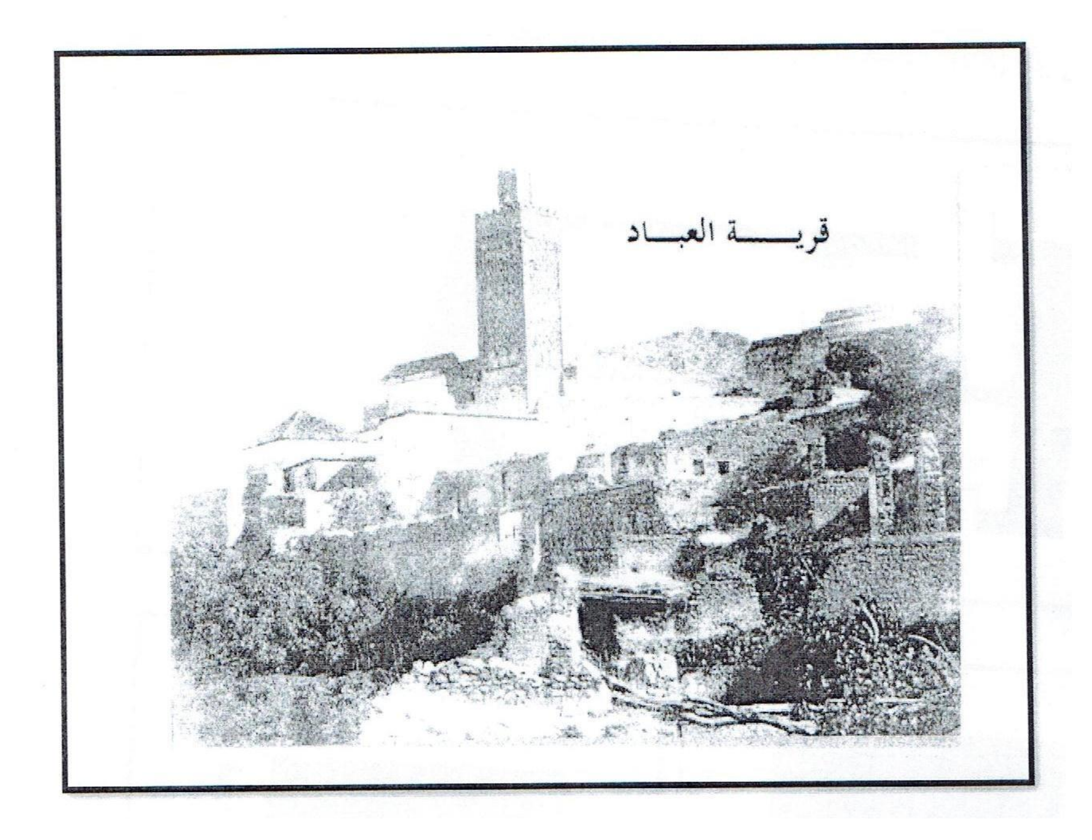
محمد بوشقيف ، **المرجع السابق**، ص 225

الملحق رقم 03:المدرسة التاشفينية [1]



1- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، المرجع السابق، ص 88.

الملحق رقم 04:قرية العباد[1]



الاخضر عبدلي،المرجع السابق،ص73

الملحق رقم 05:

نص وقف مدرسة العباد– أبي مدين :

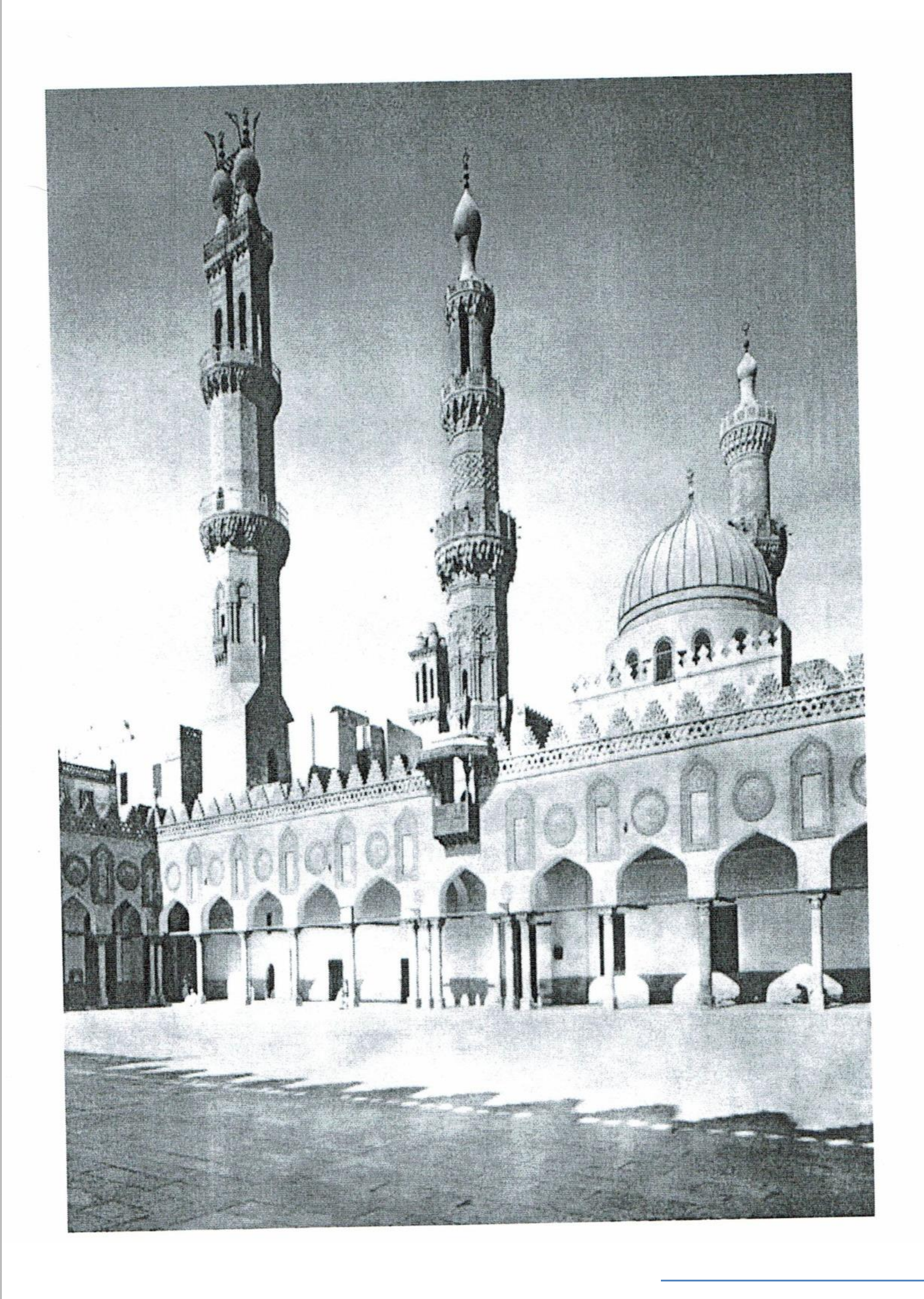
النص الكامل لأوقاف مدرسة العباد موجود داخل مسجد سيدي بومدين وهو مكتوب على لوح رخامي أبيض، عليه كتاب بالخط الأندلسي المغربي يشير إلى تأسيس الجامع والمدرسة ويذكر الأملاك المحبوسة لكليهما بالتفصيل، وارتفاع هذا اللوح 1,42م، وعرضه 0,65م، ويحتوي على 36 سطر[1]، وهي كالآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، أمر ببناء هذا الجامع المبارك مع المدرسة المتصلة بغربيه مولانا السلطان الأعدل أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبو الحسن ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي سعيد ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي يوسف بن عبد الحق أيد الله أمره وخلد بالعمل الصالح ذكره، وحبّس المدرسة المذكورة على طلبة العلم الشريف وتدريسه، وحبّس على الجامع المذكور والمدرسة المذكورة من الجانب العلي نفعهم الله بذلك جميع الجنان القصير وجميع الذي بالعباد الفوقي المشتري من ولدي عبد الواحد القصير، وجميع جنان العلوج المشتري من علي بن المراني وجميع الجنان المعروف بابن حويته الكاين بزواغة المشتري من ورثة الحاج محمد بن حويته، وجميع الجنان الكبير والدار المتصلة من جهة غربيه المعروف ذلك باسم داود بن علي المشتري من ورثته، وهو بأسفل غربيه العباد السفلي، وجميع الرقعتين الموروثتين أيضا عنه، واشترينا من ولده علي وتعزو إحداهما بابن أبي إسحاق والثانية بابن الصلاة المغروس منها وغير المغروس وجميع الجنان المعروف بجنان الباديسي الموروث أيضا عنه المشتري من يحيى بن داود المذكور وهو بأسفل العباد السفلي، وجميع الجنان المسمى بن فرعوش القريب من جنان الباديسي المذكور الموروثتين عنه أيضا واشترى من ولديه عبد الواحد وعيسى وجميع

---

(1) العربي لقريز، مدارس أبي الحسن المريني، ص133.

الملحق رقم 06: الجامع الأزهر[1]



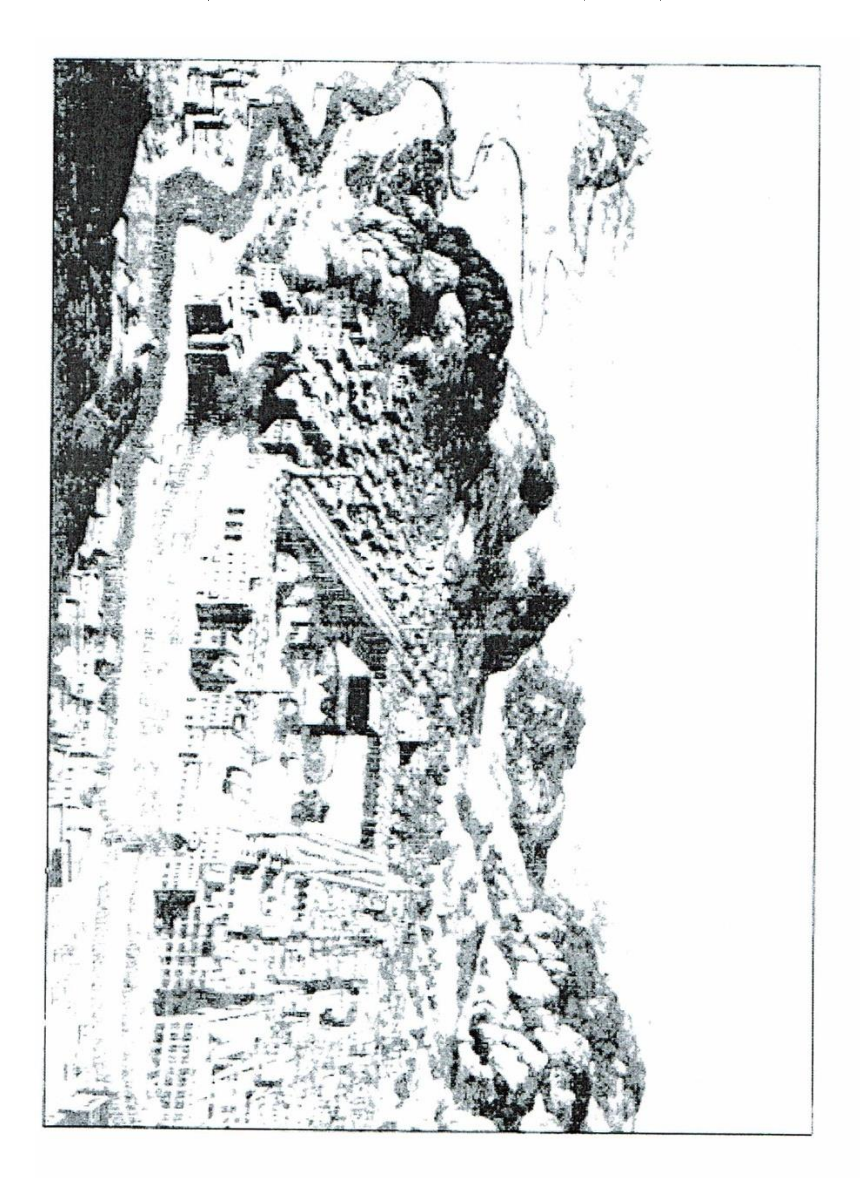
1- النعيمي، المرجع السابق، ص 225.

تابع الملحق رقم 06: الجامع الأزهر، منظر خارجي من الجهة الغربية[1]



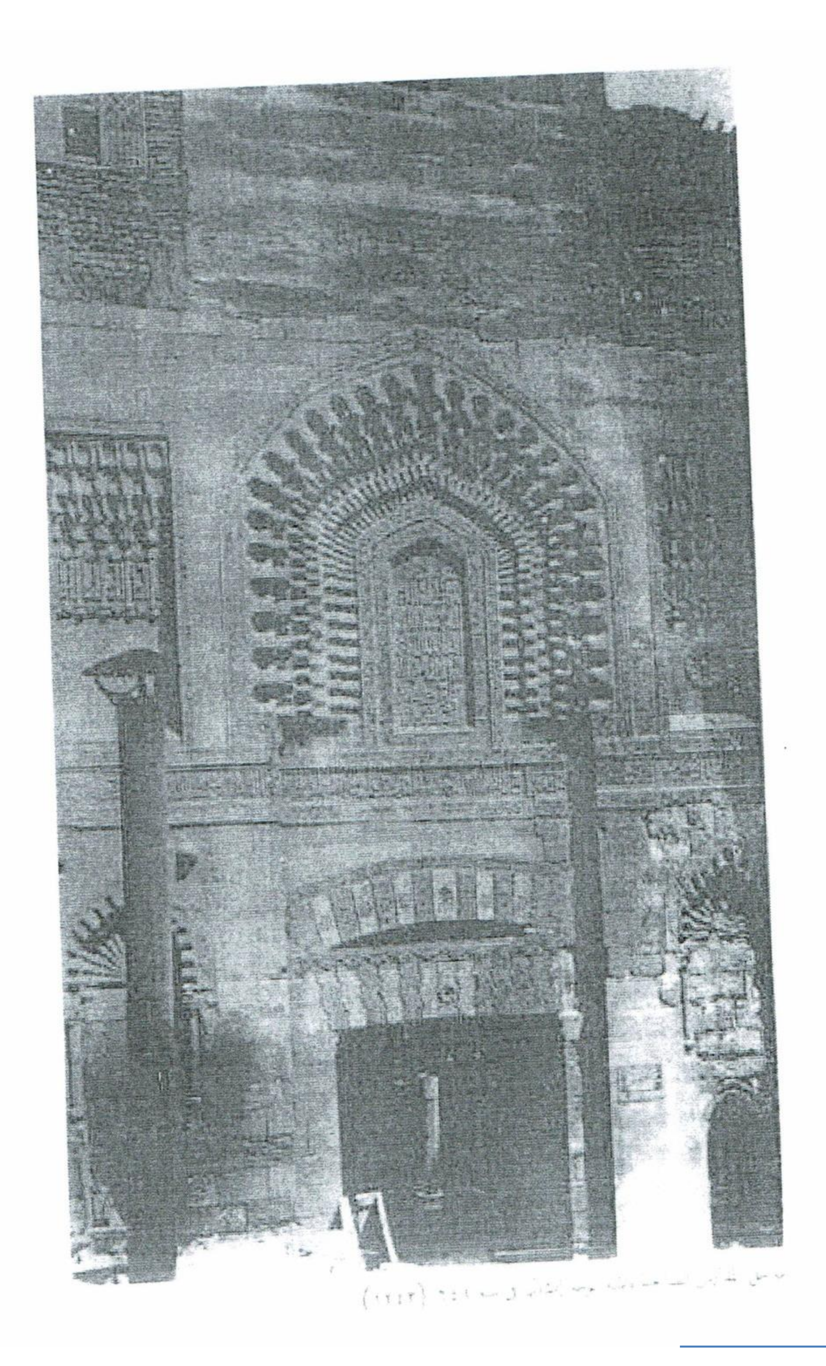
1- النعيمي، المرجع السابق، ص 267.

الملحق رقم 07: منظر عام للحرم الشريف والمكة المكرمة **1787**م [1]



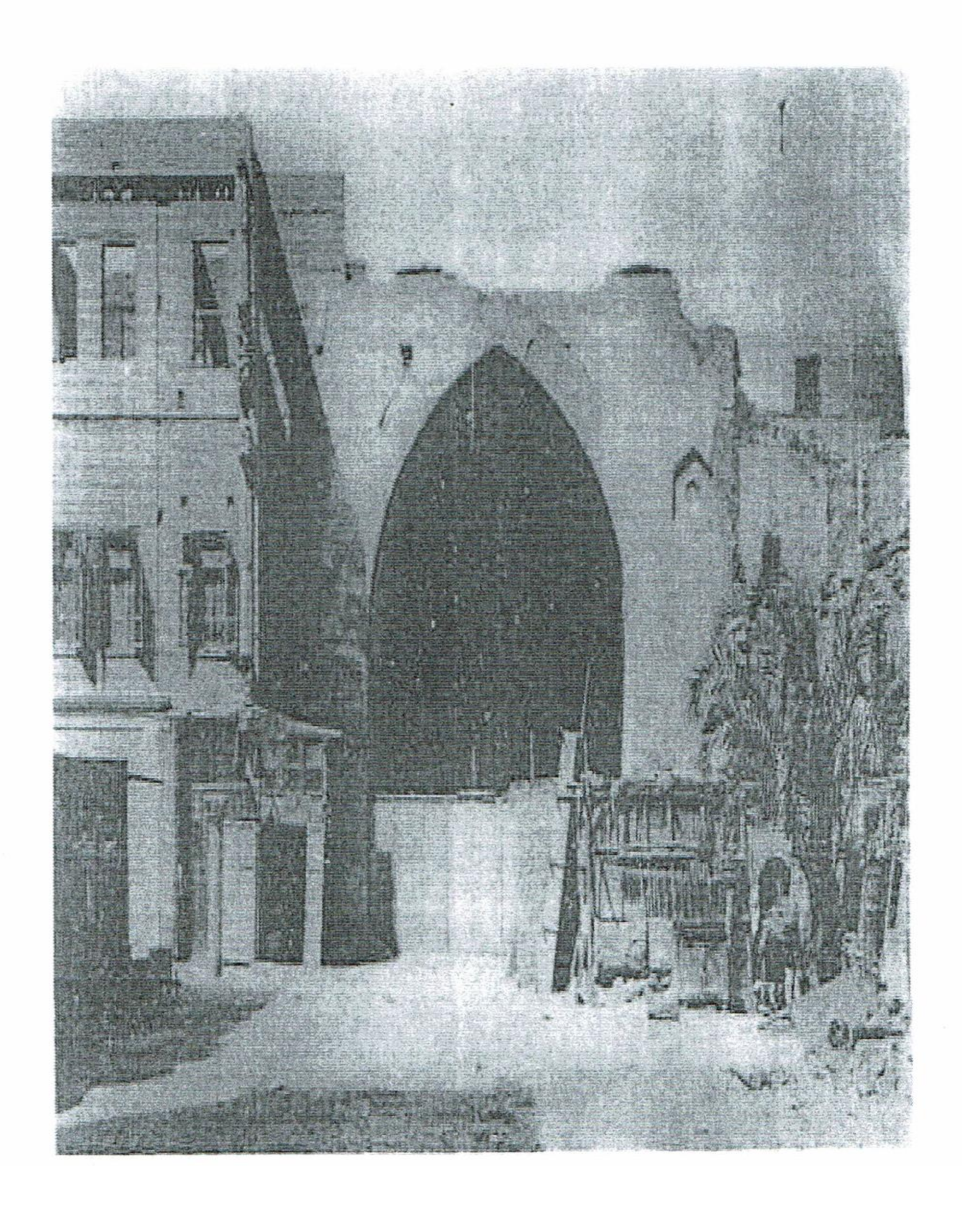
1 ينظر : ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 369

الملحق رقم 08: المدرسة الصالحية[1]



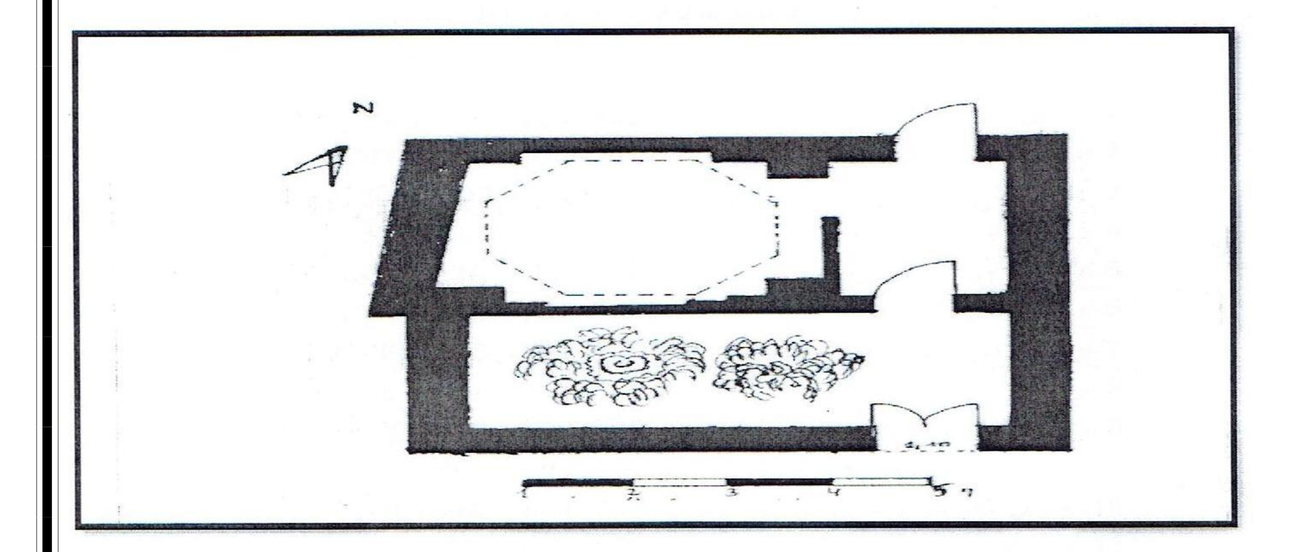
1- أحمد فكري، مساجد القاهرة ومدارسها، ج2، دار المعارف، القاهرة، 1966م، لوحة رقم 24، ص 226.

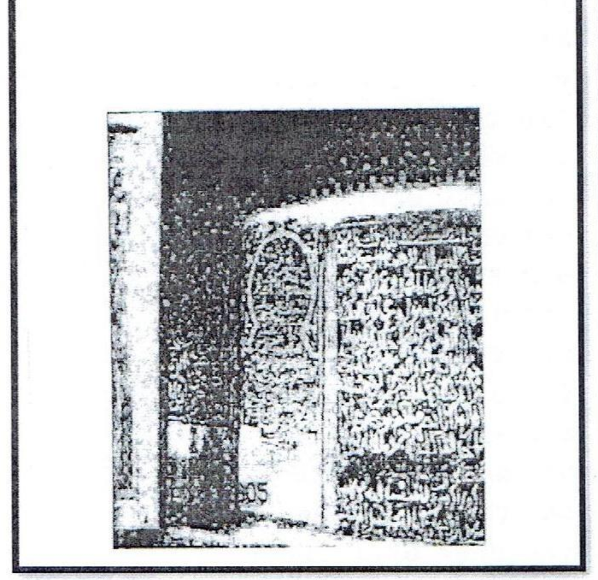
الملحق رقم 9:قبوة المدرسة المالكية في المدارس الصالحية[1]

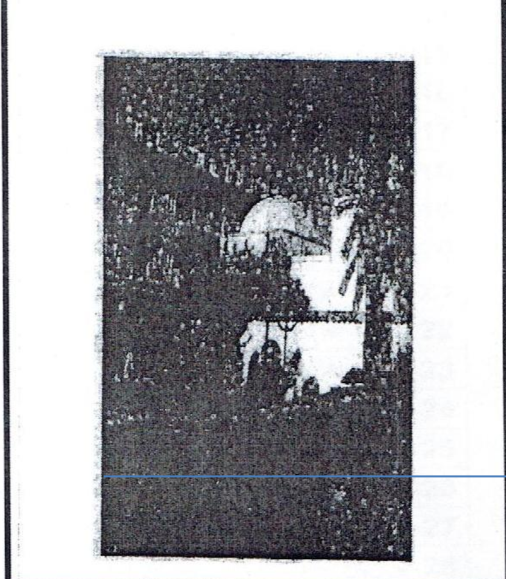


1- أحمد فكري، المرجع السابق، لوحة رقم 25، ص 227.

الملحق رقم 10: صورة لضريح ابن مرزوق الخطيب[1]



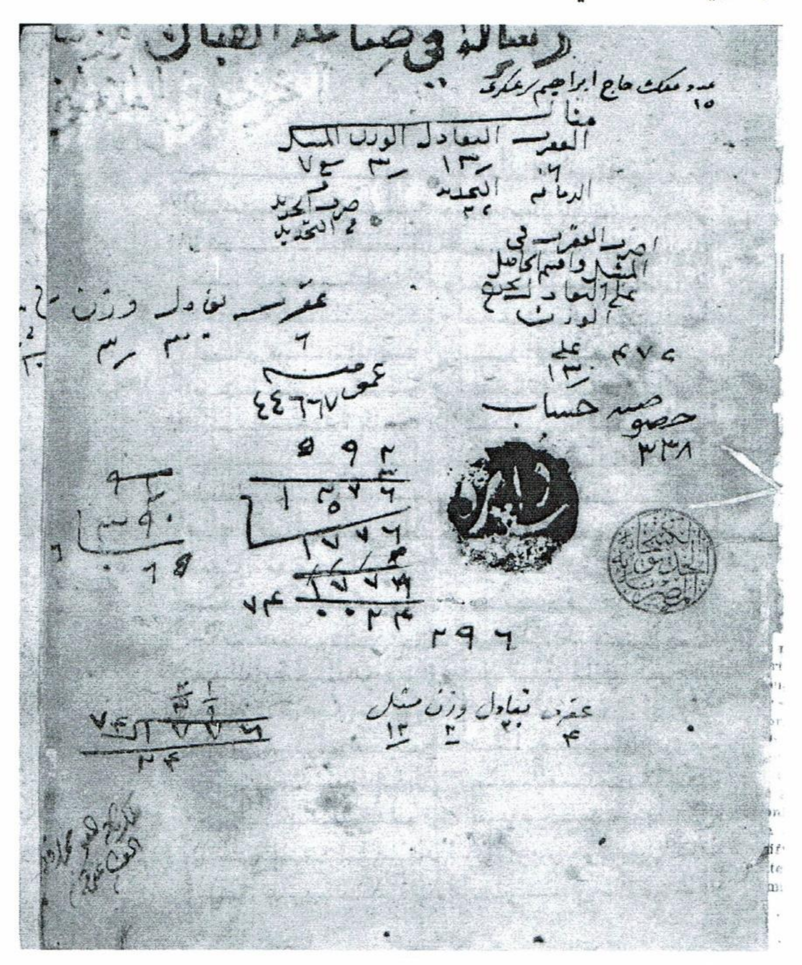




1- باقة السوسان, المرجع السابق,ص85

الملحق رقم 11:

صورة مخطوط رسـ1؛ في القبان(5)، التي اشتهر بها أفراد عائلة الزواوي بمصر القرن9الهجري15 الميلادي



1 5- هـذا العمـل هـو رسـالة حـول كيفيـة صـناعة واسـتخدام القبّـان. وهـو يجمـع بـين المعرفـة الهندسـية والميكانيكيـة والحسـابية اللازمـة لبنـاء واسـتخدام أجهـزة قيـاس الأغـراض ثقيلـة الـوزن وغير منتظمـة الشـكل. لا يُعـرف اسـم المؤلـف. ولكـن الرسـالة تستشـهد بمقتطفـات مـن عمـل آخـر للشـيخ عبـد المجيـد الشـامولي المحلي. الـذي كـان متـوفى وقتهـا. بالصـفحة الأخيرة مـن المخطوطـة أبيـاتٌ تصـف أساسـيات اسـتخدام القبـان. وذلـك في أرجـوزة يسـهل تـذكرها. كـان اسـتخدام الـنظْم لمسـاعدة الـذاكرة أمـراً شـائعاً في تـدريس الجـزف المختلفة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على سيد المرسلين وعلى اله وصحبه اجمعين
وبعد فهذه مقالة لطيفة مختصرة وجيزة قصدت بها صناعة عمل
القبان وقسمة خطوطه وكيفية علامته وعمل لمته وتسوية اعضايه المناسبة
وقيام ألسنته على الزوايا القايمة لمسقط حجره ومعرفة اخراج الزاوية القائمة
وبعد اللقمة عن اللسان واستخراج زيح القبان ورمانته ومعرفة اخراج الزاوية
القايمة بطريق الهندسة اما اقامة جسد القبان وهو العمود ويسمى بالقصبة
فيكون من جسم صلب قوي على حمل الاثقال كالحديد والنحاس والخشب ثم تهندم
على ما يريد صانعه مثل ان يكون مربعا او مسدسا او مثمنا ويخرج من عنقه
لسانان احدهما للصغير والاخر للكبير مقدار ما بين مسماريهما قدر اربعة
اصابع او خمسة بحيث يكون يستحسن ذلك بالنظر ويكون اللسان قايما على زوايا
قايمة على مسقط حجره وصفة اخراج الزاوية القايمة بطريق الهندسة ان تخط
خطا على بسط جيد صلب ثم تدير عليه [illegible] دايرة ثم تجعل رجل البركار في
مقاطعة نصف الدايرة للخط من احد الجانبين وتعلم برجله الاخرى على محيط
نصف الدايرة علامة وهو باق على فتحه وكذلك تفعل في التقاطع الاخر ثم تجعل
رجل البركار في احدى العلامتين اللتين على نصف الدايرة وتعلم برجله الاخرى
قطعة قوس من دايرة ثم تفعل بالعلامة الثانية كذلك بحيث يتقاطعان على نقطة
فاخرج منها خطا مستقيما الى مركز نصف الدايرة فهذا الخط قايما على الخط الاول
والمركز هو مسقط حجر راس اللسان والخط القايم هو الخط الفاصل بين زاويتين
قايمتين واذا علمت ذلك فيصلح لسان القبان ويهندم ويحرر على هذا اللسان
المستخرج على الزوايا القايمة اذا اخرج من راس اللسان الى بيت المسمار خطا كان

كل

لسنته

لعله تدير

زوج ثلا تسقط وزن العود والله اعلم اضرب الصنجة في بعدها
واقسم المرتفع على بعد الموزون يحصل الموزون او على الموزون يحصل
بعده او على الصنجة حصل بعدها والله اعلم بالصواب
بسم الله الرحمن الرحيم وما نقل من كتاب سيدنا ومولانا المرحوم الى الله تعالى
الشيخ عبد المجيد الناموني المكي تغمده الله تعالى بصوب الرحمة والرضوان
من المقالة الثالثة التي ذكرناها من القوانين التي يستخرج بها المجهول
المطلوب من المعلوم المفروض اذا كان بينهما وصلة تودي الى ذلك وفيها بابان
الاول في العمل بالنسبة ويشتمل على فصلين الفصل الاول في الاعداد الاربعة
والفصل الثاني في الكفات والباب الثاني في الجبر والمقابلة الباب
الاول في العمل بالنسبة ويشتمل على فصلين الفصل الاول في العمل بالاعداد
المتناسبة وهي اربعة اعداد نسبة الاول منها الى الثاني كنسبة الثالث الى
الرابع وبالعكس وبالضرورة تكون نسبة الاول منها الى الثاني كنسبة الثالث
الى الرابع وبالعكس وذلك كاثنين وثلثة واربعة وستة فيجوز فيها
التبديل وهو ان تنسب الاول للثالث والثاني للرابع والتحويل وهو
ان تنسب الثاني للاول والرابع للثالث ويجوز فيها ايضا التركيب وهو
ان تنسب مجموع الاول والثاني الى احدهما ومجموع الثالث والرابع
الى نظيره منهما وكذلك يجوز فيها ايضا تحويل التبديل وتركيبه وتفصيله
وتبديل التحويل وتركيبه وتفصيله وتبديل التركيب وتحويله وتبديله
وتبديل التفصيل وتحويله وتركيبه ولذلك ايضا تبديل تحويله التبديل
وتركيبه وتفصيله وهكذا الى غير نهاية مع بقا التناسب في ذلك كله وفي
جميع التراكيب الناشية عن هذه الاربعة اعني التبديل والتحويل والتركيب
والتفصيل

بسم الله الرحمن الرحيم

بدأت باسم الله ثم الحمد * رب تعالى في علاه فرد
جل عن التشبيه والصفات * ولا تشابه ذاته بذات
ثم الصلاة دائما على النبي * خير الانام الهاشمي العربي
صلى عليه ربنا وسلما * واله وصحبه وكرما
وبعد هذا يا اخي العتباني * اذا اردت قسمة القباني
ورمت ان تسموا على الاقران * بالوضع فاصغي وافهم المعاني
اعمد الى وزن العمود اولا * حرر ولا تكن لقولي مهملا
وعند ضبط الوزن احشي الجلد * واقصد الى التحديد وسط القصبه
ضع وسطها فوق حد بالتمكين * سمي رقيق كان او سكين
وبعد هذا اعلم التحديدا * لاجل القبان والتكن صنديدا
ثم ارجع للقطب في وسط اللسا * فهو محل النحش لا تخشى الهوان
وافتح من النحش لمعلاق الطبق * فتحة بركار عليها متفق
وقس من وسط محل القطب * لموضع التحديد لاجل الضرب
فما انتهى من عدة الفتحات * اضرب به في وزن العمود الاتي
كما تقدم ذكره في الاولى * فما اجتمع منه لقولي الاولى
فهو يكون للقبان ربح * فافهم كلامي انه مشروح
فاسقط من الربح مقام العمد * وانظر الى الفاضل فهو العمده
فان تكن تقسم في الكبير * فضع له قنطرة الصغير
وان تكن وجه الصغير تقسما * اسقطها من ربحه لتعلما
وكل ربح من كلا احداهما * يكون بالنسبة فافهم واعلما
من مركز القطب لبين اللقمه * فافهم كلامي انه بالحكمه
وقس من القطب سربعا اولا * لرومة القبان تبلغ الملا

الملحق رقم 12:

مطلع متن الشاطبية[1]

1. بَدَأْتُ بِبِسْمِ اللهِ فِي النَّظْمِ أَوَّلاً	تَبَارَكَ رَحْمَاناً رَحِيماً وَمَوْئِلاَ
2. وثَنَّيْتُ صَلَّى اللهُ رَبِّي عَلَى الرِّضَا	مُحَمَّدٍ المَهْدِي إِلَى النَّاسِ مُرْسَلاَ
3. وَعِتْرَتِهِ ثُمَّ الصَّحَابَةِ ثُمَّ مَنْ	تَلاَهُمْ عَلَى الإِحْسَانِ بِالخَيْرِ وُبَّلاَ
4. وَثَلَّثْتُ أَنَّ الحَمْدُ لِلَّهِ دَائِماً	وَمَا لَيْسَ مَبْدُوءاً بِهِ أَجْذَمُ العَلاَ
5. وَبَعْدُ فَحَبْلُ اللهِ فِينَا كِتَابُهُ	فَجَاهِدْ بِهِ حِبْلَ العِدَا مُتَحَبِّلاَ
6. وَأَخْلِقْ بِهِ إِذْ لَيْسَ يَخْلُقُ جِدَّةً	جَدِيداً مُوَالِيهِ عَلَى الجِدِّ مُقْبِلاَ
7. وَقَارِئُهُ المَرْضِيُّ قَرَّ مِثَالُهُ	كَالاُتْرُجِّ حَالَيْهِ مُرِيحاً وَمُوكِلاَ
8. هُوَ المُرْتَضَى أَمًّا إِذَا كَانَ أُمَّةً	وَيَمَّمَهُ ظِلُّ الرَّزَانَةِ قَنْقَلاَ
9. هُوَ الحُرُّ إِنْ كَانَ الحَرِي حَوَارِياً	لَهُ بِتَحَرِّيهِ إِلَى أَنْ تَنَبَّلاَ
10. وَإِنَّ كِتَابَ اللهِ أَوْثَقُ شَافِعٍ	وَأَغْنَى غَنَاءٍ وَاهِباً مُتَفَضِّلاَ
11. وَخَيْرُ جَلِيسٍ لاَ يُمَلُّ حَدِيثُهُ	وَتَرْدَادُهُ يَزْدَادُ فِيهِ تَجَمُّلاَ
12. وَحَيْثُ الفَتَى يَرْتَاعُ فِي ظُلُمَاتِهِ	مِنَ القَبْرِ يَلْقَاهُ سَناً مُتَهَلِّلاَ
13. هُنَالِكَ يُهْنِّيهِ مَقِيلاً وَرَوْضَةً	وَمِنْ أَجْلِهِ فِي ذِرْوَةِ العِزِّ يُجْتَلاَ
14. يُنَاشِدُ فِي إِرْضَائِهِ لِحَبِيبِهِ	وَأَجْدِرْ بِهِ سُؤْلاً إِلَيْهِ مُوَصَّلاَ
15. فَيَا أَيُّهَا القَارِي بِهِ مُتَمَسِّكاً	مُجِلاًّ لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ مُبَجِّلاَ
16. هَنِيئاً مَرِيئاً وَالِدَاكَ عَلَيْهِمَا	مَلاَبِسُ أَنْوَارٍ مِنَ التَّاجِ وَالحُلاَ
17. فَمَا ظَنُّكُمْ بِالنَّجْلِ عِنْدَ جَزَائِهِ	أُولَئِكَ أَهْلُ اللهِ وَالصَّفْوَةُ المَلاَ

[1] القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الشاطبي الرعيني الأندلسي، متن الشاطبية المسمى حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، تح: محمد تميم الزعبي، ط5، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، 2010، ص



قائمة المصادر و المراجع

القران الكريم

أولا :قائمة المصادر

1. ابن أبي أصبيعة أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الجزرجي ت 668هـ-1269م، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، صححه، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1998م.
2. ابن الأثير علي بن محمد بن عبد الكريم بن الواحد الشيباني الجزري، **الكامل في التاريخ**, دار بيروت للطباعة ، بيروت، 1402هـ-1984م
3. ابن الأحمر اسماعيل، **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، ط1، تقديم هاني سلامة، مكتبة الثقافية الدينية، مصر، 2001م
4. ابن الاخوة محمد بن محمد ت.729هـ/1328م، **معالم القرية في أحكام الحسبة**، تحقيق: محمد محمود شعبان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ، 1976م.
5. ابن الحاج النميري، **فيض الغياب وإفاضة قداح الأدب في الحركة السعدية في قسنطينة و الزاب**،ط1، إعداد، محمد شقرون، دار الغرب الإسلامي، الرباط، 1990م،
6. ابن العماد عبد الحي بن أحمد العكري الحنبلي الدمشقي ت 1089هـ-1679م، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ج5، ط1، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط تعليق, محمد الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، 1976م
7. ابن الوردي سراج الدين، **فريدة العجائب وفريدة الغرائب**، ط1، تحقيق: أنور محمود زياني، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، 2008م
8. ابن بطوطة محمد بن عبد الله الطنحي ت 776هـ- 1374م، **رحلة ابن بطوطة المسماة "تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار** "، ج1، تقديم محمد السويدي، موفم للنشر ، الجزائر، 1989م

9. ابن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي ت 874هـ/1470م، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة** ، ط1، تقديم و تعليق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ - 1992م

10. (------،------)،**المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، ج3، تحقيق: د. نبيل محمد عبد العزيز، الهيئة المصرية ،القاهرة ، 1988م

11. ابن جبير أبو الحسن بن محمد الكناني، **رحلة ابن جبير**، دار التراث، بيروت، 1968م

12. ابن حوقل النصبي، **صورة الأرض**، دار الكتاب الاسلامي ، القاهرة ، (د.ت
ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد الحضرمي ت 808هـ-1406م، **التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقا**، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة، 2006م.

13. (------------)، **العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من دوي السلطان الأكبر**، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1998م

14. (------------)، **شفاء السائل و تهديب المسائل** ، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، 1996م

15. (------------)،**المقدمة**، ط1، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش ، دار البلخي ، دمشق ، 1425هـ-2004م

16. ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت 681هـ-1283م، **وفيات الاعيان في أنباء أبناء الزمان** ، ج3، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، القاهرة ، 1948

17. ابن دقماق ابراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي، **الانتصار لواسطة عقد الامصار في تاريخ مصر**، تحقيق, لجنة احياء التراث العربي، منشورات دار الافاق الجديدة، المطبعة الكبري الأميرية، القاهرة، 1891م

18. ابن رشد الفهري السبتي ت 721هـ-1322م، **ملء العيبة في الوجهة إلى الحرمين مكة و طيبة**، ج5، تحقيق: محمد الحبيب ابن خوجة، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1988م

19. ابن سعيد المغربي أبو الحسن بن موسي ت 685هـ-1286م، **المشرق في حلي المشرق**، تحقيق : .شوقي ضيف ، دار المعارف، القاهرة، 1984م

20. (------------)، **كتاب الجغرافيا**، تحقيق: اسما عبل العربي، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م

21. ابن شاكر الكتيبي بن احمد بن عبد الرحمن بن شاكر ت 764هـ-1365م، **فوات الوفيات**،ط3، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة ، بيروت ،1973م

22. ابن شداد عز الدين ابو عبد الله بن علي بن ابراهيم الانصاري ت 684هـ-1285م، **الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**، نشر المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، 1956م.

23. ابن طولون شمس **الدين، الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام المعروف بقضاة دمشق**، تحقيق: صلاح المجند، مطبعة الترقي، دمشق، 1956م.

24. ابن غازي المكناسي محمد بن احمد بن محمد بن علي ت 910هـ ، **فهرس ابن غازي التعلل برسوم الإسناد بعد إنتقال أهل المنزل والناد**، تحقيق: محمد الزاهي، دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، 1399 هـ - 1979

25. ابن فرحون ابراهيم بن علي بن محمد برهان الدين اليعمري المالكي ت 799هـ-1396م ، **نصيحة المشاور و تعرية المشاور** ، ط1،تحقيق: حسن محمد علي شكري، دار الأرقم ، 2000م

26. ابن قاضي شبهة تقي الدين أبي بكر بن أحمد الاسديت 851هـ-1448م، **تاريخ ابن القاضي شهبة**، مج3، ج3، من المخطوط، تحقيق: عدنان دروس، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق ، سوريا ، 1994م

27. ابن قنفد أبو العباس أحمد بن حسن القسنطيني ت810هـ-1407م، **الوفيات**،ط1، تحقيق : عادل نويهض ,دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983م .

28. ابن كثير أبو الفداء القريشي الدمشقي الحنبلي ت 774هـ-1372م، **البداية والنهاية**،ج13، ط2، مكتبة المعارف، بيروت ، مكتبة النصر ، الرياض ، 1966م.

29. ابن مرزوق ابو عبد الله بن محمد التلمساني الخطيب، **المسند الحسن في ماثر و محاسن مولانا ابي الحسن**، تحقيق : ماريا خيسوس بيغيرا , الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1981م

30. ابن مريم المليثي المديوني التلمساني ت 1014هـ-1615م، **البستان في ذكر الاولياء و العلماء تلمسان** ، عناية و طبع ، محمد بن أبي شنب ، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1326هـ-1986م.

31. ابن منظور محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري ت 711هـ-1311م، **لسان العرب** ، ط3، حققه: عبد الله علي الكبير ، دار المعارف، القاهرة، 1414هـ-1996م

32. أبو معين الدين ناصر خسروا الحكيم القبادياني المروزي ، **سفر نامة**،ط1، ترجمة و تقديم، أحمد خالد البدلي ، جامعة الملك سعود، القاهرة, 1994م

33. أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي ، **مروج الذهب و معادن الجوهر**، ج1، تقديم ، محمد السويدي ، موفم للنشر، الجزائر ، 1989م.

34. أبو العباس احمد التيجاني ، **رحلة التيجاني** ، المطبعة الرسمية تونس، 1958

35. أبو الفضائل الحموي، التاريخ المنصوري "**تلخيص الكشف و البيان في حوادث الزمان** "،تحقيق: أبو العيد دودو مراجعة ,عدنان درويش ، مطبعة الحجاز، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1981م.

36. أبو الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي، **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، ج1، تحقيق: رشدي الصالح حسن، مطبع بنتو، مدريد، إسبانيا ، (ب, ت).

37. أبو داود سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل،**طبقات الاطباء والحكماء**، القاهرة ، 1955م

38. أبو يعقوب يوسف بن يحيي التادلي، **الشوق الي رجال التصوف و أخبار أبي العباس السبتي**، ط2، تحقيق :أحمد التوفيق ، منشورات كلية الادب بالرباط، 1997م

39. أبو يعلي التميمي المعروف ابن القلانسي ، **ديل تاريخ دمشق** ، ط1، تحقيق: سهيل زكار،دار احسان ، دمشق، 1983م

40. أبي الحسن مرداسي السباعي ، **القبس النحوي في نظم الزواوي**، ،ط1، دار الكلم الطيب، دمشق،1425هـ-2004م.

41. أبي بكر ابن نقطة، **التقييد لمعرفة الرواة و السنن و المسانيد**، ج2، تحقيق : شريف بن صالح الشناوي ، وزارة الاوقاف القطرية ، الدوحة، 1435هـ-2014م

42. أبي حامد أحمد بن محمد الغزالي، **احياء علوم الدين**، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م

43. أبي شامة ابراهيم المقدسي الدمشقي المعروف ، **الروضتين في أخبار الدواتين النورية والصلاحية**،ج5، ج1، تحقيق: ابراهيم الزيبق، دار الرسالة، دمشق، دار البشائر، بيروت، 1431هـ-2010م.

44. أحمد أبو عصيدة البجائي ، **رسالة الغريب الى الحبيب** ، ط1، تعليق وتلخيص أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الاسلامي، بيروت ، لبنان ، 1993م.

45. أحمد بن محمد المعروف بابن الفوطي ، **الحوادث الجامعة و التجارب النافعة في المائة السابعة**، تحقيق: مهدي نجم ,دار الكتب العلمية، بيروت ، 1424هـ-2004م

46. اسماعيل البغدادي ، **هدية العارفين لأسماء المؤلفين وأثار المصنفين من كشف الظنون** ، ج1،ط1، دار الفكر ، القاهرة، 1982.

47. البلاذري أبو الحسن، **فتوح البلدان**، ط1، مكتبة الهلال، بيروت، 1421هـ-2000م

48. البلوي أبو البقاء خالد بن عيسي ت بعد 767هـ-1365م، **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**، ج1، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، الرباط، أبوظبي، (د.ت)

49. الترميذي أبو عيسي محمد بن عيسي ت 279هـ-892م، **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، ج2، مراجعة، أحمد محمد شاكر و أخرون، دار احياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

50. تقي الدين الفاسي،**العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، ج2،تحقيق:محمد عبد القادر،أحمد عطا،دار الكتب العلمية،بيروت،1998م

51. التنبكتي أحمد بابا، **نيل الانتهاج بتطريز الديباج**، ج1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989.

52. (-----------)،**كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، ج1،ج2،تحقيق:محمد مطيع، مطبعة فضالة، وزارة الشؤون الاسلامية،المغرب،2000م

53. التنسي محمد بن عبد الله، **تاريخ ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر و العقبان في شرف بني زيان**، تحقيق:د .محمود اغا بوعياد ، موفم للنشر، بدعم من وزارة الثقافة تلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية، 2011م

54. حاجي خليفة، **كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون**، ج1، دار احياء التراث العربي ، بيروت، 1941م

55. الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف افريقيا**، ج1،ترجمة، محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، لبنان ، 1983م

56. الحصني محمد أديب آل تقي الدين ، **كتاب منتخبات التواريخ لدمشق** ،تقديم ، كمال سليمان الصليبي ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، 1979م .

57. الحموي ياقوت شهاب الدين بن عبد الله ت626هـ-1228م، **معجم البلدان**، ط2، دار صادر، بيروت، 1995م

58. خالد الناصري السلاوي، **الاستقصاء**، ج3، تحقيق : جعفر الناصري و محمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء، 1997م

59. الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز ت 748هـ-1347م، **معجم الشيوخ**، ج1، ط1، تحقيق : روجيه عبد الرحمن السيوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1990م

60. (-----------)، **تاريخ الاسلام**، ج5، ط1، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي ، 1421هـ -1990م

61. (-----------)، **سير أعلام النبلاء**، ج22، تحقيق: بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، 1998م

62. (-----------)،**معرفة القرّاء الكبار على الطبقات و الاعصار**، ج2، تحقيق:بشار عواد معروف، شعيب أرناؤوط، مؤسسة الرسالة، سوريا ، 1984م.

63. (-----------)، **العبر في خبر من غبر**، ج،5 ، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1984م

64. (----------)، **المعجم المختص بالمحدثين**،ط1،تحقيق:محمد الحبيب الهيلة،مكتبة الصديق، الطائف،المملكة العربية السعودية،1408هـ-1988م

65. السبكي تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج8، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناجي، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة ، 1964م.

66. السجلماسي، **اتحاف الناس بأخبار حاضرة مكناس لابن زيدان**، ج3، ط3، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، 2008م

67. السخاوي شمس الدين ابو الخبر محمد بن عبد الرحمن ت 902هـ-1496م، **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة** ،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1414هـ-1993م

68. (------------) ، **التبر المسبوك في ديل السلوك** ، تحقيق :د.لبيبة ابراهيم مصطفي و اخرون، مطبعة دار الكتب و الوثائق القومية، القاهرة، 1426هـ-2005م

69. (------------)، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** ، ط2، دار الجيل ، بيروت، 1992م.

70. السيوطي عبد الرحمن بن ابي بكر ابو الفضل جلال الدين ت911هـ-1505م ، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة**، ج1، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1964

71. (------------) ، **جزيل المواهب في اختلاف المذاهب** ، تحقيق: عبد القيوم محمد البستوي، دار الأعتصام، 1992م.

72. (------------)، **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**،ط2، ط1،دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1977م

73. (------------)، **طبقات المفسرين في الطبقات الحنفية** ،ج1، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، 1976م

74. (------------)، **نظم العقيان في أعيان الاعيان**، المكتبة العلمية، بيروت،(د.ت)

75. الشريف الادريسي، **المغرب وأرض السودان ومصر و الاندلس مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، مطبعة بريل ليدن، هولندا ، 1863م.

76. شمس الدين محمد بن عفيف الدين التلمساني ، **ديوان شعره**، تحقيق : صلاح الدين الهواري ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 2004م

77. الشهرستاني الثاني محمد عبد الكريم بن ابي بكر احمد ت 548هـ-1153م ، **الملل و النحل**، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل ، دارالمعرفة ، بيروت، 1404هـ-1983م

78. الشيرازي الشافعي عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله ابو النجيب جلال الدين العدوي ت 59هـ، نهاية الرتبة الظريفة في طلبة الحسبة الشريفة ، مطبعة لجنة التاليف و الترجمة و النشر القاهرة، 1946م.

79. صدر الدين أبا طاهر السلفي أحمد بن محمد الاصبهاني ت 576هـ ، **معجم السفر**، ج1، تحقيق :عبد الله عمر البارودي ، المكتبة التجارية مكة المكرمة ،(د.ت)

80. الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك ، **نكت الهميان في نكت العميان**، تحقيق: مصطفي عبد القادر ، دار احياء التراث ، بيروت ، 1420هـ-2000م

81. الصولي أبو بكر محمد بن يحي، **أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم من كتاب الأوراق**، ط2، نشره و تحقيق، ج هيورث(ن)، دار المسيرة، بيروت، 1399هـ/ 1979م

82. الطبري أبو جعفر محمد بن جرير، **تاريخ الأمم و الملوك**، ج4، ط2، تحقيق: نواف الجراح، دار صادر، بيروت، 1426هـ-2005م

83. عبد الحق بن عبد المؤمن البغدادي ت 739هـ-1338م، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة و البقاع** ، ج2،ط1، تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار الجيل بيروت، لبنان، 1412هـ-1992م

84. العليمي مجير الدين ابو اليمن عبد الرحمن بن محمد ت928هـ-1521م، **الانيس الجليل بتاريخ القدس و الخليل** ، تحقيق :عدنان يونس عبد المجيد نباتة، مكتبة عمان، 1420هـ-1999م

85. العيني بدر الدين أبو محمد بن احمدت855هـ-1451م، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، ج2، تحقيق : محمد محمد أمين، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1988م

86. الغزي نجم الدين، **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة** ، ج1 ، تحقيق: جبرائيل سليمان جبور ، مطبعة المرسلين اللبنانيين ، بيروت ، 1949م

87. الفلقشندي أحمد بن علي ت 821هـ-1418م، **صبح الأعشي في صناعة الأنشاء** ، ج3، تحقيق:محمد حسين شمس الدين ,المؤسسة العامة للتأليف و الترجمة و الطباعة ، القاهرة ، 1985م .

88. القدسي أبي حامد، **دول الاسلام الشريفة البهية**، ط1 ، تحقيق: صبحي لبيب و أولريش هارمان ، منشورات المعهد الالماني للأبحاث سلسلة النشرات الاسلامية ، بيروت، 2009م

89. القفطي جمال الدين، **انباه الرواة على أنباه النحاه**، ج2، تحقيق :محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، و مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1982م

90. القلصادي أبو الحسن علي الأندلسي ت 891هـ-1481م، **رحلة القلصادي**، تحقيق :محمد ابو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978م

91. الكتاني محمد بن جعفر بن ادريس الحسني، **الرسالة المستطرفة ببيان مشهور كتب السنة المشرفة** ،ط6، تحقيق:محمد المنتصر بن محمد الزمزمي، دارالبشائر الاسلامية، بيروت، 2000م

92. كمال الدين ابن العديم عمر بن أبي جرادة، **بغية الطلب في تاريخ حلب** ، ج3، تحقيق :سهيل زكار، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان، (د.ت)

93. لسان الدين ابن الخطيب السلمي، **أعمال الأعلام فيمن بويع فبل الاحتلام من ملوك الاسلام،قسم الثالث تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط**، تحقيق: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب،الدار البيضاء،1964

94. (-------------)،**الاحاطة في أخبار غرناطة**، ط1 ، نسخ، يوسف بن الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م

95. أبي بكر الطرطوش، **سراج الملوك**، من أوائل المطبوعات العربية ، مصر، 1289هـ-1872م، تاريخ الإضافة 14نوفمبر2010م

96. محمد ابن ادريس الشافعي، **رحلة الشافعي**، نشر, محي الدين الخطيب، المطبعة السلفية ، القاهرة ، 1350هـ

97. محمد بن جعفر بن ادريس الكتاني، **سلوة الانفاس و محادثة الاكياس بمن اقبرمن العلماء و الصلحاء بفاس** ، ج3، طبعة حجرية ، فاس ، المغرب، (د.ت)

98. المراكشي ابن عذاري، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج3، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983م.

99. المراكشي عبد الواحد، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ط1، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1949م

100. المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج4، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد المكتبة الإسلامية، بيروت، (ب. ت).

101. المقدسي محمد بن أحمد، **أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم** ، دار السويدي للنشر والتوزيع المؤسسة العربية للدراسات و النشر، أبوظبي ، بيروت، 2003م

102. المقري شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني ت 1041هـ-1631م، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تحقيق: سعيد أحمد عراب ، منشورات صندوق احياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة العربية والامارات العربية، 1409هـ - 1980 م

103. (-------------)، **نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب**، ج3، تحقيق: د .احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1997م

104. المقريزي أبو العباس تقي الدين ت 845هـ-1441م ،اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا، ج3، تحقيق :محمد حلمي و محمد احمد، لجنة التراث الاسلامي ، القاهرة، 1416هـ-1996م

105. (-----------)، **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء من الملوك**، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1955.

106. المكناسي أبي العباس أحمد بن محمد الشهير بابن القاضي، **درة الحجال في أسماء الرجال**، ط1، تحقيق : محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، 1970م

107. مؤلف مجهول، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج4، منشورات وزارة الثقافة، الدار البيضاء، 2001م

108. مؤلف مجهول، **كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار**، تحقيق: سعد زعلول عبد الحميد، الكويت،1985م

109. النباهي المالقي الأندلسي أبو الحسن، **تاريخ قضاة الأندلس المسمى "كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء و الافتاء"**، ط5، تحقيق: لجنة احياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان ، 1983م

110. النجم ابن فهد، **إتحاف الورى بأخبار ام القري**، ج2، ط1، تحقيق: محمد شلتوت، مكتبة الخانجي ، القاهرة، 1983م

111. النعيمي عبد القادر بن محمد الدمشقي ت 927هـ-1520م، **الدارس في تاريخ المدارس**، ط1، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ-1990م

112. النويري شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب بن محمد بن القاسم بن عبد الدائم القريشي البكري ت 733هـ-1332م، **كتاب الالمام بالأعلام فيما جرت به**

الاحكام و الامور المقضية في واقعة الاسكندرية، ج4، تحقيق: عزيز سوريال عطية، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الدكن حيدر أباد، الهند، 1970م

113. (-----------)، **نهاية الأدب في فنون الأدب**، ج30، تحقيق: مصطفي أبو ضيف، مفيد قمحية، يوسف طويل ,يحيي الشامي، حسن نور الدين، دار الكتب العلمية، 1424هـ-2004م.

114. الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيي، المعيار المعرب و الجامع المغرب عن **فتاوي أهل إفريقيا و الأندلس و المغرب**،ج11 ، اخرجه جماعة من الفقهاء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م

115. *(----------)، **الوفيات**، تحقيق: أحمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف* والترجمة الرباط، 1976م

116. يحي ابن خلدون، **بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد**، ج1، تحقيق: عبدالحميد حاجيات، اصدارات المكتبة الوطنية، الجزائر، 1400هـ-1980م

117. اليعمري فتح الدين الاشبيلي المعروف بابن سيد الناس ت 741هـ-1342م، **الانباء المستطابة في مناقب الصحابة والغرابة**، تحقيق : علي أحمد ، دار حسان، دمشق، 1992م

118. اليونيني قطب الدين ابو الفتح موسي بن محمد ت 726هـ-1325م، **ذيل المراة الزمان**، ج4،ط1، تحقيق:حمزة أحمد عباس، المجمع الثقافي ، هيئة أبو ظبي للثقافة و التراث ، أبوظبي، 2007 م

ثانيا :قائمة المراجع بالعربية

119. ابتسام مرعي خلف الله، **العلاقات بين الخلفة الموحدية و المشرق الإسلامي 524-936هـ/1130-1529م**، دار المعارف ، القاهرة ، 1405هـ-1985م

120. ابن فارس احمد بن زكريا ، **مقاييس اللغة** ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، ج2، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، 1399هـ -1979م

121. أبو الأجفان محمد الهادي، "**رحلات الأندلسيين إلى الحرمين, قرون من التقلبات و العطاءات**، ج2،ط1، مكتبة الملك عبد العزيز،الرياض،1990

122. أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي (1830/1500م)**، ج1،ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1980م

123. أبو القاسم الحفناوي،**تعريف الخلف برجال السلف**،ج2،مطبعة بيير فونتال،الجزائر،1906م

124. أبو رزاق أحمد بن محمد، **الأدب في عصر دولة بني حماد**، وزارة الثقافة، طبعة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007 م

125. أبو عبد الله محمد بن محمد الاندلسي المعروف بالوزير السراج ت 1735م، **الحلل السدسية في الأخبار التونسية**،ج2،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م

126. أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف أبي دينار ، **المؤنس في تاريخ افريقيا و تونس**، تحقيق :محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، 1967م

127. أحمد بكير محمود، **المدرسة الظاهرية بالمشرق و المغرب**، ط1، دار قتيبة للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، دمشق ، سوريا، 1990م

128. أحمد بن مصطفى، **مفتاح السعادة ،و مصباح السعادة في موضوعات العلوم**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1985م

129. أحمد بن مصطفي الشهير بطاش كبرى راده، **مفتاح السعادة ومصباح السيادة**، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، 1405هـ-1985م

130. أحمد شوقي عبد السلام ضيف المعروف بشوقي ضيف ت 1426هـ-2005م، **الرحلات**، ط4، دار المعارف، القاهرة، (د ت)

131. أحمد علي,**الأندلسيون و المغاربة في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس القرن التاسع الهجري**، ط1، دار طلاس، دمشق، 1989م

132. (----------) ، **الدور الفكري للأندلسيين والمغاربة في المشرق العربي**، دار شمائل، دمشق ، سوريا ، 1989م

133. أحمد مختار العبادي، **في تاريخ المغرب والأندلس** ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 2008م

134. اسماعيل البغدادي، **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**، ج1،دار الفكر، القاهرة ، 1982م

135. الآغا بن عودة المزاري، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر و إسبانيا و فرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، ط1، تحقيق ودراسية: يحي بوعزيز، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1990م

136. أمين أحمد، **ضحي الإسلام** ، ج1، المكتبة التوفيقة، القاهرة، (د.ت) .

137. الأوتاني أحمد، **دمشق في العصر الأيوبي**، ط1، تقديم، سهيل زكار، دار التكوين للتأليف و الترجمة و النشر، دمشق، 2007م

138. باشا عمر موسي، **الأدب في بلاد الشام" عصر الزنكيين و الأيوبيين و المماليك**"، ط2، دار العلم ، دمشق ، 1982م

139. بريكة مسعود، **النخبة والسلطة في بجاية الحفصية(7-9هـ/13/15**، دار ميم للنشر، الجزائر، 2014م

140. بشير ضيف بن أبي بكر البشير بن عمر الجزائري، **فهرست معلمة التراث الجزائري في القديم والحديث**، ط2 ، دار ثالة ، الجزائر، 2007م.

141. بطرس البستاني، **دائرة المعارف"قاموس عام لكل فن و مطلب** "،ج8، مطبعة المعارف، بيروت، 1984م

142. بن خوجة محمد، **تاريخ معالم التوحيد**، المطبعة التونسية،تونس، 1385هـ/1960م

143. بوزياني الدراجي، **القبائل الامازيغية،أدوارها، مواطنها، و أعيانها**، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م

144. بوزياني الدراجي، **نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية**،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1993م

145. التازي ابراهيم، **أوقاف المغاربة في القدس** ، مطبعة فضالة، المحمدية ، 1401هـ-1981م

146. جمال الدين شيال، **تاريخ مصر الاسلامية**، دار المعارف، القاهرة ، 1966م

147. جمال الذين عبد الله بن محمد، **"طرد المسلمين من الأندلس: مراحله، آثاره و نتائجه**، ج2، ط1، عن ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، 1996م

148. جواد المرابط، **التصوف والأمير عبد القادر الحسني**، دار اليقظة، دمشق، 1995م

149. الحداد اسماعيل، **العمارة المصرية الإسلامية، ط1**،مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1993م

150. حركات ابراهيم، **المغرب عبر التاريخ**، ج3، دار الرشاد الحديثة ، 2000م

151. الحسن بن مرداسي السباعي، **القبس النحوي في شرح نظم الزواوي، ط1**، دار الكلم دمشق، 1425هـ-2004م.

152. الحسن الشاهدي، **أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني**، ج1، دار عكاظ للطباعة و النشر، المغرب، 1990م

153. حسن محمد، **المدينة البادية بإفريقية في العهد الحفصي**، ج2، دار المكارمة للنشر و التوزيع، تونس، 1999م.

154. حسين الحاج حسن، **حضارة العرب في العصر العباسي**، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1414هـ- 1994م.

155. حسين مؤنس، **تاريخ المغرب وحضارته العصر الحديث**،ج2،ط1، للنشر والتوزيع، بيروت، 1998م

156. (--------)، **ابن بطوطة ورحلاته**، دار المعارف، القاهرة ، 1980م

157. (--------)، **تاريخ المغرب العربي و حضارته من قبل القمع الى الغزو الفرنسي**، ج 2،العصر الحديث للنشر و التوزيع، 1992م

158. حسين نصار ، **أدب الرحلة**، ط1، دار نوبا للطباعة و الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، 1991م

159. حمد الصالح الصديق، **أعلام من المغرب العربي**، ج1، موفم للنشر، الجزائر، 2007م

160. حمد سهيل طقوس، **تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام،ط3**، دار النفائس، بيروت، 1431هـ - 2010م

161. حياة ناصر الحجي، **صورة من الحضارة العربية الإسلامية في سلطنة المماليك**، ط1، دار القلم للنشر والتوزيع ، الكويت، 1992م

162. رابح بونار، **المغرب العربي تاريخه وثقافته** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1988م

163. رشيد بوروبة، **الكتابات الأثرية في مساجد الجزائر**، ترجمة، ابراهيم شبوح، الشركة الوطنية للنشر **و** التوزيع و المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979م

164. (--------)، **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 1977م

165. زكي محمد حسين، **الرحالة المسلمون في العصور الوسطي**، دار الرائد العربي، بيروت، 1981م

166. سعاد ماهر، **مساجد مصر وأولياؤها الصالحون**،ج1، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1971م

167. سعد زغلول عبد الحميد، **تاريخ المغرب العربي**، ج3، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د.ت)

168. سعيد عبد الفتاح عاشور، **العصر المماليك في مصر والشام**، ط2، دار النهضة العربية القاهرة، 1976م

169. (----------)، **المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**، دار النهضة العربية القاهرة، 1962م

170. (-------------) ،**العصر المماليكي في مصر والشام** ، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1965م

171. سلامة صالح النعيمات وآخرون، **الحضارة العربية الإسلامية**، الشركة العربية المتحدة للتسويق، القاهرة، 2008 م

172. سهيل زكا ر، **فلسطين في عهد المماليك في اواسط القرن السابع الهجري إلى مطلع القرن العشر الهجري**، مكتبة المهتدين، (د.ت).

173. سيد أ يمن فؤاد، **التطور العمراني لمدينة القاهرة** ، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ، 2004م .

174. سيد حسين نص ، **مرجان العالم الإسلامي** ، دار بيروت للعلم، بيروت، 1974م.

175. شرف الدين الكروي، **المرجع في الحضارة الاسلامية**، ط1، منشورات ذات السلاسل ، الكويت ، 1984م.

176. صالح أبو دياك، **دراسات في التاريخ الإسلامي**، الحضارة الاسلامية و مؤسساتها، عمان ، 1985م.

177. صالح بن قرية، **المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى**، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986م

178. (--------)، **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر ، 2007م

179. صلاح الدين الشامي، **الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية**، منشاة المعارف، الإسكندرية ، 1989م

180. صلاح الدين منجد، **المشرق في نظر المغاربة و الأندلسيين في القرون الوسطي**، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، 1963م

181. الطاهر بونابي، **التصوف في الجزائر القرن 7-6هـ/12-13م** ،دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004م.

182. طرفة عبد العزيز العبيكان، **الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنيين السابع و الثامن للهجرة**، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية،الرياض، السعودية، 1996م

183. الطمار محمد، **تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة وحضارة الجزائر**، المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007م

184. (--------)، **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1983م

185. عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي ، **الرحلة في الاسلام :أنواعها و آدابها**، ط1، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة ، 1992م

186. عبد الحليم عويس، **دولة بني حماد**، دار الصحوة للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، 2002م

187. عبد الحميد حاجيات،**أبو حمو موسي الزياني حياته وأثاره**،**ط2**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982

188. عبد الرحمن العدوي ابراهيم،**ابن بطوطة في العالم الاسلامي**، دار المعارف، مصر ، 1965م

189. عبد الرحمن بك سامي، **القول الحق في بيروت و دمشق**، دار الرائد العربي، بيروت،1401هـ - 1981م

190. عبد العزيز سالم و أحمد مختار العبادي،**تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب و الأندلس**، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 1969م

191. عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني "دراسة سياسية ،عمرانية ،إجتماعية، ثقافية"**، ج1، موفم للنشر و التوزيع، الجزائر، 2002م

192. عبد القادر العافية، **رحلة الحج و لقاء الشيوخ " التيجيبي نمودجا"**، ط1، دار ابن حزم للطباعة و النشر، بيروت، 2006م

193. عبد الله العمري ، **تاريخ العلم عند العرب**، دار مجدلاوي، عمان، 1980م

194. عبد الله المرابط الترغي، **فهارس علماء المغرب، منذ النشأة الى نهاية القرن الثانيعشر للهجرة**، ط1، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، تطوان، المغرب، 1999م

195. عبد المجيد التركي، **مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين إبن حزم و الباجي**، دار الغرب الإسلامي ،بيروت، (د .ت)

196. عبد المنعم القاسمي الحسني، **أعلام التصوف في الجزائر من البدايات الي غاية** و **الحرب العالمي الأولي "دراسة احصائية وتحليلية** "، ط1، دار الجليل القاسمي للنشر و التوزيع، المسيلة، الجزائر، 2005م

197. عبد الهادي التازي، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من اقدم العصور إلى اليوم**، ج7، مطابع فضالة، المحمدية، 408هـ-1988م

198. عبد الواحد دنون طه، " **الرحلة و دورها في توثيق الصلات العلمية : الموصل و الأندلس انموذجا** " ، ضمن كتاب : **الرحلات العلمية المتبادلة بين الغرب الإسلامي و المشرق** ، ط1، دار المدار الإسلامي ، بيروت, 2005م

199. عبد الوهاب بن منصور، **أعلام من المغرب العربي**، ج1، المطبعة الملكية، الرباط، 1979م

200. عبد جليل قربان، **التعليم بتلمسان في العهد الزياني**، ط1، جسور للنشر و التوزيع، الجزائر، 1432-2011م

201. عبد العزيز بن جمعة الموصلي، **خرح ألفية ابن معطي**، ج1، ط1، تحقيق:علي موسى الشوملي، دار البصائر، الجزائر، 2007م

202. عبد المنعم ماجد، **تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى،ط5**، مكتبة الانجومصرية ، القاهرة، 1973م.

203. عبد الكريم العفيفي، **موسوعة ألف مدينة إسلامية**، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000م

204. علي باشا مبارك، **الخطط التوفيقية الجديدة لمدينة مصر القاهرة و مدنها و بلادها القديمة و الشهيرة**، ج2،ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،1987م

205. علي حسن عمار، **الصوفية والسياسة في مصر**، مكتبة الأسرة،القاهرة، 2007م

206. عنان محمد عبد الله،**تراجم إسلامية**، ط2،شرقية و أندلسية ، مكتبة الخانجي القاهرة، 1390هـ- 1970م

207. (----------)، **نهاية الاندلس وتاريخ العرب المنتصرين**، ط**4**، مكتبة الناجي، القاهرة، 1417هـ-1997م

208. فكري أحمد، **مساجد القاهرة و مدارسها**، ج2، دار المعارف، مصر، 1999م

209. قاسم قاسم عبيد، **الحروب الصليبية وخصائصها في العصر العباسي**، ج1، الدار المصرية للكتاب، القاهرة، 1983م

210. القبلي محمد، **قضية المدارس المرينية ملاحظات و تأويلات ضمن كتاب : في النهضة و التراكم** ، المعرفة التاريخية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1987م.

211. محمد المنوني، **الجزيرة العربية في الجغرافيات و الرحلات المغربية**، ج2، مصادر تاريخ الجزيرة العربية،

212. محمد كرد علي، **خطط الشام**، ط3، مكتبة النوري، دمشق، 1403هـ-1983م

213. مخلوف محمد بن محمد بن علي بن عمر بن سالمت 1360هـ-1939م، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ج1، ط1، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003م

214. مفتاح خلفات، **قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط، ما بين القرنين(6-9هـ/12-15م) دراسة في دورها السياسي والحضاري**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2011م

215. نزيه شحادة، **صفحات من الحضارة الإسلامية**، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1427هـ -2006م

216. نقادي محمد، **إسهامات الآبلي في الحياة الفكرية خواصر المغرب،** منشورات وزارة الشون الدينية، تلمسان، 2011م

217. نوال عبد الرحمان الشوابكة، **أدب الرحلات الاندلسية و المغربية حتي نهاية القرن التاسع الهجري،** ط1، دار المامون للنشر و التوزيع، عمان،2001م

218. هيكل نعمة الله وإلياس مليحة، **موسوعة علماء الطب،**ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م

ثالثا : قائمة المراجع المعربة

219. بروكلمان كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية، ط5،** دار العلم للملايين، بيروت، 1969م

220. جورج شحاته قنواتي، **تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط،** مصر، 1959م.

221. جورج مارسي، **تلمسان،** ترجمة ، سعيد رحماني، دار النشر التل، الجزائر، 2004م

222. زيغريد هونكة، **شمس العرب تسطع على الغرب** ، ط3، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي ، بيروت ، 1979م

223. السير هاملتون ا.ر. جب، **صلاح الدين الأيوبي،** ط2، ترجمة،يوسف ايبس، بيسان للنشر و التوزيع،بيروت، 1996م

224. شارل أندري جوليان، **تاريخ إفريقيا الشمالية،** تعريب، محمد مزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1969م

225. مارجوليت دافيد صموئيل، **القاهرة و بيت المقدس و دمشق** ، دار علاء الدين ، دمشق ،2000م

226. مارمول كر بخال، **إفريقيا** ، ج2 ، ترجمة ، محمد حجي ،محمد الاخضر ، محمد زبير، أحمد التوفيق، أحمد علوان، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع ، الرباط، 1984م.

رابعا : الرسائل الجامعية

227. بن خيرة أحمد ، **دور المغاربة و الأندلسيين في الحروب الصليبية ما بين القرنين الخامس و التاسع الهجريين**، رسالة ماجيستير، كلية العلوم الانسانية، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر2، 2010-2011م

228. الحاج عيفة," **إسهامات المغاربة و الأندلسين في مصر و بلاد الشام من بداية القرن السادس إلى نهاية القرن التاسع الهجري** "، وأطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف: أ.د عبد الحميد حاجيات، قسم التاريخ، جامعة الجزائر ، 2009-2010م

229. زردومي إسماعيل، **فن الرحلة في الادب المغربي القديم**، رسالة دكتوراه، اشراف: الدكتور عبد الله الغشي ، جامعة باتنة ، 2005-2006م

230. كية راجعي، **الزخارف الجدارية في المغرب الأوسط،من بداية العصر الحمادي إلى نهاية العصر المريني**، رسالة لنيل شهادة الماجستير،جامعة الإسكندرية،كلية الأدب، قسم التاريخ والأثار المصرية والإسلامية ، 1993م

231. بلحاج محمد، "**النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخرالمناقبابن صعد التلمساني دراسة تحقيق** "، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط،كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2007-2008م

232. عبد الرحمان بالأعرج، "**علاقات دول المغرب الإسلامي بدول المماليك سياسياو ثقافيا بين القرنين السابع و التاسع هجريين7-9هـ/13-15م**"، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ ، تخصص تاريخ المغرب الاسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، 2012-2013م

233. علي يحي كعبي، **أراء الشيخ عبد الرحمن الثعالبي الاعتقادية من خلال تفسيره"الجواهر الحسان**"، رسالة دكتوراه في العقيدة، جامعة ام القرى، المملكة العربية السعودية ، 2013م-2014م

234. عمر سي عبد القادر، **الروابط الثقافية بين الأندلس ومصر المملوكية من القرن7 إلى 9هـ/ 13. 15م** ، مذكرة ماجستير، مرقونة، في تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف د: مبخوث بوداوية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 1430-1431هـ/ 2009- 2010م

235. لخضر عبدلي، **الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633-962هـ/12361554م)**، دكتوراه دوله في التاريخ الاسلامي، جامعة أبوبكر بلقايد ، تلمسان، 2004-2005م

236. لعربي لقريز، **مدارس السلطان أبي الحسن علي "مدرسة سيدي أبي مدين نمودجا"، دراسة أثرية وفنية**، رسالة دكتوراه كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، شعبة الفنون الشعبية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان ، 2000-2001م

237. لعرج عبد العزيز، **المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية، دراسة أثرية معمارية وفنية**، رسالة لنيل درجة دكتوراه دولة في الاثار الإسلامي,1999-2000م

238. محمد بوركبة، **أبو راس الناصري، عجائب الأسفار و لطائف الأخبار، دراسة و تحقق**، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ و الحضارة الاسلامية، قسم الحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2007-2008م

239. محمد بوشقيف، **تطور العلوم ببلاد المغرب الأوسط**، رسالة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبو بكر بالقايد، تلمسان،2010/2011م

خامسا :قائمة المجلات و الدوريات و الندوات

240. أحمد حطيط، **دور قبرص في العلاقات بين المماليك و الغرب الاوروبي في اواخر القرون الوسطي** ،مجلة تاريخ **العربي** ،العدد18، المغرب، 2001م

241. أحمد علي ، **بلاد الشام في نظر المغاربة والأندلسيين**، مجلة التريخ العربي، العدد 15، 2000م

242. (---------)، **بلاد الشام في نظر المغاربة و الأندلسيين مند بداية القرن السادس حتي نهاية القرن التاسع الهجري ، مجلة التاريخ العربي** ، جمعية المؤرخين المغاربة، العدد 15، المغرب، 2000م

243. (---------) ، **"مساهمات الأندلسيين و المغاربة في الحروب الصليبية في مصر و الشام"** ، **مجلة التراث العربي** ، العدد 67، دمشق ، ماي، 1997م

244. (--------)، **العاملون في ميدان الإقتصاد والخدمة في المشرق العربي من الاندلسين والمغاربة منذ نهاية القرن الخامس حتي القرن التاسع الهجري، مجلة التراث العربي**، اتحاد الكتاب العرب دمشق، العدد 41، 1990م

245. بونار رابح، **بجاية سلسلة الفن والثقافة،** وزارة الاعلام و الثقافة ،ديسمبر،1975م

246. تواتي عبد الغاني، **"المشداليون بين زواوة وتلمسان "، مجلة الاصالة، العدد**2011،19م

247. خالد بلعربي، **الحياة الثقافية في عصر الشيخ محمد بن يوسف السنوسي،** مجلة عصور، العدد 17، مطبعة وهران، 2011م

248. سعد زغلول عبد الحميد، **الأثر المغربي والأندلسي في مجتمع السكندري في العصور الوسطي**، ضمن ندوة تاريخية مجتمع الاسكندرية، مطبعة جامعة الإسكندرية، الإسكندرية ، افريل 1973م

249. سهيل الخالدي، **مكانة الجزائريين في الحركة الفكرية (التصوف) ببلاد الشام مهاجرو تلمسان نموذجا** ، **مجلة أفكار وأفاق** ، العدد 03، 2012م

250. شوقي شعت ، **القدس الشريف، مجلة ثقافية مقدسية** ، العدد74 ، جوان 2003 م

251. شوقي عطاالله الجمل ، " **الحضارة الاسلامية العربية في غرب أفريقيا – سماتها و دور المغرب فيها** – "، **مجلة المناهل** ، العدد07 ، السنة الثانية ، تصدرها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ، الرباط ، 1976م

252. عبد الرحمن بالأعرج ، " **دور رحلات الحج في التواصل الثقافي بين المغرب و المشرق القرن 8هـ/14م**" ،**مجلة الحكمة** ، العدد 08، السداسي الثاني، تصدرها مؤسسة كنوز الحكمة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2016 م

253. عبد الرحمن عطية، " **الغايات و الوسائل** "، ضمن ندوة : طرق الحج جسور للتواصل الحضاري بين الشعوب ، القاهرة , 14-16 ربيع الثاني 1423هـ/25-27 حزيران –جوان- 2002م

254. عبد العزيز بن راشد السنيدي، **المجاورون في مكة و اثرهم في الحياة العلمية خلال الفترة من 570هـ/660هـ/1174م-1261م**، ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الاسلامية ، 1426هـ

255. عبد العزيز فيلالي، **تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية**، **مجلة الوعي**، دار الوعي، العدد 3-4 أبريل ، ماي 2011م

256. عبد القادر زمامة ، **المقري الجد** ، **مجلة المجمع العربي**، مج46، دمشق، 1971م

257. علي السيد علي، **القدس في العهد المملوكي**، مجلة صامد، السنة 13، العدد 85 تموز- أب، أيلول 1991 م، عمان، الأردن

258. محمد بن معمر ، "**رحلات الحج من المغرب الاوسط الي مكة المكرمة** "، مجلة **الحضارة الإسلامية** ، العدد 01، المجلد 18 ، الجزائر ، 2017م

259. عمار مرضى علاوي، **أثر المغاربة في بلاد الشام خلال العصر المملوكي"القضاء انموذجا"**، **مجلة ديالي** ، كلية الادب، قسم التاريخ، جامعة العراق، العدد56، 2012م

260. عمار هلال، " **العلماء الجزائريون في فاس فيما بين القرنين العاشر و العشرين الميلاديين 14/4**هـ" ، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد09، الجزائر ، 1995م

261. عمر عبد السلام تدمري ، " **الاندلسيون و المغاربة في طرابلس الشام** "، **مجلة التاريخ العربي** ، العدد12، المغرب ، 1999م

262. عمر موسي باشا، **العروبة في شعر العفيف التلمساني ، مجلة الاصالة** ، العدد 26، مطبعة البعث، قسنطينة، 1975 م

263. قويسم محمد، **فقهاء مدينة قسنطينة خلال العهد الحفصي (625هـ/981م)**"، **مجلة المعارف**، العدد 07، نوفمبر 2016، الجزائر.

264. ليلي الصباغ، **الوجود المغربي في المشرق في العصر الحديث، المجلة التاريخية** المغربية ، العدد7-8 ، 1977م

265. محمد المنوني، **إبراهيم التازي نموذج بارز للتبادل الثقافي بين المغربين خلال القرن 9هـ/15م** ، **مجلة الثقافة**، العدد 1،الجزائر، 1989م

266. محمدبكور ، " **طريق الحج الصحراوي صلة وصل بين المغرب و المشرق** "، **مجلة أمل** ، العدد48، الرباط، 2016م

267. محمد بو كبوط، " **الرحلات الحجازية المغربية : صلة وصل حضارية بين المغرب و الجزيرة العربية** "، ضمن بحوث المؤتمر : التواصلالتاريخي و العلمي بين دول الخليج العربية و دول المغرب العربي ، دائرة الملك عبد العزيز ، الرياض ، 2007م

268. مريم هاشمي، **إسهام علماء بجاية في الحركة العلمية في المغرب الإسلامي من خلال القرنين (7و8هـ/ 13 م و14م)**، **مجلة كان التاريخية** ، العدد 21، 2013م

269. حمد عبد الله عنان، إزدهار الحضارة و **الفكر الإسلاميين في الغرب الإسلامي و دورهما في تغدية النهضة العلمية و الحضارة الأوروبية** ، **مجلة الاصالة** ،العدد 26، 1976م

270. المهدي البوعبدلي، **مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر**، **محلةالأصالة** ، تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، قسنطينة، مطبعة البعث،العدد 11، شوال، ذو القعدة، نوفمبر، ديسمبر، 1392-1972م.

271. موسي لقبال، **زناتة و الأشواق الحسنيون في محل تلمسان المغرب الأوسط**، مجلة الأصالة ، السنة الرابعة ، العدد 26، 1976م

سادسا :المراجع بالغة الفرنسية

✓ A .Berque

l'Algérie terre d'Art et d'histoire a consulter sur place, 1937cet ouvrage a été tire sur les presse de l'ancienne imprimante Victor meinty

✓ Atallah Dahina

les états de l'occident Musulman aux XIII, XIV et XV siècles instituent gouvernemental et administratives office des publications universitaires, Alger

✓ Barges(Abbe)

Tlemcen ancienne capitale de royaume de ce nom ,Edition dupant et challamel,paris,1859

✓ Bel Alfred

inscription arabes de Fès, extrait du journal asiatique, imprimerie nationale, paris, 1919

✓ Brunschvicg robert

la berbère orientale sous les hafsides des origines a la fin du XVème siècle, Adrien, Maisonneuve, paris, t1, 1947

✓ Brunschvicg.(R)

« remarques sur les medersas tunisiennes »extrait de la revuetunisienne,2eme trimestre,1931

✓ Elesseef Nikita

un grand prince musulman du syrie au temps des croisades 511/769h /1118/1174; institut française, damas,.t3,1967

✓ Hadj Omar Lachachi

le passe prestigieux de Tlemcen, ancienne capital du célèbre ya ghmoracen, fondateur de la nation, édition, benmerabet;2011

- ✓ Heyed (W)

Histoire du commerce de levant à la moyenne âge, société de l'orient latin, Paris, 1959

- ✓ Louis Abadie

Tlemcen au passé retrouvé, France, Edition Jacques Gandin, 1999

- ✓ Pouzet louis

Maghrébins a damas au VIIème –XIIIème Siècle, in bulletin d'études orientales, damacus ;-paris, 1975

- ✓ Tomas Show

Voyage dans la région d'Alger ou description géographique, physique, philologique, etc., déc. cet états tr d'anglais, J.Mc Cathy Marlin, éditeur, Paris 1980

- ✓ William Marçais et Georges Marçais

le monument arabe de Tlemcen, Paris Ancienne librairie thorine et fils Albert fontemaing; édition 1903, 80

فهرس الأعلام و الأماكن

أ – فهرس الأعلام

ب– فهرس الأماكن و الجهات

فهرس الأعلام

أ

س

ش

فهرس الاماكن و الجهات

أ

فهرس المحتويات

ملخص باللغة العربية

تناولت الأطروحة أهم وأبرز الإسهامات الجليلة لعلماء المغرب الأوسط ببلاد المشرق الإسلامي علي المستوي السياسي و الإداري، و الاقتصادي و حضورهم الاجتماعي، و إسهاماتهم في الحياة العلمية في الحواضر المشرقية ، و معرفة عوامل و أسباب إنتقالهم إلى المشرق الإسلامي من خلال اظهار الأهمية الكبرى للجانب الديني و على طليعته فريضة الحج ، و الذي يعد المحرك الأساسي لإنتقال علماء المغرب الأوسط للبلاد المشرقية،وكذا التعريف بإشعاعهم الحضاري ، وكذا تفاعل علماء المغرب الأوسط مع البيئة المشرقية، فنبغوا في عدة علوم خاصة الدينية كالفقه و علوم الحديث و علوم القرآن حيث سطعت أسماء بارزة فرضت نفسها علي الساحة العلمية المشرقية ،ظهر ذلك فيما دونته كتب التاريخ و التراجم لأسماء علماء من المغرب الأوسط الذين إفتكوا احترام المشارقة بكل جدارة و اقتدار

الكلمات المفتاحية: علماء المغرب الأوسط، الرحلة، التواصل العلمي، المغرب الأوسط، المشرق الإسلامي، الإسهامات الحضارية:

Abstract

The thesis dealt with the most important and prominent contributions of Middle Maghreb scholars in the Eastern Islamic countries on the political, administrative and economic levels. In addition to their social presence, their involvement in the scientific life of Eastern regions and their definition of the civilizational radiances. Besides, this study undertakes the interaction between scholars of Middle Maghreb and the Eastern environment. As a result of this interaction, they have

succeeded in several sciences particularly religion such as: El-fikh, El-hadith and Quran sciences. Hereafter, prominent names that have emerged and imposed themselves in the scientific Eastern area. This is evident since several well-known books of history and translation have mentioned the names of pioneers of Middle Maghreb who deserve respect

Key words: Middle Maghreb scholars, trip, scientific interaction, Middle Maghreb, Islamic Eastern, civilizational contribution

Resume

La thèse portait sur les contributions les plus importantes et les plus marquantes des savons du moyen Maghreb dans les pays de l'Orient Musulman aux niveaux politique, administratif et économique et leur présence sociale, leurs contributions à la vie scientifique dans les régions métropolitaines Orientales et leur définition de leur rayonnement culturel ainsi que l'interaction des savons du Maghreb avec l'environnement levantin. Ils ont donc travaillé dans plusieurs sciences spéciales, plus précisément, les sciences

religieuses tell que la jurisprudence, les sciences de Hadith et du Coran ou sont apparus des normes éminent sur la scène scientifique Orientale. Cela était évident dans les livres d'histoire et de traduction des noms du Maghreb qui ont mérité le respect de l'Orient.

Mots clés : les chercheurs du Maghreb, le voyage, la communication scientifique, le Maghreb, L'Orient musulman, les contributions culturelles.